

عَلِيُّ الْبَيَان

مِنْ عِرْفَةٍ

دراسة تحليلية لمسائل البيان

تأليف

د. بيروني عبد الفتاح فيود

أستاذ البلاغة والنقد

كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

دار المعاليم الثقافية
الأحساء
لنشر والتوزيع



مؤسسة
المختار
لنشر والتوزيع



عَلَيْكَ الْبَيَانُ دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ لِمَسَائلِ الْبَيَانِ

تأليف
د. بسيوني عبد الفتاح فيود
أستاذ البلاغة والنقد
كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

دار المعلم الفاسفيه
الأحساء
للنشر والتوزيع

المختبر
مُؤسسة
للنشر والتوزيع

مؤسسة المختار

للنشر والتوزيع - القاهرة

٦٥ شارع التزهـة - مصر الجديدة
تلفون و فاكس : ٢٩٠١٥٨٣

الطبعة الثانية

١٤١٨ - ١٩٩٨ م

جميع الحقوق محفوظة

رقم الإيداع: ٣٣٠٦ لسنة ١٩٩٨
التاريخ الدولي: X-23-5283-5865



دار المعالم الثقافية للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية

الأحساء - الهفوف

شارع الجامعـة

ص.ب: ١٦١٣ الأحساء ٣١٩٨٢

هاتف: ٥٨٦٢٠٦٦ - ٥٨٧٠١٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله الذي خلق الإنسان من طين ثم سواه وفتح فيه من روحه وأمر الملائكة الكرام أن يقعوا له ساجدين وعلمه الأسماء كلها .. نحمدك ربى حمد الشاكرين كرمت بني آدم وحملتهم في البر والبحر ورزقهم من الطيبات وفضلتهم على كثير من خلقت تفضيلا ، ومن النعم التي أنعمت بها عليهم نعمة البيان والإفهام ﴿الرَّحْمَنُ أَعْلَمُ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلِمَةً الْبَيَانَ﴾ فللهم الحمد وله الشكر على ما أنعم به وتفضل . ثم الصلاة والسلام للأتمان والأكمالان على نبينا محمد القائل : " إن من البيان لسحرًا وإن من الشعر حكما " صلوات ربى وسلماته عليه وعلى آلته وصحابته أجمعين ومن سار على نهجهم وتبعهم يا حسان إلى يوم الدين .

أما بعد ، فقد نفذت الطبعة الأولى من كتابنا : علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان وهو كتاب الغاية منه إيضاح مسائل البيان وتحليليتها وتحليل شرائدها فيقف الدارس له على ضوابط التشبيه ويحيط باللوانه وطرائقه ويلم بالتعبيرات المجازية والكتائية ويعرف دقائقها .

وكان غرضنا من الكتاب متوجهًا إلى تحقيق غايتين :

- ١ - أن يلم الدارس بالضوابط والقواعد البلاغية ويحيط بها .
- ٢ - أن نرسخ في وجدانه ونغرس في نفسه حب تذوق النصوص والوقوف على أسرار الجمال بها وإدراك مزايا الحسن . ولذا حرصنا على الإكثار من الم caznes بين الصرور والأنبيلية وعلى تحليل الشراءد دون تفريط أو إفراط فلا يطفئ التحليل على شرح القاعدة

رإيضاًح الضابط ولا ت تعرض القواعد والضوابط عرضاً جاماً يبعث الملل ويؤدي إلى إعراض الدارس وانصرافه عن الدرس البلاغي والرغبة عنه .

ولما نفدت الطبيعة الأولى وبدت حاجة الدارس للكتاب لم نتردد في إعادة طبعه طبعة جلية واضحة لتحقق الثمرة المرجوة والغاية المنشودة .

نسأل الله تعالى أن ينفع به وأن يجزينا خيراً الجزاء ويهدينا سواء السبيل إنَّه خير مسؤول وهو نعم المولى ونعم النصير ولا حول ولا قوَّةٌ إِلَّا بِهِ .. وصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

المؤلف

د/ بسيونى عبد الفتاح فيوود
أستاذ البلاغة والنقد
فى كلية اللغة العربية بالقاهرة
جامعة الأزهر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين حمدًا دائمًا طيبا ، والصلوة والسلام على رسوله الأمين ،
سيدينا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته إلى يوم
الدين ...

أما بعد :

فهذا كتاب في مسائل علم البيان ، ووضعته لطلبة الدراسات الجامعية ،
وقد راعيت فيه مستوى الطلبة في هذه المرحلة ، إدراكا وتنوقا واستيعابا ، فالطالب في
هذه المرحلة يحتاج إلى إيضاح القاعدة البلاغية وإلى تحليل الشاهد وشرح ما غمض من
مفردات الشواهد ، والقاعدة البلاغية وحدها لا تفي بحاجة الطالب ، بل يحتاج -
بالإضافة إلى إيضاح القاعدة وشرحها - إلى تحليل شواهدها والإكثار من تلك الشواهد
حتى تكون لدى الطالب ملكرة التذوق وفهم النصوص ، ولمن أكثرت له من
الأمثلة والشواهد ، وحللت له الشواهد دون إسراف في التحليل ؛ لأن الإسراف في
التحليل في هذه المرحلة بالذات يفوت على الطالب الإمام الشام بالقاعدة البلاغية ونحن
نهدف إلى الأمرين معا : أن يلم الطالب بالقاعدة وأن تزكيه لديه ملكرة الفهم وتنوّق
النصوص ...

ويقع الكتاب في تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة ، أو ضاحت في التمهيد مفهوم
البيان ، وأوجه الدلالة على المعاني ، وموقع التشبيه من المباحث البينانية ، وتناولت في
الفصل الأول مسائل التشبيه ، وفي الفصل الثاني مسائل المجاز وفي الثالث مسائل
الكتابية ، وكان المهدف منصبا إلى الإحاطة والإمام بكل هذه المسائل وبطريقة دقيقة

وميسرة وفي الخاتمة أشرت إلى مدى التفاوت بين الأساليب البيانية في التصوير وإفاده
المبالغة ...

والله عز وجل أسأل أن ينفع بهذا الكتاب وأن يشمر الثمرة المرجوة منه ،
وأن يثيبنا بحسن النية ونبيل المقصود إنه خير مسؤول ، وهو الهادى إلى سواء
السبيل .

المؤلف

د/ بسيونى عبد الفتاح بسيونى

مَهْيَّأ

مفهوم البيان :

قال الله عز وجل : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَمَةَ الْبَيَانَ﴾^(١). فالبيان نعمة من نعم الله تعالى ، أنعم بها على بني آدم ، حيث كرمهم وحملهم في البر والبحر ورزقهم من الطيبات وفضلهم على كثير من خلقه .. وامتن عليهم بنعمة التعليم والبيان : ﴿أَفْرَاٰ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلْقٍ * أَفْرَاٰ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَمَ بِالْقَلْمَنِ * عَلَمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٢) . بهذا التعليم تميز الإنسان عن كثير من خلقه ، وصار ناطقاً مبيناً ، يستطيع أن يعبر بما يخطر بخاطره ويقول في نفسه من المعاني ، فيوصلها إلى غيره من البشر ، ويتلقاها الغير عنه ، فيتم التفاهم ، وبهذا التفاهم تتحقق السعادة بين البشرية .

والبيان في اللغة ، معناه : الظهور والوضوح والإفصاح ، وما بين به الشيء من الدلالة وغيرها ، يقال : بـان الشـيء بـيانـا : اتـضح فـهـو بـين ... وأـبـته : أـرـضـحتـه ، وـاستـبـانـ الشـيء : ظـهـرـ ، قـالـ ابنـ ذـرـيـعـ :

شـحـوـبـاـ وـتـعـرـىـ مـنـ يـدـيـهـ الأـشـاحـمـ
ولـلـحـبـ آـيـاتـ تـبـينـ لـلـفـتـىـ

أـيـ : تـظـهـرـ لـهـ شـحـوـبـاـ .. وـبـانـ الصـبـحـ لـذـىـ عـيـنـيـنـ : ظـهـرـ وـوـضـحـ ، وـبـيانـ :
الـفـصـاحـةـ وـالـإـفـصـاحـ مـعـ ذـكـاءـ ، وـبـيـنـ مـنـ الرـجـالـ : السـمـعـ لـلـسانـ ، الفـصـبـحـ الـطـرـيفـ ،
الـعـالـىـ الـكـلـامـ ، وـفـلـانـ أـبـيـنـ مـنـ فـلـانـ أـيـ : أـفـصـحـ مـنـهـ وـأـرـضـحـ كـلـامـاـ .

(١) أول سورة "الرحمن".

(٢) أول سورة "العلق".

وروى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال : إن من البيان لسحرا ، وإن من الشعر حكما ، قال : البيان إظهار المقصود بأبلغ لفظ ، وهو من الفهم ، وذكاء القلب مع اللسان ، وأصله الكشف والظهور^(١) .

وقد تحدث كثير من العلماء عن مفهوم البيان وآلاته ، وأنواع الدلالة على المعانى ، وعما يحتاج البيان إلى تحصيله من ألوان المعرفة وصنوف الثقافة ...

من ذلك قول الجاحظ : "البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجاب دون الضمير ، حتى يفضي السامع إلى حقيقته ، ويجهض على محسوله كائناً ما كان ذلك البيان ، ومن أي جنس كان الدليل ؛ لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع ، إنما هو الفهم ، والإفهام ، فبأى شيء بلغت الإفهام ، وأوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع"^(٢) . ومفهوم البيان عند الرمانى ، أنه الإحضار لما يظهر به تميز الشيء من غيره في الإدراك^(٣) ، ويجعل عبد القاهر البيان من مقتضيات النظم ، فهو به يكون وعنده يحدث^(٤) ، وذكررا أن أنواع الدلالة على المعانى والإفصاح عنها من لفظ أو غيره خمسة أمور : اللفظ والإشارة والعقد والخط والحال التي تسمى نسبة .

دلالة اللفظ : أن ينطق اللسان مفصحاً عما يجول بمخاطر الإنسان ومبيناً عما يتزدد بداخله.

ودلالة العقد : هي دلالة الحساب ، لأن العقد ضرب من الحساب يكون بأصابع اليد ، ويقال له حساب اليد ، فهو نوع من أنواع الإفصاح عن المعانى .

(١) انظر لسان العرب ص ٤٠٦ ، ٤٠٧ .

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ٧٥ .

(٣) انظر النكت ضمن ثلاثة رسائل ص ٩٨ .

(٤) انظر دلائل الأعجاز ص ٢٦٤ .

و دلالة الإشارة : تكون باليد والرأس والعين والجاجب والنكب ، وإذا تباعد الشخصان تكون بالثوب ونحوه ، وإذا هدد الشخص وتوعده تكون بالسيف والسوط ونحوهما .

و دلالة الخط : هي دلالة الكتابة التي تبلغ من بعد أو غاب ، ولذا فهي تفضل دلالة اللفظ المقصورة على الشاهد دون الغائب .

أما دلالة الحال : فهي دلالة التأمل والتدبّر والنظر في الكون والاعتبار بما فيه ، فالسموات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وغيرهما مما خلقه الله في الكون أحوال ودلائل تدل على وجوده تعالى وقدرته وعظمي سلطاته^(١) .

وآلات علم البيان وأدواته التي ينبغي على البيانى أن يتسلح بها ، لا فتقاره واحتياجه إليها ، يحصرها ابن الأثير في الأمور الآتية :

١ - حفظ القرآن الكريم وفهم معانيه ، والتدريب على استعمال أساليبه وتراثيه في مطابق الكلام .

٢ - حفظ ما يحتاج إليه من أحاديث النبي ﷺ وأخباره والسلوك بها مسلك القرآن الكريم في الاستعمال .

٣ - معرفة ما يحتاج إليه من اللغة ، والتمييز بين الفصيح المستعمل من مفرداتها وبين الوحشى الغريب والمستكره المعيب .

٤ - معرفة علم العربية من نحو وصرف .

٥ - معرفة أمثال العرب وأيامهم ووقائعهم وعاداتهم .

^(١) انظر البيان والتبيين ج ١ ص ٧٦ والبرهان في وجوه البيان ص ٧ ، والنكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاثة رسائل ص ٩٨ .

- ٦ - الاطلاع على تأليفات من تقدمه من أرباب صناعة البيان
- ٧ - معرفة الأحكام السلطانية في الإمامة والإماراة والقضاء والحساب ونحو ذلك.
- ٨ - ما يختص بالناظم دون الناثر ، وذلك علم العروض والقوافي الذي يقام به ميزان الشعر^(١) .

ويتضح مما تقدم أن البيان هو التعبير عما يدور في الذهن وتحس به النفس بأسلوب فني رائع ، أو هو المميزات البلاغية التي يتفاصل بها الأدباء والشعراء ، ويظهر بها فضل الكلام على الكلام ، وهو بهذا المعنى يشمل علوم البلاغة الثلاثة : المعانى والبيان والبديع .

البيان في اصطلاح البayanين :

أما البيان في اصطلاح البayanين فهو : العلم الذي يعرف به إيراد المعنى الواحد بطريق مختلفة في وضوح الدلالة عليه .

وهو بهذا المفهوم الذي حده به علماء البيان يختلف عن علم المعانى الذي يبحث في بناء الجمل وتنسيق أجزائها تنسيقاً يطابق مقتضى حال الكلام . كما يختلف عن علم البديع الذي يبحث في وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة .

شرح هذا التعريف :

المراد بالعلم : مجموعة القراءات والضوابط والقوانين التي يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطريق مختلفة كقراءات التشبيه ، وضوابط الاستعارة والمجاز المرسل ، وقوانين

^(١) انظر المثل السائر ص ٤٠-٤١ .

الكتابية ، والمهم هو الملكة التي تزبى لدى الدارس من دراسة هذه الضوابط وتطبيقاتها على العديد من النصوص ، لا مجرد حفظها والإحاطة بها .

والمراد بالمعنى الواحد : المعنى الذى يعبر عنه المتكلم بكلام تام مطابق لمقتضى الحال كمعنى الشجاعة والكرم والعفة ، فليس من البيان ، الاقتدار على تأدية المعنى المفرد بالفاظ متراوفة نحو : الأسد والليث والغضنفر والسبع والضرغام ، لأن معرفة ذلك يرجع إلى علم اللغة وليس إلى علم البيان والمراد باختلاف الطرق التي يودى بها المعنى الواحد في وضوح الدلالة عليه ، أن يكون بعضها واضحاً وبعضها أشد وضوحاً وليس المراد أن يكون بعضها واضحاً وبعضها غافياً ، لأن الخفاء المشكك الذي لا يفهم معه المعنى المراد معيب عند علماء البيان ، إلا إذا أريد بالخفاء ، الدقة في أداء المعنى ، بعيداً عن اللبس والإشكال ، فلا غبار على إرادة ذلك .

ويرجع التفاوت في وضوح الدلالة إلى الأمور الآتية :

١ - اختلاف طرق التعبير عن المعنى الواحد ، فمثلاً إذا أراد المتكلم أن يصف زيداً بالكرم ، فله أن يسلك طريق الحقيقة فيقول : زيد كريم ، أو طريق التشبيه فيقول : زيد كالبحر عطاء وزيد كالبحر ، وكأنه البحر ، وزيد بحر في العطاء ، وزيد بحر . ، ونلاحظ اختلاف درجة المبالغة باختلاف نوع التشبيه ، كما سيأتي في مباحث التشبيه ، وله أن يسلك طريق الاستعارة التصريحية ، فيقول : رأيت بحراً يفيض على الناس ، أو المكينة فيقول : أمطرنا زيد بعطائه ، أو يسلك طريق الكتابية فيقول : زيد جبان الكلب ، وكثير رماد القدر ، والكرم بين برديه .

٢ - قرب المعنى المحازى أو الكتابي من المعنى الحقيقي وبعده عنه ، فمثال القرب بينهما : استعارة الطيران للعدو نحو : فلان يطير إلى حاجته ، أي : يعود إليها مسرعاً ، والكتابية عن الرجل بحمل السلاح وعن المرأة بخضاب البيان كقول المتنبي :

ومن في كفه منهم فناء كمن في كفه منهم خضاب

ومثال البعد بينهما : استعارة الانسلاخ لزوال ضوء النهار شيئاً فشيئاً حتى يظهر الليل كما في قوله تعالى : ﴿ وَآيَةُ لَهُمُ الظُّلْمُ لَيْلٌ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلَمُونَ ﴾^(١) . والكتنائية عن الكرم بجين الكلب وهزال الفصيل وكثرة الرماد .

٣ - درجة وضوح القرينة الدالة على المعنى المراد ، فقد تكون بمحى
يدركها السامع لأول وهلة ، كقولنا : رأيتأسدا يخطب الناس ، وعندئذ يكون التعبير
عن المعنى في غاية الوضوح ، وقد لا يدركها السامع إلا بعد فكر وإطالة نظر
كقول الغنوي :

وَجَعَلَتْ كُورِي فُرْقَنَاجِيَّة يَقْتَاتْ شَحْمَ سَنَامَهَا الرَّحْلَ (٢)

فَإِنْ تَعَافُوا الْعَدْلُ وَالْإِيمَانُ
فِي أَيْمَانِكُمْ وَالْأَيْمَانُ
تَنْدَدِدُ كَمْ كُونَ التَّعْبُرُ دُقِيقًا، أَقْلَى، وَضَوْحًا.

أوجه الدلالة البيانية :

والدلالة التي ذكرها البيانيون في تعريف علم البيان هي دلالة الألفاظ على معانٍ لها، أما غيرها من أنواع الدلالات غير اللفظية والتي خاض في دراستها بعض البلاطين^(٣)، فهي لا تقييد الدراسة البلاغية شيئاً، بل عند التأمل والنظر، فرى أنها ترجع إلى الدلالة اللفظية - كما سيأتي - ولذا لا ينبغي أن تعد دلالات مستقلة أو مغایرة للدلالة اللفظية.

١) سوہیں

(٢) الكور : رجل، البعير ، الناجية : الناقة السريعة .

(٤) كالدلالة العقلية مثل دلالة الدخان على النار ودلالة تغير العالم على حدوثه ، وكالدلالة الطبيعية مثل دلالة حمرة الوجه على التحجل وصفرته على الوجل .

وللألفاظ في دلالتها على معانيها ثلاثة أوجه :

١ - دلالة المطابقة : وهي دلالة اللفظ على تمام ما وضع له في اللغة ، كدلالة لفظ "أسد" على الحيوان المفترس ، ولفظ "إنسان" على الحيوان الناطق ، وسميت دلالة اللفظ على معناه الوضعي : دلالة مطابقة ، لطابق اللفظ والمعنى بحيث إذا أطلق اللفظ فهم السامع معناه ولا يفتقر العقل في إدراك المعنى من اللفظ إلى شيء آخر غير الوضع ، وهذا الوجه من أوجه الدلالة لا يتأتى فيه التفاوت في درجة الوضوح ، ولذا لا يلتفت إليه البشرون التفاتاً أصيلاً .

٢ - دلالة التضمين : وهي دلالة اللفظ على جزء معناه الوضعي كدلالة لفظ الدار ، على السقف ، فالدار موضوعة للحيطان التي يظللها السقف ، وكدلالة الأصابع على الأنامل ، فالعلم بوضع اللغة يفهم من اللفظ أولاً معناه الوضعي ويستتبع ذلك فهم جزء معناه ، وعلى ذلك لا تكون هذه الدلالة وضية فيأتي فيها التفاوت في درجة الوضوح .

٣ - دلالة التلازم : وهي دلالة اللفظ على معنى خارج عن المعنى الذي وضعه واضع اللغة ، لا زم له في الذهن ، وهذا الزوم الذهني ، قد يكون مبنياً على مجرد النظر العقلي دون تدخل عرف أو اصطلاح ، كدلالة قولنا : العالم متغير ، على حدوث العالم ، فقد ثبت في حكم العقل التلازم بين تغير العالم وحدثه ، وقد يكون مبنياً على عرف عام مشهور كدلالة لفظ "أسد" على الشجاعة ، فالذهن يدرك التلازم بين الأسد والشجاعة ، اعتماداً على ما اشتهر في عرف الناس من التلازم بينهما ... وقد يكون مبنياً على طبيعة مستقرة في إنسان أو حيوان ، كدلالة حمرة الوجه على الخجل وقطبيه على الغضب ، وجان الكلب على الكرم ... أو على عادة مشهورة كدلالة إيقاد النار في مكان مرتفع على الكرم ... فمن طبيعة الإنسان أن يحمر وجهه عند الخجل وأن يقطب وجهه عند الغضب ، ومن طبيعة الكلب أن يجبن أمام من اعتاد رؤيته ، ومن عادات العرب إشعال النيران في الأماكن العالية ليسترشد بها القادم إليهم ...

والبيانيون يعتمدون على دلائل "التضمين والالتزام" في تحقيق الغاية المقصودة من علم البيان وهي الاقتدار على إبراد المعنى الواحد بطريق مختلفة في وضوح الدلالة عليه ...

هذا ويجب على البيانى أن يراعى بالإضافة إلى وضوح الدلالة على المعنى الذى يريد أداه ، مطابقته لمقتضى الحال ، فيجمع بذلك بين وظيفتي "علم البيان وعلم المعانى" ، فإذا خاطب السوقى الجاهل بخفي التشبیهات أو غريب الاستعارات أو باللازم البعيدة الدقيقة فى المجازات والكتابيات ، فقد بعد عن الجماعة ... كما أنه إذا خاطب الأديب المتمكن فى صناعة الكلام ، التمرس فى ضروب البيان ، بأسلوب الحقيقة المجردة ، أو التشبیهات القريبة ، أو الاستعارات العامة المبتذلة ، أو الكتابيات الواضحة ، فقد حاد عن الطريق السرى ، لأنه بهذا الصنيع يكون قد تغافل عن وظيفة علم المعانى وهى : مراعاة المطابقة لمقتضى الحال .

موقع التشبيه من المباحث البيانية :

لا يختلف علماء البيان فى أن التشبيه له من الاعتبارات الدقيقة واللطائف العجيبة والمحاسن العديدة والمقداد الغفيرة ، ما يجعله موضع اهتمام البيانى ... ولكنهم اختلفوا فى موقعه من مباحث علم البيان ، هل يعد من مباحثه الرئيسية ؟ أم أنه مبحث تمييزي لمباحث الاستعارة ؟ لأن الاستعارة كما نعلم مبنية على التشبيه ...

بعضهم يرى أنه مبحث تمييزي لدراسة الاستعارة ، ويحتاج بأن كلا من المشبه والمشبه به والأداة ووجه الشبه ، مستعمل فى معناه الوضعي ، والمعانى المعبر عنها بالفاظ وضيعية ، تكون واضحة الدلالة ، وعلم البيان إنما يبحث فى الدلالات التى تختلف فى درجات الوضوح ، وهى الدلالات غير الوضيعية ...

وبعضهم يرى أن التشبيه من مباحث علم البيان الرئيسية ، ومقاصده الأساسية ، ودليلهم أن التشبيه ليس فى درجة واحدة من الوضوح ، بل تفاوت درجاته ، وتعدد

مراتبه ، وتحتفل أقسامه ، وتتنوع ضروبه ، في بينما نجد التشبيه الواضح الظاهر الدلالة ،
نجد التشبيه الدقيق الخفي ، وعندما نرى التشبيه المفرد نرى الآخر المقيد أو المركب ،
وعندما نرى التشبيه الحسي ، أو الصريح نرى العقلى أو الضمنى ، وهذا التفاوت
والاختلاف بين التشبيهات ظهورا وخفاء ، ووضوحا ودقة ، يجعله من المباحث الرئيسية
لعلم البيان ونحن نميل إلى هذا الرأى ونراه أولى بالقبول ..

الفصل الأول

التشبيه

تعريفه :

هو الدلالة على مشاركة أمر آخر في معنى بإحدى أدوات التشبيه ، كما نقول : محمد كالأسد شجاعة فالأمر الأول في هذا المثال هو "محمد" وهو المشبه والأمر الثاني هو "الأسد" وهو المشبه به وأداة التشبيه هنا هي الكاف والمعنى المرتبط بالأمرين المشبه والمشبه به هو الشجاعة وتعرف بوجه الشبه .

وقد عرف بعض البلاغيين التشبيه بأنه هو الدلالة على مشاركة أمر آخر في معنى بإحدى أدوات التشبيه لا على وجه الاستعارة التحقيقية ولا المكتبة ولا التجريد^(١) ... فقيد التعريف بكون الدلالة ليست على وجه الاستعارة التحقيقية ولا المكتبة ولا التجريد .. ولا عبرة بهذا القيد لأن الاستعاراتتين التحقيقية والمحبطة حتى والمكتبة نحو : لعبت بناءً على تناصي التشبيه والبالغة في تجاهله حتى كأنه لم يكن . فقولنا في التعريف : " بإحدى أدوات التشبيه " خرج هاتين الاستعاراتين ويخرج أيضاً نحو قولنا : جاءني محمد وعلى ، وقاتل زيد عمراً غير ذلك من الصيغ الدالة على مشاركة أمر آخر في معنى ولكن بطريق أخرى وليس عن طريق أدوات التشبيه .

وأما التجريد وهو أن يتزعزع من أمر ذى صفة أمر آخر مثله في تلك الصفة مبالغة في كما لها فيه نحو : لي من فلان صديق حميم وقولنا : لكن سألك فلانا لتسألن به البحر ، لقيت من زيد أسدأ^(٢) فخروجه من التشبيه ليس على الإطلاق بل إذا لم يكن على وجه ينبع بالتشبيه خرج منه كما في المثال الأول . وإذا كان على وجه ينبع بالتشبيه

(١) انظر الإيضاح ص ٧ ح ٣ والمطلول ص ٣١٠ .

(٢) انظر الإيضاح ص ٤٤ ح ٤ .

كما في المثالين الثاني والثالث فهو داخل فيه ولا يمكن إخراجه منه^(١) ، هذا وقد تكون هذه الأمور وهي : المشبه والمشبه به ووجه الشبه والأداة بينة ظاهرة مصرحاً بها أو بعضها كقولنا : على كحاتم في الكرم ، وليلي كالبدر ضياء وشعرها كالليل سوادا ، وكما في قول الحق حل وعلا : ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَاتِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾^(٢) قوله تعالى : ﴿وَخُورُ عَيْنٍ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾^(٣) ... قوله تعالى : ﴿خُشْقَا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَلْهُمْ جَرَادٌ مُّتَشَبِّهُ﴾^(٤) وكقول بشار :

كأن مشار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكب

وقول أمرئ القيس :

أيقتنى والمشرفى مضاجعى ومسنوه زرق كألياب أغوال

وقد تكون تلك الأمور خفية مستترة ينبيء بها الأسلوب وتقهم من سياق الكلام كما في بعض صور التجريد التي مرت بنا نحو : لهن لقيت فلانا لتلقين به الأسد ، وكما في التشبيهات الضمنية نحو قوله : نور الصباح يخفى في ضوء جبينه ، ونور الشمس مسروق من نور وجهه ، وكقول أبي تمام :

فالسيل حرب للمكان العالى لا تنكرى عطل الكريم من الغنى

وقول أبي الطيب

ما بحر بحىت ايلام من يهون يسهل الهوان عليه

(١) انظر مفتاح العلوم ص ١٦٨ .

(٢) سورة الرحمن الآية ٢٤ .

(٣) سورة الواقعة الآيتين ٢٢ ، ٢٣ .

(٤) سورة القمر الآية ٧ .

وقوله :

لِمْ تَلَقَ هَذَا الْوَجْهَ شَمْسٌ نَهَارًا
إِلَّا بِوْجَهٍ لَيْسَ فِيهِ حَيَاةٌ
وَقُولَى أَبِي نُوَاسَ :
إِنَّ السَّحَابَ لَتَسْتَحِيَ إِذَا نَظَرْتَ
إِلَى لَدَائِكَ فَقَاسَتِهِ بِمَا فِيهَا
وَقُولَى الْبَحْرَى :

فِي طَلْعَةِ الْبَدْرِ شَيْءٌ مِنْ مُحَاسِنِهَا
وَلِلْقَضِيبِ لِصَبَبِ مِنْ ثَنَيَهَا
إِلَى غَيْرِكَ ذَلِكَ مِنَ التَّشَبِيهَاتِ الضَّمْنِيَّةِ الَّتِي تَكُونُ مُسْتَزَرَةً فِي الْأَسَالِيبِ مُخْتَفِيَّةٍ
وَرَاءَ الْجَمْلِ وَالْعَبَارَاتِ فَنَفَهُمْ ضَمِنًا مِنْ سِيَاقِ الْكَلَامِ وَلَا يَصْرُحُ فِيهِ بِأَرْكَانِ التَّشَبِيهِ
وَلَا تَأْتِي جَملَتِهِ مَبْنِيَّةً عَلَى هَذَا الْأَسَاسِ ، وَسِيَطُضُّحُ لَنَا هَذَا فِيمَا يَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(أركان التشبيه)

وأركان التشبيه خمسة:

- ١ - المشبه : وهو الأمر الذي يراد إلحاقه بغيره .
- ٢ - المشبه به : وهو الأمر الذي يراد إلحاق غيره به ، ويسمى كل من المشبه والمتشبه به بطرف التشبيه .
- ٣ - وجه الشبه : وهو المعنى الجامع الذي يشترك فيه الطرفان ويكون في المشبه به أعرف وأشهر منه في المشبه ، وغالباً ما يكون في المشبه به أقوى وأكمل أيضاً منه في المشبه ، ونقول " غالباً " لأننا نرى بعض التشبيهات وقد صار بها المشبه أقوى وأكمل في وجه الشبه عن المشبه به فالمدار في ذلك يرجع إلى الغرض الذي من أجله يساق التشبيه وسيتبين هذا الأمر عند حديثنا عن أغراض التشبيه .
- ٤ - أداة التشبيه : وهي اللفظ الذي يربط بين الطرفين ويدل على التشبيه .
- ٥ - الغرض من التشبيه : وهو الهدف أو الفائدة التي من أجلها يسوق المتكلم التشبيه والغاية التي ينشدتها من وراءه .

ما يتحتم ذكره من هذه الأركان وما يجوز حذفه :

والأركان الأربع الأولى قد تذكر جمياً في جملة التشبيه نحو قولنا : محمد كالبحر عطاء وكarma وعمرو كالأسد شجاعة ، وقد يذكر بعضها دون بعض . فقد تحذف الأداة نحو : محمد بحر في العطاء وذلك إذا كان المقام يتضمن المبالغة في المساواة ومنه قول الشاعر :

هم البحور عطاء حين تسأهم وفي اللقاء إذا تلقى بهم بهم

وقد يحذف الوجه إذا كان مشهوراً وأضيقاً نحو : محمد كأسد وأنت كحاتم
وهو مثل أخف .. وقد تجذب الأداة والوجه معاً نحو : أنت أسد .. محمد بحر ويعرف
هذا بالتشبيه البليغ .

وقد اختلف في العلماء بعضهم يلحقه بالتشبيه ويعده منه وبعضهم يلحقه
بالاستعارة و يجعله منها وآخرون يفصلون القول فيجعلونه بعضاً منه تشبيهاً والبعض
 الآخر استعارة على نحو ما سنرى في الفصل الثاني عند حديثنا عن الاستعارة ... وقد
 يلحق المشبه بالوجه والأداة فيحذف معهما ويقى المشبه به فقط ومن ذلك قوله تعالى :
 ﴿صُمْ بِكُمْ عَنْتِ﴾^(١) .. وقول عمران بن حطان ينمّ المجاج بالجين :

أسد على وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر

فقد حذف في الآية والبيت المشبه بالإضافة إلى حذف الأداة ووجه الشبه
والتقدير : هم صم .. ، وهو أسد على .

وحذف المشبه هنا في الآية الكريمة وفي البيت لا يخرج الكلام عن دائرة التشبيه
للقاعدة المشهورة : أن المقدر كالمذكور .. ولا يقال في نحو : رأيتأسداً وحدثه ..
وشاهدت بحراً في المسجد إن هذا مبني على التشبيه ولم يبق منه سوى المشبه به فلم يخرج
عن دائرة التشبيه وعد استعارة؟ ولم لم يظل تشبيهاً كالآية الكريمة والبيت؟ لأننا نقول :
المرجع في ذلك إلى بناء الجملة وقد بنيت الجملة في المثالين بناءً تنوسي فيه التشبيه وبلغ
في طيه وبخاهله ، أما في الآية والبيت فقد بنيت الجملة على إرادة المشبه المذوف وعلى
تقديره والمقدر - كما قلنا - كالمذكور .. فالمدار إذاً على بناء الجملة .

وأما المشبه به فيتحتم ذكره ولا يأتي حذفه بحال من الأحوال لأن في حذفه
تفويتاً للغرض المقصود من التشبيه .

(١) سورة البقرة الآية ١٨

وربما سأله سائل : فماذا عن الركن الخامس من أركان التشبيه ؟ أيجوز حذفه أم يختص ذكره ؟ والجواب : ليس هنالك من لفظ للغرض ولكن الغرض من التشبيه إنما هو غاية يهدف المتكلم إلى تحقيقها وإفادتها بعد هذا التشبيه ، فالغرض إذاً يفاد بأسلوب التشبيه وبجملته التي تبني من أركانه الأربع الأخرى ، فإذاً أفادت هذه الجملة الغرض كان التعبير جيداً ومحقاً للغرض من التشبيه ، وإذا لم تفده كان التعبير معيناً ومخلاً بالغرض من التشبيه على نحو ما سنرى عند حديثنا عن أغراض التشبيه .

هذا والتشبيه من فوائده أنه يوسع آفاق التعبير أمام المتكلم فيستطيع عن طريق الصورة أن ينقل ما رسم في ذهنه من معانٍ إلى السامع أو القارئ وهذا لأنّه يجمع بين الإيجاز وحسن البيان والمبالغة في تأكيد المعانٍ وتقريرها ، وستفصل القول فيما يلى في العناصر التي تسهم في بناء التشبيه وتكرير الصورة وتصوير الخيال ونبأها بالحديث عن طرق التشبيه .

مباحث الطرفين

الطرفان وهما المشبه والمشبه به لهما صفات يتضمنان بها أو أحوال يكتننان عليها وقد نظر البلاطيون إلى هذه الصفات أو إلى تلك الأحوال ونوعوا التشبيه أو قسموه تبعاً للحال التي يوجد عليها كل من المشبه والمشبه به ، نظروا إليها من جهات مختلفة وحيثيات متعددة وزوايا متعددة ، فالطرف قد يكون حسياً وقد يكون عقلياً وهذه جهة نظر منها البلاطيون إلى التشبيه ونوعه أنواعاً والطرف إما أن يكون مفرداً مجرداً أو مقيداً بقيد له أثر في التشبيه أو يكون هيئة مركبة من عدة أمور قد امترخت وهذه جهة ثانية من خلالها نظر البلاطيون إلى التشبيه فقسموه أقساماً ، والمتكلم قد يشبه أمراً واحداً بأمر واحد أو بأمررين أو بأمور عدّة وقد يشبه أمرين بأمررين أو أموراً بأمر و قد يشبه أمرين أو أموراً عدّة بأمر واحد ، أو يعني آخر الطرف قد يكون واحداً وقد يتعدد وهذه زاوية أخرى على أساسها قسم البلاطيون التشبيه أقساماً وقبل أن نخوض في هذه الأقسام أو في تلك

الأنواع نريد أن نقف على هذه الأحوال التي يوجد عليها الطرف أو الصفات التي يتصرف بها والتي على أساسها كانت هذه الأنواع .

ما معنى حسية الطرف؟ وما معنى عقليته؟ :

معنى حسية الطرف أن يكون مدركاً هو أو مادته التي يتركت منها بإحدى الحواس الخمس الظاهرة وهي : البصر والسمع والشم والنحوق واللمس ، فمثلاً المدرك بإحدى هذه الحواس ، ضوء الشمس فإنه مدرك بمحاسة البصر وتغريد الطائر فهو مدرك بالسمع وطعم الفاكهة يدرك بالنحوق ورائحة المسك تدرك بالشم ونعومة الحرير تدرك بمحاسة اللمس ، ونستطيع أن نجعل هذا حسياً حقيقة لأن الطرف ذاته قد أدركناه ووقفنا عليه بإحدى الحواس ، ومثال ما أدركنا مادته التي يتكون منها بإحدى الحواس : تخيل قصر من ذهب أعمدته من فضه أو تخيل بحر من مسك موجه الذهب أو تخيل أعلام من ياقوت قائمة على أعمدة من زبرجد ، فتلك أمور خيالية اخترعها الخيال وألفها من أشياء محسوسة موجودة ، وهذه المباهيات المركبة لا وجود لها في الواقع ولكن أجزاءها ومادتها التي ركبت منها وهي : الذهب والفضة والمسك والياقوت والزبرجد موجودة ومدركة بالحس ، ونستطيع أن نجعل هذا حسياً غير حقيقي أو حسياً خيالياً لأن الطرف نفسه غير مدرك بالحس ولكن الذي وقفنا عليه وأدركناه بإحدى الحواس هو مادته أو أجزاءه التي ركب منها .

ومعنى عقلية الطرف : ألا يكون هو ولا مادته مدركاً بالحس لأن يكون من المعانى التي يدركها المرء بعقله مثل : العلم والحياة والذكاء والمروعة والكرامة والإباء والنجدة . أو يكون من المعانى التي يمسها بوجودها نحو الجرع والعطش والشبع والفرح والحزن والطمأنينة والخوف . فلا مدخل للحس الخمس في إدراك هذه الأمور وإنما مجال إدراكتها هو العقل أو الشعور الوجداني والحس الباطنى . ويلحق بالطرف العقلى الأمور الوهمية التي لا وجود لها ولا مادتها في الخارج ولكنها استقرت في وهم الإنسان نتيجة أسطورة أو عقيدة موروثة مثل : أنياب الغول ورعبوس الشياطين . وفرق بين الطرف العقلى

والطرف الوهمي ، فالعقلى له ثبوت وتحقق فى الذهن ولكن لا مدخل للحواس فى إدراكه بأى وجه من الوجوه كما رأينا . أما الوهمى فلا ثبوت ولا تتحقق له عقلاً ولا حسناً لعدم وجوده لكن لفرض وقدر وجوده لأدرك بالحواس لأننا عندئذ سنرى الغول ونبصر أنيابها ونشاهد صورة الشيطان وصورة الغول وقد جسمتنا فى عالم المريئات . كما أن هنالك فرق بين الطرف الوهمي والطرف الخيالى ، فالخيالى هيئته التركيبية لا وجود لها ولا تتحقق ولكن أجزاء هذه الهيئة ومادتها موجودة ومدركة بالحواس والوهمي لا وجود له ولا لأجزاءه حتى تدرك وتشاهد ولكن لو قدر وفرض وجوده وتحققه كان مدركاً بالحواس كما قلت .

ما معنى إفراد الطرف وقيده وتركيبة؟

وإفراد الطرف معناه : أن يكون شيئاً واحداً متميزاً بذاته ليس مقيداً بقيد يؤثر في صورة التشبيه وليس هيئه مركبة من عدة أمور ومثاله الزهر والروض والنجم والقمر والشجاعة والبحر والوجه .

ومعنى تقييده : أن يرتبط الطرف ويقيد بوصف أو بإضافة أو بحال أو بختار وبحرر تقييداً لا يبلغ حد التركيب شريطة أن يكون لهذا القيد أثر في تحقيق وجه الشبه مثاله : الراقم على الماء والمرآة في كف الأشل وذلك بأن يشبه الرجل يجهد نفسه في عمل لا يشعر بالرقم على الماء وأن تشبه الشمس بالمرآة في كف الأشل فقد قيد المشبه به بالختار والمحرر وهذا القيد له تأثير في تحقيق الوجه كما لا يخفى إذ الوجه في المثال الأول هو التسوية بين الفعل وعدمه في عدم الفائدة وفي الثاني الهيئة المركبة من الإشراق والاستدارة والتعمojات المستمرة . فالقيد إذاً له أثر في تحقيق وجه الشبه ، فإذاً قلنا هذه الفتاة الطويلة كالبدر إشراقاً وهذا الرجل الأسود كالأسد شجاعة ، فلا يعتد بصفتي الطول والسوداد ولا تكونان قدين في المشبه لأن وجه الشبه وهو الإشراق والشجاعة لا علاقه له بالصفة المذكورة ولا أثر لهذه الصفة في تحقيقه .

ومعنى تركيب الطرف أن يكون هيئة مؤلفة من أمرين أو من عدة أمور قد امتزجت امتزاجاً يجعلها في حكم الشيء الواحد ومثاله : الهيئة المركبة من الغبار المثار فوق رءوس المقاتلين والسيوف اللامعة المتحركة حركة مستمرة وسط هذا الغبار ، والهيئة المركبة من ليل مظلم ونجوم تهارى وسط هذا الظلام .

ما معنى وحدة الطرف وتعدد؟

ووحدة الطرف : أن يكون أمراً واحداً مثل محمد كالأسد ، فقد شبه شيء واحد وهو محمد بشيء واحد وهو الأسد فالطرفان هنا يتصفان بالوحدة .

ومعنى تعدد الطرف : أن يكون أمرين أو عدة أمور ولكن لا يمزج بينهما بل يظل كل أمر منهم على حدة وإلا لصياد طرفاً مركباً .

ومثال التعدد قول أمرىء القيس :

كأن قلوب الطير رطباً وبابساً

لدى وكرها العتاب والخشف البالى

فالتشبيه في البيت وهو قلوب الطير الرطبة وقلوبها اليابسة والتشبيه به متعدد أيضاً وهو العتاب المقابل للقلوب الرطبة والخشف البالى المقابل للقلوب اليابسة ولكن لا امتزاج بين الأمرين المشبهين ولا بين الأمرين المشبه بهما . ومنه أيضاً قول أبي الطيب :

بدت قمراً ومالت خوط بان وفاحت عنبراً ورنلت غزالاً

أى : بدت هذه المرأة بوجه كالقمر ومالت بقراط كغصن البان وفاحت براحقة كرائحة العنبر ونظرت بعين الغزال ، فقد شبه أموراً متعددة بأخرى كذلك .

وبعد أن وقفنا على هذه الأحوال للطرفين وأدركنا حقيقة كل حال منها وكيفية اتصاف الطرف بها ننتقل الآن إلى أقسام التشبيه باعتبار كل حال من تلك الأحوال .

أولاً : أقسام التشبيه باعتبار حسية الطرفين أو عقليةهما :

ينقسم التشبيه من هذه الجهة إلى أربعة أقسام :

الأول : تشبيه محسوس يمحوس س كقوله تعالى : ﴿ وَعِنْهُمْ قَاصِرَاتُ الْطَّرْفِ عَيْنٌ * كَانُهُنَّ يَئْضُ مَكْتُونٌ ﴾^(١) قوله عز وجل : ﴿ وَحَوْ عَيْنٌ كَامِشَالُ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْتُونِ ﴾^(٢) قوله : ﴿ كَانُهُنَّ يَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾^(٣).

فالتشبيه في الآيات الكريمة هو نساء أهل الجنة والمشبه به هو بيض النعام واللؤلؤ المكتون والياقوت والمرجان^(٤) وكلها من المتصرات فهي مدركة بمحاسة البصر، وبتأمل الآيات الكريمة نرى مدى الدقة في إبراز جمال الحور والإبداع في تصوير حسنها، فهن حور وقاررات الطرف وعين، وحور شديدات سواد العيون وبياضها، وقاررات الطرف حابساته على أزواجهن، وعين : ضخام الأعين حسانها، وكل هذه الألفاظ كما نرى تبرز معاني الجمال والحسن ثم كان التشبيه مصروراً هنا بالجملة ومبدعاً في إظهاره؛ فهن بيض النعام ذو اللون المشروب بصفة وذلك أحجل وأحسن ألوان النساء والبيض قد كن وسترة فلا يصل إليه غبار، ومن لولؤ مكتون وهن كأنهن ياقوت ومرجان، والنفس شديدة الرغبة في هذه الأنواع الكريمة وتلك الأحجار التفيسة محبة لها شديدة الحرص عليها وذلك عامل نفسى قوى يجب هؤلاء النساء ويعلى شأنهن في نفس المؤمن.

(١) سورة الصافات الآية ٤٨،٤٩.

(٢) سورة الواقعة الآية ٢٢،٢٣.

(٣) سورة الرحمن الآية ٥٨.

(٤) الياقوت : حجر نفيس كريم مختلف ألوانه وأشهر ألوانه الأحمر، والمرجان : صغار الدر وإنما يحصل بها دون كبار الدر لأن الصفاء في صغار الدر أشد من الصفاء في كباره ووجه الشبه هو صفاء اللون وحرمة المشوهة بشدة البياض.

ومن ذلك قول أبي طالب الرقى :

وكأن أجرام النجوم لاما
درر نثرن على بساط أزرق

فقد شبه أديم السماء في صفاء زرقته وياض النجوم بدرر مثورة على بساط أزرق وهو
من المبصرات ، وقول بشار .

كأن مشار النقع فوق رءوسنا
وأسيافنا ليل نهساوى كواكبه

حيث شبه الغبار المثار فوق الرؤوس والسيوف تتحرك وسطه مضيئة لا معة بليل مظلم
تساقط كراكب المشرقة هاوية إلى الأرض وهو ما يدرك بالبصر ، ومن ذلك تشبيهنا الخد
بالورد في البياض المشوب بالحمرة والقد بالرمح في استقامته والشعر بالليل في سراده والوجه
بالبدر في إشراقه وضيائه فالظرفان في كل هذه التشبيهات من المرئيات .

ومن المسمرعات : تشبيهنا الصرت الضعيف بالطمس ، وأزيز القدر بصوت
الطائرة ، ووقع الأسلحة في الحرب بالصراوع ، وكتشبيه ذى الرمة أو آخر الميس بأصوات
الفراريج في قوله :

كأن أصوات من إيفاهمن بنا
أواخر الميس إنقاضاً الفراريج^(١)

تقدير البيت : كأن أصوات أو آخر الميس إنقاضاً الفراريج من إيفاهمن بنا ،
فصل بين المضاف والمضاف إليه بقوله : من إيفاهمن بنا وهو عيب من ناحية التراكيب ،
والذى يعني هنا هو تشبيه الصوت المتبعث من احتكاك الرجل بعضه ببعض نتيجة
شدة السير واضطراب الرجال بصوت الفراريج وهى صغار الدجاج ، فوجه

(١) الإيغال من أو غل في السير إذا أبعد فيه وأسرع والضمير للإيل ، والأواخر جمع آخرة ، وأخيرة
الرجل هي العود الذي يستند إليه الراكب ، والميس : شجر صلب تتحذ منه الرجال والمراد
الرجال نفسها عن طريق المخاز المرسل ، والإنقضاض من انقضاض الدجاجة أي : صوت ،
والفاريج : صغار الدجاج جمع فروج .

الشبه هو الاشتراك في هذه النغمة الخاصة ، وطرفها التشبيه من المسموعات كما لا يتحقق .

ومن المذوقات : تشبيه بعض الفاكهة بالعسل في الحلاوة ، وتشبيه ريق الحبيب بالحمر في الطعم الجميل المذاق ومنه قول امرئ القيس :

كأن المدام وصوب الغمام وريح الخزامي ونشر القطر
يعل به برد أنيابها إذا غرد الطائر المستحر^(١)

ومن المشمومات : تشبيه التكهة بالعنبر ووجه الشبه هو الرائحة الطيبة ، وتشبيه بعض الأشياء ذات الرائحة الطيبة باليحان أو الكافور ، وكتشبيه الرائحة الطيبة المتبعثة من فم الحبيبة في وقت السحر بريح الخزامي ونشر القطر في البيتين السابقين .

ومن الملموسات : تشبيه الجسم بالحرير كما في قول الشاعر :

لها بشر مثل الحرير ومنطق رخييم الحواشى لا هراء ولا نزر
فالمتشبه ببشر والمشبه به بالحرير وهما من الملموسات ووجه الشبه هو نوعية الملمس .

فطروا التشبيه في كل ما مر بنا من شواهد حسيان حقيقيان لأننا قد وقفنا عليهما وأدركناهما بمحاسة من الحواس الخمس ، هذا وكثيراً ما يلجأ الأديب إلى تأليف واحتزاع صور خيالية مبدياً براعته الفنية ومظهرها المشبه في صورة رائعة بدعة طريفة وهذا الطرف

^(١) المدام : الخمر ، وصوب الغمام : مطره ، والخزامي : نبت زهره من أطيب الزهر ، والقطر : عود يتبعز به ، يعل به : يسكنى مرة بعد مرة والمستحر : الصوت وقت السحر ، يعني أنها طيبة النسم في هذا الوقت الذي تتغير فيه الأقواء بعد النوم ، والمراد تشبيه برد أنيابها بالمدام وما عطف عليه فقلب التشبيه ، والضمير في "به" يعود للمدام وما بعده ، ومحير كأن : برد ويجوز جعل "برد" نائب فاعل "يعل" وجملة يعل به برد أنيابها هي الخبر ولمعنى أنه يظن أن برد أنيابها مزج بالمدام وما عطف عليه وعندئذ يكون التشبيه ضمنياً ...

الذى يخترعه الأديب ويتخيله يعد حسياً غير حقيقي أو خيالياً أو داخلاً في الطرف الحسى كما يذكر بعض البلاغيين^(١) لأن مادته أو أجزاء صورته مدركة بالحسن موجودة تحت ميقده وإن كان هو يهينته التكسيلا لا وجود له.

ومن ذلك قول الصنوي يصف شفائق النعمان:

وكان محرر الشقيق إذا تصوب أو تصعد

اعلام یاقوت نشرن علی رماح من زبر جد^(۴)

و قوله يصف النيلو فـر وهو نبات له زهر أحمر مشوب بصفرة :

كـلـنـا باـسـطـاـلـيـدـ نـخـوـنـيـلـوـفـرـ نـدـ

کدبساپس عس جد

وقول الآخر يصف نجم الشريا وقت طلوع الفجر :

إذا الشريعة اعترضت عند طلوع الفجر حسبتها لا معة سنبلة من در

فالمتشبه في هذه الآيات وهو شقائق النعمان ونبات التيلوفر وبجم الثريا من الحسيات الحقيقة لأنها من المرئيات والمشبه به وهو الأعلام المركبة من ياقوت منشور على رماح من زيرجد ، والعصبا المكونة أو المصنوعة من زيرجد ورأسها من ذهب ،

^(١) انظر الإيضاح ج ٣ ص ١٦.

(٤) الشقيق : نبات أحمر الزهر يسمى شقائق النعمان وقد أفرد لضرورة الشعر تصويب أو تصعد : مال إلى أسفل وإلى أعلى فاؤ يعني الواو ، والياقوت حجر قبيس مختلف الوانه والمراد هنا الأحمر ، نشرن :: فعن ، والبرجد حجر نفس . أشيه الأักษذ وهو المراد هنا .

(٣) التيلوفر : هو نبات البشرين وهو نبات ذو رائحة طيبة يثبت في الماء وساقة أملس أحضر فإذا ساوي سطح الماء أورق وأزهر وزهره أحمر مشوب بصفرة ، والدبابيس جمع دبوس وهو عصا في رأسها كالكرة .. والمسجد : النهب أو جوهر كالدر والياقوت .. وند : رطب .

والستابل الدرية ، من الأمور الخيالية التي صنعتها خيال الشاعر ولا وجود لها في الواقع ولا تدرك بالحواس الظاهرة ولكن المواد والأجزاء التي صنعت منها هذه الأمور وركبت منها تلك المتخيلات موجودة ومدركة بالحس وواقعة تحت دائرة .

الثاني : تشبيه معقول بمعقول : كتشبيه الجهل بالموت والعلم بالحياة وتشبيه العشق بالموت كما في قول الشاعر :

العشق كالموت ي يأتي لا مرد له ما فيه للعاشق المسكين تدبير

ووجه الشبه بين العشق والموت : عدم القدرة على دفعه ورده ، ومن ذلك تشبيه السفر بالعذاب وتشبيه الضلال عن الحق بالعمى والاهتداء إلى الحق بالإبصار وكتشبيه الرضا بالخضوع للعدو لعدم القدرة على مقاومته بالرضا بالشيب كما في قول المتنبي :

رضوا بك كالرضا بالشيب قسرا وقد وخط التواصى والفروع^(١)

فالظرفان في مثل هذه التشبيهات من المعقولات .

الثالث : تشبيه معقول بمحسوس : كتشبيه أخلاق الكرام بالأرض الواسعة الممتدة وبالعطر ذي الرائحة الطيبة ، وتشبيه المنية بالسبع فالمتشبه وهو أخلاق الكرام والمنية من المعقولات والمتشبه به وهو الأرض الواسعة والعطر والسبع من المحسوسات .

ومن ذلك تشبيه الرأى بالليل كقول الشاعر :

الرأى كالليل مسود جوابه والليل لا ينجلى إلا ياصباح

وتشبيه الغيط بالنار كقول المتنبي :

وغيط على الأيام كالنار في الحشا ولكنه غيط الأسير في القيد

(١) قسر : قهراً ، وخط : الرغط : فشو الشيب في الرأس وقيل هو استواء البياض والسود ، التواصى الرعوس ، والفروع : جمع فرع ، وفرع كل شيء أعلاه ..

وتشبيه الصير على مضمض الحسود بالنار تأكل بعضها لعدم إمدادها بما يسبب
بقاءها واحتلاطها كقول ابن المعتز :

أصير على مضمض الحسود فإن صبرك قاتله

فالنار تأكل بعضها إن لم تجده ما تأكله

هذا وتشبيه المعمول بالمحسوس قد ورد كثيرا في كلام البشر كما كثر في
أساليب القرآن الكريم ومن ذلك تصوير أعمال الكفار برماد اشتتدت به الريح في يوم
 العاصف ، وبسراب بقعة يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجد له شيئاً وتشيل اعتقادات
المنافقين واضطرباتهم وتقطيعهم بالذى استوفى ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله
بنورهم ، وتشيل الذين يتفرقون أموالهم في سبيل الله بحبة أنبت سبع سوابيل في كل سنبلة
مائة حبة ، ويجنة بربوة أصابها وأبل فاتت أكلها ضعفين فإن لم يصيدها وأبل فطل إلى غير
ذلك من الآيات الكريمة التي تصور لنا الأمور المعنوية المعقولة بأمور محسوسة مشاهدة
فهي كثيرة وليس هنا موطن دراستها وإشباع القول فيها ، ومرجع هذه الكثرة إلى أن
الأصل في باب التشبيه إخراج الأمور المعنوية المعقولة إلى مشاهدة محسوسة وإبراز الأمور
المخفية المستترة إلى أمور جلية واضحة .

الرابع : تشبيه محسوس بمعقول : وهذا القسم على خلاف الأصل في باب
التشبيه كما قلنا لأن المشبه به شأنه أن يكون ظهر وأوضاع من المشبه فأولى به أن يكون
حسيناً ولا يكون عقلياً إلا بعد أن ينزل منزلة المحسوس ويدعى أنه فاق المحسوس في
الوضوح والظهور من ذلك تشبيه الأرض الواسعة بخلق الكريم كما في قول ابن بازك :

وأرض كأخلاق الكرام قطعتها

وقد كحل الليل السماك فابصر(١)

(١) السماك : الأعزل والرامح وهو نجمان نيران وأبصار : فتح وظاهر .

وتشبيه الظلام بيوم الفراق وفؤاد من لم يعشق في قول أبي طالب الرقى :

ولقد ذكرتك والظلام كأنه يوم النوى وفؤاد من لم يعشق

وتشبيه الليل بالأمل المظلم في قول الشاعر :

رب ليل كأنه أملٍ فيك وقد رحت عنه بالحرمان

وتشبيه النجوم بين الدجى بالسنن بين الابتداع كقول التبرخى :

سنن لاح بينهن ابتداع وكأن النجوم بين دجاهـا

وتشبيه نسيم الصباح بفرصة الآيس والسراب بمجلة الرامق فى قول بديع الزمان :

كان سراب القيظ خجله وامق^(١) كان نسيم الصبح فرصة آيس

فالمشبهات في هذه الأيات وهى : الأرض والظلام والليل والنجوم المصيحة بين الدجى ونسيم الصباح والسراب ، من الأمور المدركة بالحواس ، والمشبهات بها وهى : أخلاق الكرام ويوم النوى وفؤاد من لم يعشق والأمل المظلم والسنن بين البدع وفرصة الآيس وخجلة الرامق ، من المعقولات التي نزلت منزلة المحسوسات وادعى أنها فاقتها في الوضوح والظهور فجعلت أخلاق الكرام أشد سعة وأكثر امتداداً من الأرض الواسعة الممتدة ، ويوم الفراق وفؤاد من لم يعشق والأمل المؤيس أشد ظلاماً من الليل ، والسنة أكثر إشراقاً من النجوم والبدعة أشد ظلاماً من الليل ، وفرصة الآيس أقوى في إنعاش النفس من نسيم الصباح .

هذا وكما يلتجأ الأديب إلى تخيل الأطراف واحتزاع المركبات الخيالية إلهاماً ليراعته وإبرازاً للمشبه في صورة طريفة عجيبة ، فقد يلتجأ إلى استغلال المعانى الوهمية إبرازاً لفطاعة المشبه وتهريلاً من شأنه كما نرى في قول أمير القيس:

أيقتلنى والمرى فى مضاجعى ومسنونة زرق كأنياب أغوال

(١) القيظ : شدة الحر ، الرامق المحب من ومقه : أحبه .

فالتشبه به في البيت وهو أثياب الأغوال من المعانى الوهمية التي لا دخل للحس فى إدراكها وقد استغلها الشاعر لتهليل شأن الأسنة ، وإبرازها فى صورة مرعبة مفزعة ، ومن ذلك قوله عز وجل : ﴿ طَلَعُهَا كَانَةٌ رُّعْوَسُ الشَّيَاطِينِ ﴾^(١) فرعوس الشياطين من المعانى الوهمية وقد أبرزت قبح هذا الطلع وفضعلته ونفرت منه وبعثت فى النفوس كراحته وبغضه وفي الآية نوع من السخرية والتهكم بهؤلاء الكفرة أولياء الشيطان فهم يطعمون فى جهنم من شجرة طلعاها كأنه رعوس أوليائهم ، كما أنه فى جمع الرعوس مزيد من التهليل والتقطيع والتتفير فالطلع ليس رأس شيطان وإنما هو رعوس جميع الشياطين المبشين فى الأرض حادين فى الفساد وغرس الشر واقتلاع الخير .

والأطراف الوهمية داخلة فى الأطراف العقلية لأنها ليس لها وجود فى الواقع ولكن لو فرض وجودها وقدر لوقعت فى دائرة المحسوسات والأدراكناها بإحدى الحواس الظاهرة .

ثانيًا : أقسام التشبيه باعتبار إفراد الطرفين وتقيدهما وتركيبيهما :

يتقسم التشبيه باعتبار هذه الحال إلى ما يلى :

١ - تشبيه مفرد بمفرد بمفرد : كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيلَ لِبَاسًا ﴾^(٢) ، شبه الليل باللباس ووجه الشبه : الستر فالليل يستر الناس بعضهم عن بعض واللباس يستر صاحبه ، والظرفان كما نرى مفردان غير مقيدان ومنه قوله تعالى : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾^(٣) ، فشبه المرأة باللباس للرجل والرجل باللباس للمرأة ، فالظرفان مفردان بمفردهما ، ووجه الشبه جعله بعضهم حسيا فقال : لما كان الرجل والمرأة يعتقدان

(١) سورة الصافات آية ٦٥ .

(٢) سورة البأ آية ١٠ .

(٣) سورة البقرة آية ١٨٧ .

ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عنقه شبه باللباس المشتمل عليه فالوجه إذا هر الإحاطة والاشتمال ، واستدل لهذا بقول النابغة الجعدي :

إذا ما الضجيج ثنى عطفها تشت فكانت عليه لباسا

وجعله بعضهم عقليا فقال : المراد تشبيه كل واحد منهما باللباس للأخر لأنه يصونه من الواقع في فضيحة الفاحشة كاللباس الساتر للعورة^(١) ومن ذلك قوله تعالى : «ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشْدُ قَسْوَةً»^(٢) ، شبه قلوبهم بالحجارة بجامع القسوة والصلابة وأنه لا ينفذ إليها شيء من الخير والحق .. وطرف التشبيه مفردان مجردان .. ومن هذا التردد قولنا : وجه كالبدر .. شعر كالليل .. رجل كالأسد ، خد كالورد إلى غير ذلك من التشبيهات التي يكون طرفا التشبيه فيها من المفردات المجردة .

٢ - تشبيه مفرد مقيد بمفرد مقيد ، كقولنا : التعليم في الصغر كالنقش في الحجر ، فالمتشبه هو التعليم مقيدا بكونه في الصغر ، والمشبه به النقش مقيدا بالجار والمحرر أي بكونه في الحجر ، ووجه الشبه هو الثبات ودراوم الأثر ، فطرف التشبيه مفردان مقيدان ، ومن ذلك تشبيهنا من لا يحصل من سعيه على شيء بالقابض على الماء ، فالمتشبه مقيد بالصفة والمشبه به مقيد بالجار والمحرر والوجه وهو التسوية بين الفعل وعدمه في عدم الفائدة وخيبة مسعاه لا يتحقق إلا ببراعة القيدتين ، وكذا تشبيهنا من يحاول أن يجمع بين أمرين متباينين أو يتطلب محالاً من يجمع السيفين في غمد فالطرفان مقيدان ووجه الشبه هو أن كلاً منها يحاول محالاً .

ومثله قوله لهم من يخاطر بنفسه في طلب الأمر العسير : هو كعبتغى الصيد في عريسة الأسد ووجه الشبه : طلب الشيء من غير موضعه وقوفهم : هو كالحادي وليس له

(١) انظر الكشاف ج ١ ص ١٧٤ .

(٢) سورة البقرة الآية ٧٤ .

بعير .. يضرب مثلاً لمن يتفتح ويغحر بما لا يملك .. فالطرفان مقيدان ومنه قول ابن الرومي :

إلى و تزيينى ب مدحى معشراً ك معلق درا على خنزير

فالمشبه هو التكلم مقيداً باتصافه بتزيينه بمدحه معشراً والمشبه به من يلقي دراً مقيداً بكون تعليقه على خنزير ، فالطرفان مقيدان ووجه الشبه أن كلاً منها يضع الزينة في موضع لا يظهر لها فيه أثر .

٣ - تشبيهه مفرد مجرد بمفرد مقيد : قوله تعالى : **﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَانُوهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾**^(١) فالم المشبه هو الحالات في هذا اليوم والمشبه به الجراد مقيداً بهذه الصفة أي بكونه منتشرأً ووجه الشبه : الكثرة والتدافع وجولان بعضهم في بعض ومثله قوله تعالى : **﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَكَوْنُ الْجِبَالِ كَالْعِنْ مَمْفُوشِ﴾**^(٢) فالم المشبه مجرد وهو الناس والجبال ، والمشبه به : الفراش مقيداً بكونه مبثوثاً ، والعهن مقيداً بكونه منفوشاً ، ووجه الشبه في الأول : الضعف وزوال التماسك ، وفي الثاني : زوال القوة وتفرق الأجزاء ، ولا يخفى علينا أثر هذا القيد في تحقيق وجه الشبه .. ومدى دقة التعبير القرآني بإشاره هذه الألفاظ التي أبرزت وجلت حال الناس في هذا اليوم .. فالفراش مثل للضعف والحمقة والتهافت ومن كلام العرب (أطيس من فراشة) .. فإذا ما كان مبثوثاً فقد تم ضعفه واكتمل زوال تمسكه .. والعهن هو الصوف المصبع للوانا شتى فإذا ما كان منفوشاً فقد تفرقت أحرازه وزال كل ما به من قوة وتماسك .. ثم إثبات لفظ العهن دون الصوف ليعلم كل الجبال التي هي جدد يبيض وحمر مختلف الوانها وغرائب سود .. ومن ذلك قوله : ثغر الحبيب كاللؤلؤ

^(١) سورة القمر الآية ٧ .

^(٢) سورة القارعة الآيات ٤، ٥ .

المنظوم .. والرشوة طعام مسموم في سوء عاقبتها والغيثة لحم نعن تجتمع عليه الكلاب
وقول عبد الله بن المعتز :

لما رأيتها بدت فوق الجبل والشمس كالمرأة في كف الأشل

فالمشبهات في هذه الأمثلة ، مفردة مجردة وهي ثغر الحبيب والرشوة والغيثة
والشمس والمشبهات بها مفردة مقيدة وهي اللؤلؤ المنظوم والطعام المسموم واللحام النعن
والمرأة في كف الأشل .

٤ - تشبيه مفرد مقيد بمفرد مجرد : كقولنا : العين الزرقاء كالستان فالمشبه :
العين مقيدة بكونها زرقاء والمشبه به : السنان وهو مفرد مجرد ووجه الشبه هو الزرقة
الصافية .. وكذا قولنا : الأمل بلا عمل كالسراب فالمشبه الأمل مقيداً بكونه بدون عمل
والمشبه به : السراب وهو مفرد مجرد ووجه الشبه ، عدم الوصول إلى شيء .. وكذا تشبيه
الحياة في قيود المذلة باللحيم .. وتشبيه المرأة في يد الأشل بالشمس .. ولا يخفى علينا في
كل ما مر من شواهد وأمثلة أن القيد الذي قيد به الطرف له أثر في تحقيق وجه
التشبيه .. وهذا شرط في تقيد الطرف ، فإذا لم يكن للقيد أثر فلا اعتداد به .

٥ - تشبيه مركب بمركب ، كقول بشار يصف معركة :

كأن مثار النقع فوق رعوسنا وأسيافنا ليلاً تهادى كواكبه

شبه الهيئة المركبة من الغبار المثار والسيوف المتحركة حرّكات سريعة مضطربة
وإلى جهات مختلفة بالهيئة المكونة من الظلام والكواكب تتهادى وسطه وقد تداخلت
واستطالت أشكالها .. فطريقاً التشبيه مركب من عدة أمور قد امتزجت بعضها البعض
وكونت هيئة مركبة ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من سقوط أحراش مشرقة مستطيلة
متناسبة المقدار في جوانب شيء مظلم ، ومنه قول البحترى يصف فرساً :

ترى أحجاله يصعدون فيه صعود البرق في الغيم الجهام^(١)

(١) الأحجال جمع حجل وهو البياض في رجل الفرس : الغيم الجهام الذي لا ماء فيه .

فقد شبه الهيئة الحاصلة من ارتفاع البياض في قوائم الفرس وانتشاره ومخالطته
السوداء بال الهيئة الحاصلة من انتشار شعاع البرق في وسط الغيم .. فالظرفان مركبان ،
ووجه الشبه : الهيئة الحاصلة من اختلاط البياض بالسوداء .

ومنه قول المتنبي يمدح سيف الدولة :

يهز الجيش حولك جانبيه كما نفضت جناحيها العقاب^(١)

فالمشبه الهيئة المركبة من تحرك الجيش واضطرابه واهتزاز جانبيه ميمنة وميسرة
حول سيف الدولة ، والمشبه به الهيئة المكونة من صورة العقاب تنفض جناحيها وتحركهما
حرکات سريعة .. فالظرفان مركبان ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من شيء له جانبان في
حال حركة واضطباب وتمرّج .

وقول الفرزدق :

الشيب ينهض في الشباب كأنه ليل يصبح بجانبيه نهار

فالمشبه : الهيئة الحاصلة من نهوض الشيب في الشباب وتمكّنه منه وسيطرته
عليه وكأنه يؤذن بهلاكه ورحيله .. والمشبه به : الهيئة الحاصلة من نهار يصبح بجانبي ليل
وقد تمكن النهار وسيطر وصارت له الغلبة فهو الذي يصبح معلنا انتصاره وبروزه وتمكّنه
من خصميه وقد أحاط بجانبيه معلنا هلاكه وزواله .. فالظرفان مركبان ، ووجه الشبه هو
الهيئة الحاصلة من انتشار البياض في السوداء ..

وقول أبي طالب الرقي :

وكان أجرام النجوم لواماً درر نثرن على بساط أزرق

(١) العقاب : طائر كاسر معروف بالعزّة والمنعنة حيث يضرب به المثل في ذلك فيقال : أمنع من عقاب الجر ، وهو حفيظ الجناح سريع العبران .

وقول السرى الرفاء:

وكأن ال�لال نون بين غرقت فى صحيفة زرقاء

فالمتشبهان فى البيتين : الهيئة المركبة من التحوم المضيئة اللامعة وقد انتشرت فى أديم السماء .. فى البيت الأول .. ومن ال�لال وقد بدا أىض لاما مقوساً فى السماء الزرقاء .. فى البيت الثاني ، والمشبهان بهما على الترتيب المذكور : الهيئة الحاصلة من درر نثرت على بساط أزرق .. ومن فضة ظهرت مقوسة مثل حرف النون غارقة فى صحيفة زرقاء .. والوجه: الهيئة المكونة من أشياء لامعة مضيئة منتشرة فى شيء أزرق . ومن شيء أىض لامع مقوس فى شيء أزرق.

هل يتأتى تحويل التشبيه المركب إلى متعدد؟ :

عرفنا أن التشبيه المركب هو الذى ركبت أجزاءه وامتزجت والتحدت وصارت كالشيء الواحد . وأن المتعدد لا يحدث فيه هذا الامتزاج بل يبقى كل أمر مستقلًا عن غيره ومشبهًا بمنظيره فى الطرف الآخر .. وإذا نظرنا إلى التشبيهات المركبة وجدنا أن بعضها لا يمكن فصل أجزائه وجعلها تشبيهات متعددة وأن البعض الآخر يمكن فصل أجزائه وتحويله إلى متعدد ولكن هذا الفصل يمحو جمال الصورة التراكيبية ويدهش بغرض الشاعر وما يهدف إليه من بناء التشبيه وتركيبه .

فمن الأول الذى لا يمكن فصل أجزائه قول ابن المعتر:

غدا والصبح تحت الليل باد كطرف أشهب ملقي الجلال^(١)

(١) باد : ظاهر ، الطرف الأشهب : الفرس الأبيض ، والجلال : جمع جل وهو غطاء الفرس وعله كان يتغذى من قماش أسود .

يشبه ظهور الفجر وإضاءته في بقايا الليل المدبر بفرس أشهب مال عنه غطاوه
الأسود فبدا بياض الفرس في سواد الغطاء والوجه : اجتماع سراد قليل في بياض كثير ،
نطروا التشبيه مرکبان ، ولو حاولنا فصل الأجزاء في الطرفين فربما استقام تشبيه الصبح
بالفرس الأبيض ، ولكن حين نشبه الليل بالجلال لا يستقيم التشبيه لغثاثه وقدان ثمرته .

وقول التترخي :

كأنما المريخ والمشتري قدامه فى شامخ الرفة
منصرف بالليل عن دعوة قد أسرجت قدامه شمعة

يشبه الصورة الحاصلة من وقوع المريخ في السماء وهو كوكب مضيء شديد
اللمعان وقد تقدمه المشتري بالصورة الحاصلة من شخص منصرف في جنح الليل من
دعوة وقد تقدمه تابعه بمصباح مضيء له الطريق .. ووجه الشبه : الصورة المكونة من
وجود شيء مضيء يتقدمه شيء آخر مضيء وبينهما مسافة قصيرة .. ولو حاولنا فض
أجزاء الصورة فتشبهنا المريخ بالمنصرف قلنا ما ليس يقول لأنه لا وجه بين المريخ والشخص
المنصرف وربما استقام تشبيه المشتري بالشمعة لوجود وجه بينهما وهو الإضاءة ولكنك
ترى هذا التشبيه غثلاً ثمرة له ولا يستسيغه الذوق .

ومن الثاني قول بشار وقد مر بنا :

كان مشار النقع فوق رعوسنا وأسيافنا ليلى تهاوى كواكبه

وقول الرفاء وقد مر بنا أيضًا :

وكان الهلال نسون جلين غرقت فى صحفة زرقاء

وقول أبي طالب وقد سبق :

وكان أجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط أزرق

فلو فضضنا أجزاء الصور في هذه التشبيهات فشبها النقع بالليل والسيوف بالكراكب والهلال بتون اللجين والنجم بالدرر والسماء بالبساط الأزرق وبالصحيفة الزرقاء لصحت هذه التشبيهات من حيث تحقق وجه الشبه بين الأجزاء .. ولكن يضيع جمال التشبيه الذي أحدهه التركيب ويضيع غرض الشاعر الذي رمى إليه وقصد به هذه الصور المركبة .

٦ - تشبيه مفرد مركب : كقول ابن المعتر يصف بالهلال :

انظر إليه كزورق من فضة قد أثقلته حولة من عنبر^(١)

شبه الهلال وقد امتلاً قوسه المضيء بظلام الليل بزورق من فضة قد أثقل بحمولة من عنبر .. فالمشبه مفرد والمشبه به مركب ووجه الشبه : الهيئة الحاصلة من وجود جسم مضيء متقوس يملأ فراغ تقوسه أشياء سوداء قائمة .

وقول الخنساء تصف أخاه صخرا :

أغر أبلج تأم الهدأة به كأله علم في رأسه نار^(٢)

فالمشبه مفرد وهو صخر والمشبه به مركب وهو الهيئة الحاصلة من الجبل والنار المشتعلة في قمته .. ومن ذلك تشبيه النيلوفر بدبابيس عسجد قطبيها من زيرجد .. وتشبيه شقائق النعمان بأعلام ياقوت منشورة على رماح زيرجد .. فالمشبه مفرد والمشبه به مركب وقد مر بنا هذان التشبيهان .

٧ - تشبيه مركب بمفرد وهو قليل ومنه قول أبي تمام :

**يا صاحبى تقصىا نظريكمَا تريا وجوه الأرض كيف تصور
تريا نهارا مشمسا قد شابه زهر الربا فكأنما هو مقر^(٣)**

(١) الضمير في "إليه" يعود إلى الهلال.

(٢) العلم : الجبل .

(٣) تقصيا : اجتهدا في النظر وأبلغا أقصى نظريكمَا من تقصيته : بلغت أقصاه ، و النهار المشمس الذي لا غيم فيه ، وشابه : معالجه ، والربا : جمع ريبة وهي الأرض المرتفعة .

يشبه الهيئة الحاصلة من الشمس الساطعة على الروابي المزهرة المخضرة وقد اختلطت الأشعة المشرقة بالخضرة القاتمة فانكسرت بهذا الاختلاط حدة الضوء حتى صار يضرب إلى السواد .. يشبه هذه الهيئة المركبة بليل مقمر .. فالمشبه به مفرد مقيد والمشبه مركب .

ثالثاً : أقسام التشبيه باعتبار وحدة الطرفين أو تعددهما :

ينقسم التشبيه باعتبار هذه الحال إلى خمسة أقسام :

الأول : أن يكون المشبه واحداً والمشبه به كذلك كقوله تعالى : **﴿فَجَعَلْنَاهُمْ كَعَصْنِفِي مَاكُولٍ﴾**^(١) المشبه : أصحاب الفيل والمشبه به : العصف المأكول وكلاهما واحد فلا تعدد . وكذا قوله تعالى في وصف هلاك ثمود قوم صالح - عليه السلام - : **﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمَ الْمُخْتَطِرِ﴾**^(٢) فقد شبه القوم بالهشيم وكلاهما واحد لا تعدد فيه .. وانظر إلى دقة التعبير القرآني في استخدام الألفاظ وإلى إيحاءات تلك الألفاظ فقد عبر عن هلاك ثمود بأنهم صاروا كالهشيم وهو الشجر اليابس وهذا يكفي في إفاده هلاكهم ولكنه أضاف إلى المشبه به هذا القيد "المختضر" أي : الذي يعمل الخطيئة لمراثيه من يابس الشجر فما سقط منها وداسته فهو الهشيم ولذا أفاد هذا القيد حقارتهم وازدرائهم فهم كالهشيم الذي تطوه الدواب وتبول عليه وتروث ، ثم عبر عن هلاك أصحاب الفيل بأنهم جعلوا كالعصيف وهو ورق الزرع وهذا كاف في إفاده هلاك ولكته قيد العصف بهذه الوصف "ماكول" أي : أكلته الدواب وراثت عليه وبالـ فهم قد صاروا إلى حال أخرى في أجسادهم بخلاف الصورة الأولى التي تصور هلاك ثمود فثمود قد تهشمـوا وبقيت أحصاف أجسامهم كما هي .. التعبير القرآني قد أبرز هلاك أصحاب الفيل في صورة أشد وأفظع من هلاك ثمود ويرجع ذلك إلى الحال الذي اقتضى هلاك كل فثمود عقرروا الناقة وأعرضوا عن آيات ربهم وأصحاب الفيل قد

(١) سورة الفيل الآية ٥ .

(٢) سورة القمر الآية ٣١ .

قصدوا الكعبة وأرادوا هدم البيت واقتلاع أنسنه ، أرادوا إزالة أول بيت وضع للناس ولذا كان هلاكهم أشد .

ومن هذا القسم قولنا : خد كالورد .. فتاة كالبدر .. محمد كالأسد .. الأمير كحاتم في الكرم .. فهذه التشبيهات لا تعدد في طرفيها حيث شبه في كل منها شيء واحد بشيء واحد .

الثاني: أن يشبه شيء واحد بشيئين أو بأكثر أو بمعنى آخر أن يتعدد المشبه به دون المشبه ويسميه البلاغيون تشبيه الجمع لأنه قد جمع للمشبه الواحد عدة أشياء جعل كل واحد منها مشبهًا به .. ومن ذلك قول عمران بن حطان :

أسد على وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر

فقد شبه مخاطبه بالأسد ثم بالنعامة فالمشبه واحد والمشبه به متعدد

وقول البحترى :

كانا يرسم عن لؤلؤ منضد أو برد أو أقاح^(١)

يريد أنه يرسم عن ثغر كلؤلؤ منظم وكمبات الثلج الخالص البياض وكزهار الأقحوان في شدة بياضه .. فالمشبه واحد والمشبه به متعدد ، وقول أمرى القيس :

كان المدام وصوب الغمام وريح الخزامي ونشر القطر

يعمل به برد أنيابها إذا غرد الطائر المستحر

التشبيه في البيتين من التشبيهات المقلوبة وقد يكون ضميماً كما مر بنا والمهم هنا أنه شبه برد أنياب حبيته بالمدام وصوب الغمام وريح الخزامي ونشر القطر في حسن المذاق والصفاء وطيب الرائحة ، فالمشبه واحد والمشبه به متعدد .

^(١) المنضد : المنظم ، والبرد : حب الغمام ، والأقاح : جمع أقحوان وهو ورد له نور أوراقه في شكلها أشبه شيء بالأسنان .

وقول الآخر يصف سيره ليلاً متخلاصاً للهجاء.

قطعت دجاجيه بسوم مشرد كعقل سليمان بن فهد ودينه

فالمشبه واحد وهو النوم المشرد والمشبه به متعدد وهو : عقل سليمان ودينه.

الثالث : أن يشبه شيئاً أو أكثر بشيء واحد، يعني أن يتعدد المشبه دون المشبه به ويسمي البلاطيون : تشبيه التسوية لأنه قد سوى بين عدة مشبهات في مشبه به واحد.

كقول القائل :

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحالات إذا دجون نجوم

فالمشبه متعدد وهو الآراء والوجه والسيوف والمشبه به واحد وهو النجوم.

وقول الآخر :

صلان الحبيب وحالي كاللالي

وثرره في صفاء وأدمعى كاللالي^(١)

فقد شبه هذا المحب صدغ حبيبه وحاله وقد تعرّف حبه باللالي بمجموع السواد فالمشبه متعدد والمشبه به واحد ثم شبه في البيت الثاني ثغر الحبيب ودموع المحب باللالي الصافية ووجه الشبه : الصفاء فالمشبه متعدد أيضاً والمشبه به واحد.

الرابع : أن يتعدد كل من المشبه والمشبه به ويقرن كل مشبه بالمشبه به في الذكر ويسمي بالملفوق لأنه قد فرق بين المشبهات والأمور المشبه بها ويسمي أيضاً بغير الملفوف

^(١) الصدغ : ما بين الأذن والعين وبطريق على الشعر المتدل من الرأس على هذا الموضوع وهو المراد هنا ، والثغر : الفم أو مقدم الأسنان والثاني هو المراد هنا ، وتشبيه أدمعه باللالي يدل على سائرتها وغزارتها لأنه إذا كثر ماء المنبع صفا عما فيه من الكدر.

لأن المشبهات قد فرق بينها فلم تلف وكذلك الأمور المشبه بها قد فرق بينها بالمشبهات
فليست ملفوقة ، ومن ذلك قول المرقش الأكير:

النشر مسك والوجه دسا نير وأطراف الأكف عنم^(١)

فقد تعددت التشبيهات في البيت وقرن كل مشبه بالمشبه به .

وقول الآخر :

فالأرض ياقوتة والجسو لؤلؤة والنبت فيروزج والماء بلّوز^(٢)

وقول أبي طالب :

بدت قمراً ومالت خوط بان وفاحت عنيراً ورنت غزا^(٣)

فالتشبيهات في البيتين متعددة وقد قرن كل مشبه بالمشبه به .

الخامس : أن يتعدد كل من المشبه والمشبه به وتكون المشبهات مجتمعة في طرف
والأمور المشبه بها في طرف آخر ويسمى الملفوف أو المقوون لأن المشبهات قد اقتربت
ولفت في طرف وكذلك الأمور المشبه بها . ومن ذلك قول أمرئ القيس :

كان قلب الطير رطباً ويايساً

لدى وكراها الغُنَابُ والخشف البالى

فالمشبه في البيت متعدد وهو قلوب الطير الرطبة وقلوبها اليابسة والمشبه به
كذلك وهو العناب المقابل للقلوب الرطبة والخشف البالى المقابل للقلوب اليابسة ، وقد
اجتمعت المشبهات في طرف المشبهات بها وجدت في الطرف الآخر .

(١) النشر : الراحلة الطيبة ؛ والعنم : شجر له ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخصوص .

(٢) الفيروزج : ضرب من الأصياغ ، والبلور : حجر صاف .

(٣) الخوط : الغصن الناعم ، والبان : شجر معتدل القوام لين ، ورنت : نظرت .

وقول الآخر:

لیل و لدر و غصن	شعر و وجه و قد
خودر و ورد	ریق و لفیر و خد

فقد جمع في البيت الأول ثلاثة تشبيهات وكل ذلك في البيت الثاني وووجدت التشبيهات في طرف والأمور المشبه بها في الطرف الآخر فهو من التشبيه المتعدد المأثور .

الفرق بين التشبيه المتعدد والتشبيه المركب

إذا تأملنا ما مر بنا من شواهد للتشبيهات المركبة والتشبيهات المتعددة وجدنا أن هناك اختلافاً بينهما مرجعه إلى أن التشبيهات المركبة تختلط فيها الأمور أو الصفات التي يتكون منها الطرف ومتزوج وتحد بحسب تصير هيئة مركبة لا يتأتى فيها الفصل بين أجزاءها أما التشبيهات المتعددة فلا اتحاد بينها ولا امتزاج بل كل تشبيه منها يمكن أن يستقل بنفسه.. ففى البيت :

كان قلوب الطير رطباً وباساً

لدى وكرها الغَبَابُ والْحَشَفُ البَالِ

يمكن أن يستقل تشبيه قلوب الطير الرطبة بالعناب دون أن يؤثر هذا الاستقلال في تشبيه القلوب اليابسة بالحشف البال ، ولا يتأتى ذلك في التشبيهات المركبة ، وكذلك التشبيهات المتعددة يتأتى فيها التقديم والتأخير وتغيير موطن كل منها بنقله إلى مكان غيره دون أن يؤثر ذلك في دلالة كل تشبيه .

ففى بيت المرقش الأكابر :

النشر مسک والوجوه دنار وأطراف الأكف عنم

يتأتى أن نقول : الوجوه دنانير والنشر مسک وأطراف الأكف عنم ، وليس لهذا التغيير تأثير في دلالة التشبيهات ، ولا يتأتى ذلك في التشبيهات المركبة لأنها بنيت على الاتحاد والامتزاج كما قلنا.

وبهذا يتضح لنا أن التشبيهات المتعددة تختلف عن التشبيه المركب من ثلاثة وجوه :

أو هما : أن التشبيهات المتعددة لا يجب فيها ترتيب بل يتأتى فيها التقديم والتأخير دون أن يؤثر ذلك في دلالة التشبيه وهذا لا يتأتى في التشبيه المركب لبنائه على الامتزاج والاتحاد .

الثاني : أن التشبيهات المتعددة يجوز حذف بعضها دون أن يؤثر هذا الحذف على مaticى من تشبيهات ولا يتأنى هذا في التشبيه المركب .

الثالث : أن التشبيهات المتعددة يعطى بعضها على بعض عطف المستقل على المستقل . أما التشبيه المركب فإنه في الغالب يذكر فيه أحد أجزاءه على وجه التعب للآخر كأن يكون في صلته أو صفتة أو حالا منه أو معطوفا عليه بالفاء أو ثم فإذا توسطته الوار كانت للمعية أو للحال أو عاطفة متضمنة للمعية .

وهذا لا يعني أن التشبيهات المتعددة ليس لها من قيمة فنية بل لها قيمتها الفنية وميزتها التي ترجع إلى ما فيها من إيجاز في التعبير وحسن التنسيق والجمع بين التشبيهات المتجانسة في تعبير واحد . ولكنها لا تصل إلى مرتبة التشبيهات المركبة التي تبرز سعة الخيال وقوة التصوير وإحكام البناء .

مباحث وجه الشبه

وجه الشبه هو المعنى الذي يشترك فيه طرفا التشبيه تحقيقاً أو تخيلأً ، فمعنى اشتراك الطرفين في الوجه تحقيقاً أن يكون وجوده في كل منهما على جهة التحقيق مثل تشبيه الشعر بالليل والرجل الشجاع بالأسد ، فوجه الشبه وهو السواد في التشبيه الأول والشجاعة في الثاني موجود في كل من المشبه والمشبه به على جهة التحقيق ، إلا أن وجود السواد في الليل أقوى وأشهر من وجوده في الشعر ، وكذا الشجاعة وجودهما في الأسد أعرف وأقوى من وجودها في الرجل الشجاع ، فالوجه محقق في الطرفين موجود في كل منهما وإنما يقع الفرق بين وصف كل منهما به من جهة الزيادة والنقصان والقرة والضعف ، فغالباً ما يكون وجه الشبه في المشبه به أبرز وأعرف وأقوى ، وقد يتساوا في اتصافهما به ، وقد يكون الوجه أقوى وأكمل في المشبه وأبرز وأشهر في المشبه به كما سنرى عند حديثنا عن أغراض التشبيه .

وأما وجه الشبه التخييلي فهو الذي يكون وجوده في أحد الطرفين على جهة الحقيقة وفي الآخر على جهة التخييل والتأويل .. كما في قول القاضي التنوخي:

وكأن الجوم بين دجاهما سنن لا ح بينهن ابتداع^(١)

فقد شبه انتشار النجوم في السماء وقد تخللتها قطع من سواد الليل بالسنن الراضحة وقد اندسست بينها البدع ، ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من وجود أشياء مشرقة مضيئة في جوانب شيء مظلم وهو مركب حسي ، وهذا الوجه موجود على جهة التحقيق في المشبه ، ولا يوجد في المشبه به إلا عن طريق التخييل لأن السنن والبدع من المقولات التي لا تتصف بصفة المحسوسات ، والتخيل الذي نقصده أن تتأمل أجزاء الصورة في الطرفين حتى نصل إلى إمكان الجمع بينهما في الوجه المذكور وذلك بأن نقول : هناك وجه شبه بين أجزاء الطرفين خلاف ما هو لون أي : خلاف الإشراق والسواد فالسنة تشبه بالنجم بجماع الاهتمام بكل منهما والبدعة تشبه بالليل بجماع الإضلال وهذا الوجه الآخر جعل جزأى الصورة قد تماثلا وتأخيا عند النفس ، ثم إن البدعة والكفر وكل ما هو جهل قد ذاع بين الناس واشتهر وصفه بالظلم والسواد وكذلك السنة والإيمان وكل ما هو علم قد اشتهر وصفه بالإشراق والبياض قال تعالى : **﴿يُخْرِجُهُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(٢)** ، وقال عليه الصلاة والسلام : "أَتَيْتُكُمْ بِالْحَيْثِيَّةِ الْبَيْضَاءَ" ، ويقال : شاهدت سواد الكفر في جبين فلان ، ونور الإيمان يشرق في وجه فلان .

فلما اشتهر ذلك وذاع رکثر ترهمت النفس وتخيلت أن في البدعة ما في الليل من ظلام وسود وأن في السنة ما في النجم من إشراق وبياض وصح لديها أن تشبه

(١) الدجى : الظلمام مفرد : دجية وهي الظلماء ، ويجوز أن يحصل في أحد الشطرين قلب ليتواتق الطران في تحقيق الهيئة والمعنى بعد القلب وكأن الدجى بين النجوم أو سنن لا حت بين ابتداع .

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٧ .

الستن اندست بينها البدع بالنجوم يتخللها الظلام بجماع الهيئة الحاصلة من وجود أشياء مشرقة مضيئة في جوانب شيء مظلم أسود كما استقام لديها إذا أرادت المبالغة أن تقبل التشبيه فتشبه التحوم بين الدجى بالستن بين البدع بادعاء أن الرجل المذكور أقرى في السنين بين البدع منه في التحوم بين الدجى . وبهذا التخييل صار ما ليس بمتلون وهو السنة والبدعة متلونا وصارت السنة بقضاء مشرقة والبدعة سوداء مظلمة.

ومن ذلك قول التترخى أيضاً :

**فانهض ينار الى فحم كأنهما
في العين ظلم وإنصاف قد اجتمعا**

تشبه الهيئة المكونة من صورة النار المشتعلة في الفحم بالصورة المكونة من الظلما يصاحب الإنصاف في مرأى العين بجماع الصورة الحاصلة من وجود شيء مشرق بجوار شيء مظلم .

وذلك بناء على ما اشتهر من وصف الظلما بالسوداد فى مثل قوله عليه الصلاة والسلام : "الظلما ظلمات .." ووصف الإنصاف والعدل بالنور والإشراق فى نحر قوله : عدل واضح كنور الصبح ، فوجه الشبه موجود فى التشبيه به على طريق التخييل وجعل ما ليس بمتلون متلونا .

ولنا أن يجعل وجه الشبه فى البيتين تقيقيا وهو زيادة حسن الشيء بمحاجرة ضده ويكون هدف الشاعر أن ييرز الدلالة على زيادة حسن السنة فى أعين الناس بمحاجرتها البدعة القبيحة ، وعلى زيادة حسن الإنصاف بمحاجرته الظلما ثم قلب التشبيه فتشبه المحسوس بالمعقول مبالغة وادعاء فالتشبيه قد خرج عن الأصل من هذه الجهة لأن الأصل أن يشبه المعقول بالمحسوس كما فى قول البغوى :

**وقد زادها إفراط حسن جوارها
خلاف أصغار من الجد خيب
وحسن دراري الكواكب أن ترى
طوالع فى داج من الليل غيوب^(١)**

(١) أصغار : جمع صغر والمعنى : حالية ، ودراري : جمع درى وهو الكوكب الثاقب المرضى كالدر ، والداجي : المظلما ، والغيوب : شديد السوداد .

فقد شبه المعقول وهو الهيئة الحاصلة من وجود خلائق لها مجد بجوار خلائق خالية منه بالمحسوس وهو الهيئة الحاصلة من وجود دراري الكواكب في ليل غيوب بجامع زيادة حسن الشيء بمحاورة ضده.

ومن التشبيه التخييلي قول أبي طالب الرقي :

ولقد ذكرتك والظلام كأنه يوم النوى وفؤاد من لم يعشق

فقد شبه الظلام يوم النوى وبفؤاد من لم يعشق بجامع السواد في كل فالوجه موجود في المشبه على طريق التحقيق وفي المشبه بهما على طريق التخييل بناء على ما ذاع واشتهر من قوله : اسود النهار في عينيه وأظلمت الدنيا أمامه وقلبه أسود كالليل. فقد اشتهر وصف يوم الفراق بالسواد ووصف الذين لم يعشقا بقسوة القلوب ووصف القلب القاسي بالسواد ولذا صع التشبيه واستقام على طريق التخييل وجعل ما ليس بمتلون وهو يوم النوى وفؤاد من لم يعشق متلونا مسودا ثم أكد الشاعر هذا التخييل يجعل السواد في كليهما أشد وأقوى منه في ظلام الليل وذلك بقلب التشبيه وجعل الظلام الذي سواده محسوس متحققاً ويوم النوى وفؤاد من لم يعشقا للذين سوادهما متخيل مشبه بهما .

ومن ذلك قول ابن بابك :

وأرض كأخلاق الكرام قطعتها وقد كحل الليل السماك فابصرا

شبه الأرض بأخلاق الكرام بجامع السعة والانبساط فرجه الشبه موجود في المشبه على طريق التحقيق وفي المشبه به على طريق التخييل وجعل ما ليس متتصفاً بالسعة متتصفاً بها بناء على ما اشتهر من وصفهم الخلق الكريم بالسعة في قوله : فلان رحب الأخلاق واسع الحلم فسيح المعرفة . ثم بالغ الشاعر في تخيله فقلب التشبيه مدعياً أن أخلاق الكرام أحق بوصف السعة والانبساط من الأرض المبسوطة الممتدة .

ومنه قول الصاحب بن عباد مخاطباً أحد القضاة وقد أهدى الصاحب إليه عطراً
وأرفقه بهذين البيتين :

يأيها القاضى الذى نفسى له مع قرب عهد لقائه مشتاقة
أهديت عطراً مثل طيب ثالثه فكان أهدى له أخلاقه

فقد شبه العطر بالثناء وبالأخلاق مجتمع استطابة النفس فى كل وذلك على طريق التخييل
وجعل ما ليس بمشموم وهو الثناء والأخلاق مشموماً وذا رائحة طيبة زكية ثم بالغ فى التخييل
والتوهم فجعل رائحتهم أطيب من رائحة العطر وذلك بقلب التشبيه ليؤكده تخيله .

وقول ابن طباطبا :

كأن انتضاء البدر من تحت غيمه نجاء من البأساء بعد وقوع^(١)

يشبه خروج البدر المثير من تحت السحاب المعتم بخلوص الإنسان من الشدة بعد
الوقوع فيها ووجه الشبه هو الانكشاف وزوال الظلام عن الشيء المشرق حتى يبرز
ويتضىء وهذا الوجه متحقق في المشبه ومتخيل في المشبه به بناء على ما شاع بين الناس من
تشبيه الشدائدين والكاره بظلام الليل لمكافحة الإنسان منها ما يكابد السارى في الظلام ،
ومن تشبيه التخلص منها بالخروج من ظلام الليل إلى ضوء النهار ، ولذا استقام التشبيه
في البيت على طريق التخييل وجعل ما ليس بمتلون متلوناً ثم بالغ الشاعر في تخيله فجعل
ما في الشدائدين سواد وما في الخلاص منها من بياض أشد وأقوى من ضياء البدر
وظلام السحاب وذلك بقلب التشبيه وتصوير المحسوس بالمعقول .

وبهذا يتضح لنا أن وجه الشبه لا بد أن يكون مشتركاً بين الطرفين موجوداً
وملاحظاً في كل منهما إما عند طريق التحقيق وإما عن طريق التخييل والتأويل ، فإذا

(١) الانتضاء : الانكشاف ، نجاء : مخلص ، البأساء : الشدة .

لم يكن موجوداً ولاحظنا في كلا الطرفين كان التشبيه فاسداً ومعيباً : فإن جعلنا وجه الشبه في قوله : النحو في الكلام كالملح في الطعام ؛ أن كثرة الاستعمال مفسدة وقلتها مصلحة فسد التشبيه لأن الوجه عندئذ يكون محققاً في المشبه به ولا يتأتى تحقيقه في المشبه إذا النحو لا يتحمل القلة والكثرة فالمراد رعاية قواعده واستعمال أحكامه من رفع الفاعل ونصب المفعول وحرر المحرور فإن تحققت هذه الأحكام صلح الكلام وإلا فسد أما استعمال الملح في الطعام فكتيره مفسد وقليله مصلح ولذا كان الوجه الجامع الموجود في كلا الطرفين أن الاستعمال مصلح والإهمال مفسد بغض النظر عن القلة والكثرة وبناء على ذلك عيب التشبيه في قوله ابن شرف :

غيري جنى وأنا المعاقب ليكم فكأنني سبابة المتندم

لأن وجه الشبه وهو معاقبة البريء وترك الجانبي محقق في المشبه دون المشبه به فإذا السبابة جزء من المتندم فعندما بعض عليها عند ندمه تقع العقوبة عليه لأن سبابة جزء منه وعندي لا يكون العاقب غير الجانبي ، والصواب في مثل هذا التشبيه قول النابغة يعتذر للنعمان بن المنذر :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وهل يأثم ذؤامة وهو طائع
لكلفتشي ذنب امرئ وتركه كلذى العري يكون غيره وهو راتع^(١)

فقد شبه نفسه وقد أحده النعمان بذنب لم يفعله وترك معاقبة الجانبي بحال البعير الأجرب إذا أريد شفاؤه يقوم صاحبه بكى بغير سليم حال من المجرب كى يشفى البعير المصاب الأجرب وذلك بناء على قاعدة سائدة بين العرب في الجاهلية .

(١) الريبة : الشك ، والإمة : الدين أو النعمة أسدت إليه ، والعر : المغرب ، وراتع : اسم فاعل من رتع بالمكان إذا أقام فيه وأكل وشرب .

فرجه الشبه وهو معاقبة البريء وترك الجانى موجود فى كل من المشبه والمشبه به على وجه التحقيق ولذا كان تعبير النابغة جيداً وتشبيهه صواباً محققاً ، وكان تعبير ابن شرف القبروانى ردينا وتشبيهه معيناً فاسداً .

أحوال وجه الشبه

أحوال وجه الشبه التي تعرض لها أو صفاته التي يتصف بها والتي هي محطة أنظمار البلاعجين تنحصر فيما يلى :

١ - ما يتتصف به وجه الشبه من حسية أو عقلية فالحسية كالنعومة في تشبيه الجسم بالحرير والإشراق في تشبيه الرجه بالبدر والرائحة في تشبيه الرائحة الطيبة بالمسك أو بالعنبر إلى غير ذلك من الصفات الحسية التي يدركها المرء بمحاسة من المرواس الخمس الظاهرة . والعقلية كالشجاعة في تشبيه الرجل بالأسد والكرم في تشبيه رجل بحاتم والذكاء في تشبيه الذكى بياياس والحلم في تشبيه الرجل الملائم بأحذف وعدم القدرة على الحركة في تشبيه المرض الشديد بالموت إلى غير ذلك من الصفات المدركة بالعقل أو الوجدان .

٢ - ما يتتصف به وجه الشبه من إفراد أو تركيب أو تعدد . فالوجه المفرد يكون شيئاً واحداً لا تركيب فيه ولا تعدد كالحمراء في تشبيه الحد بالورد والجرأة في تشبيه الرجل الجريء بالأسد ، والوجه المركب متألف من عدة أمراء امتزجت واتحادت وكونت هيئة واحدة وذلك كالمليئة المكرنة من سقوط أجرام بيض مستطللة في حوائب شئ مظلم إذا شبهنا السيف تتحرك وسط الغبار في المعركة بليل تهساوى كواكبه فهذا الوجه مركب حسى ، وكاهية العقلية المكرنة من حرمان الاتفاف بأبلغ نافع مع تحمل التعب في استصحابه كما في قوله تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حَمَلُوا التُّرْزَةَ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثْلِ الْحَمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَالًا﴾^(١) .

(١) سورة الجمعة الآية ٥ .

والوجه المتعدد : ما كان مكونا من شيئاً أو عدة أشياء كل واحد منها مستقل بنفسه صالح لأن يكون وجه شبه على حدة ، كالسعة والامتداد والطول والعنوبة في تشبيه نهر بأخر ، وكقوة الإيمان ومحبة الرسول ﷺ والتفضي في نصرته إذا شبها المهاجرين بالأنصار .

ويلاحظ في الوجه المفرد والمركب والمتعدد أنه قد يكون حسياً وقد يكون عقلياً كما هو واضح في الأمثلة .

٣ - ما يكون عليه وجه الشبه من ذكر كقوله تعالى : **﴿فَوْمُ فَسَتْ قُلُوِّيْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُ قَسْوَةً﴾**^(١) فوجه الشبه وهو القسوة في تشبيه القلوب بالحجارة مذكور في النظم الكريم ، ومن ذلك قولنا : وجهه كالبدر ضياء ، أو حذف كقوله تعالى : **﴿هُنَّ لِيَسَاسٌ لَكُمْ وَأَتْسَمَ لِيَسَاسٌ لَهُنَّ﴾**^(٢) فوجه الشبه وهو الإحاطة والاشتمال أو الصيانة والستر مذكور في النظم الكريم . ومن ذلك قولنا : هذا الرجل كالأسد ، فالوجه مذوق تقديره : شجاعة .

٤ - ما يكون عليه وجه الشبه من ظهور ووضوح أو دقة تخرج إلى التأمل والتفكير فمن الأول : تشبيه الوجه بالبدر في الإشراق والشعر بالليل في السواد والخد بالورود في الحمرة والرجل بالأسد في الجرأة وغير ذلك من التشبيهات القريبة الواضحة . ومن الثاني تشبيه المرأة في كف الأشل بالشمس في الاستدارة والإشراق والحركة المضطربة وتشبيه البرق بمصحف القارئ في حرکتی الانفتاح والانطباق حيث ينشأ عن الأولى ظهور وبروز وعن الثانية انتفاء وزوال إلى غير ذلك من التشبيهات التي يكون الوجه فيها دقيقاً بعيداً يحتاج في الوقوف عليه وبتحليله إلى كثير من التفكير والتأمل .

^(١) سورة البقرة الآية ٧٤ .

^(٢) سورة البقرة الآية ١٨٧ .

وقد نظر البلاطيون إلى هذه الصفات التي يتصف بها وجه الشبه والحال التي يوجد عليها وقسموا التشبيه بالنظر إلى كل حال منها إلى أقسام ستفعل عليها إن شاء الله فيما يلي وستقرن كل قسم من تلك الأقسام بالشاهد المخللة الموضحة وذلك حتى تتضح القاعدة من خلال الشاهد والله المستعان .

أقسام وجه الشبه

ينقسم وجه الشبه باعتبار حسيته وعقليته وإفراده وتركيبه وتعدده إلى سبعة

أقسام :

أولها : أن يكون وجه الشبه واحداً حسياً كقوله تعالى : **(فَوَلَّهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَاتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ)**^(١) شبهت السفن الجارية في البحر بالجبال ووجه الشبه : الصخامة .. فوجه الشبه واحد حسي . وكذلك طرفا التشبيه حسينان مفردان .

ومن ذلك الحمرة في تشبيه الخد بالورد ، والإشراق في تشبيه الوجه بالبدر ولدين الملمس في تشبيه البشرة بالحرير ولذلة الطعم في تشبيه الريق بالثمر وطيب الرائحة في تشبيه النكهة بالعنبر .. فوجه الشبه في هذه الأمثلة - كما نرى - مفرد حسي .. وكذلك طرفا التشبيه .

ما ينتزع وجه الشبه الواحد الحسي ؟ :

ووجه الشبه المفرد الحسي لا ينتزع إلا من طرفين مفردين . كما في الأمثلة المشار إليها ، وذلك لأن تركيب الطرفين يستدعي تركيب وجه الشبه .. فيتحقق أن يكون طرفاً مفرداً ، وكذلك الغالب^(٢) في هذا الوجه أن يكون طرفاً حسيناً ، كما في الأمثلة ولا ينتزع من طرف عقلي إلا بتأويل وتخيل كما في قول ابن بابك :

وأرض كأخلاق الكرام قطعتها وقد كحل الليل السماك فابصرنا

^(١) سورة الرحمن ، الآية : ٢٤ .

^(٢) أوجب بعض البلاطيين انتزاع هذا الوجه من طرفين حسينين ضرورة امتناع أن يدرك بالحس من غير الحسي شيء ، انظر الإيضاح ج ٣ ص ٢٣ . وقد أوضحنا أن هذا الإدراك حائز عن طريق التخييل والتأويل .

فالمشبه في البيت مفرد حسي وهو الأرض .. والمشبه به : مفرد عقلي وهو أخلاق الكرام . وقد جمع بينهما الشاعر في وجه شبه حسي وهو : السعة أو الامتداد والانبساط ولكن هذا لوجه موجود في المشبه الحسي على جهة التحقيق موجود في المشبه به العقلي على طريق التخييل والتأويل كما مر بنا .. وبهذا يتضح لك أن وجه الشبه المفرد الحسي ينزع في الغالب من طرفين حسينين وقد يتزعم من طرف عقلي على جهة التأويل والتخييل . وتحتم أن يكون انتزاعه من طرفين مفردين .

القسم الثاني : أن يكون وجه الشبه واحداً عقلياً ... وينزع هذا الوجه من طرفين حسينين مفردين . كما في قول النبي - ﷺ - " أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم" . فقد انتزع وجه الشبه وهو مطلق الاهداء من طرفين مفردين حسينين وهما الصحابة - رضي الله عنهم - والنجمون ، ومن ذلك انتزاع الشجاعة من الرجل الشجاع والأسد في قوله : هذا الرجل كالأسد . والوجه في المثالين وهو : الاهداء والشجاعة واحد عقلي . كما ينزع من طرفين مفردين عقليين خار قوله : العلم كالحياة فوجه الشبه وهو جهة الإدراك مفرد عقلي وقد انتزع من طرفين مفردين عقليين . وكذا قوله الجهل كالملوت في فقدان الإدراك فقدان الإدراك مفرد عقلي وقد انتزع من مفردين عقليين ، وينزع هنا وجه أيضاً من طرفين مفردين مختلفين كانتزاع الاغتيال من المنية والسبع عند تشبيهها المنية بالأسد فالمشبه وهو المنية عقلی والمشبه به : الأسد حسي وقد انتزع منها وجه الشبه المفرد العقلي وهو الاغتيال . وكذا تشبیه العدل بالقسطاس في تحصیل ما بين الزيادة والنقصان ، فالمشبه مفرد عقلي "العدل" والمشبه به مفرد حسي "القسطاس" . وقد انتزع منها وجه الشبه المذكور وهو واحد عقلي .. و كانتزاع استطابة النفس من تشبیه العطر بالثناء وبالخلق الكريم في قول الصاحب :

أهديت عطرًا مثل طيب ثناه
فكانما أهداى لـه أخلاقه

فالتشبيه مفرد حسى وهو العطر والمشبه به مفرد عقلى وهو الثناء بالأخلاق الكريمة . وقد انتزع منها الوجه المفرد العقلى وهو استطابة النفس .. وبهذا يتبين لنا أن التشبيه بالوجه المفرد العقلى لا ينتزع إلا من الأطراف المفردة للسبب المذكور في الوجه الواحد الحسى ، وهو لا ينتزع من الأطراف الحسية وحدها ولا من الأطراف العقلية وحدها بل يعمها جميعاً . ولذا يقال إن التشبيه بالوجه العقلى أعم من التشبيه بالوجه الحسى لأن الوجه الحسى - كما يبنا - ينتزع من الأطراف الحسية غالباً ولا ينتزع من الطرف العقلى إلا بتحليل وتأول .

القسم الثالث : أن يكون وجه الشبه مركباً حسياً ، والغالب في هذا الوجه أن ينتزع من طرفين حسينين ولا يمكن انتزاعه من الأطراف العقلية إلا بتحليل وتأول - كما مر في وجه الشبه الواحد الحسى - ومن ذلك قول التبرغى :

وكان النجوم بين دجاهما سُن لاح بينهما ابتداع

فوجه الشبه وهو الهيئة الحاصلة من وجود أشياء مشرقة مضيئة في جوانب شيء مظلوم . مركب حسى وقد وجد في المشبه على وجه التحقيق وفي المشبه به عن طريق التخييل والتأول .

ويتأتى انتزاع هذا الوجه من طرفين مفردين . كما في قول ذى الرمة :

وسقط كعين الديك عاورت صاحبى

أباها وهيأتا لوقعها وكر(١)

(١) السقط : النار الساقطة من الزند وهى تنزل منه ووسطها أسود وحافتها حمراء كعين الديك ، وعاورت : ناوبت وكان من عادتهم عند استخراج النار أن يأتوا بعودين يوضع أحدهما أسفل ويسمى أثني فيفرض فيه فرضًا ويحر فيه عود آخر يسمى أبا فإذا طال الزمن ولم تخرج النار تناوبه حتى تخرج ... والوكر : ما تودع فيه النار بعد خروجها .

فوجه الشبه وهو الهيئة المؤلفة من اجتماع الحمرة والشكل الكروي وصغر الحجم مركب حسي وقد انتزع من طرفين مفردين هما : السقط " وهو ذاك الشرر المنبعث من الزند " وعين الديك . ولا تناهى بين إفراد الطرفين وبين تركيب وجه الشبه لأننا نستطيع أن نلاحظ في الطرفين المفردين عدة أوصاف مشتركة بينهما ومجتمعة على هيئة معينة بحيث تتحقق وجه الشبه المركب .

ومن ذلك قول أبي قيس بن الأصلت :

وقد لاح في الصبح الشريا - كما ترى -

كعنق سود ملاحية حين لسوا^(١)

فوجه الشبه وهو الهيئة الحاصلة من تجمع أجسام بيض مستديرة صغيرة الحجم - في مرأى العين وإن كانت كبيرة في الواقع - مجتمعة على كيفية مخصوصة وهي أنها ليست تامة الالتصاق ولا تامة الافتراق هذا الوجه مركب حسي وقد انتزع من طرفين مفردين مقيدان وهما : بضم الشريا مقيداً بكل منه قد لاح في الصباح وعنق سود العنب مقيداً بكل منه عنفرد ملاحية في حال إخراج التور والتقييد لا ينافي الإفراد كما مر بنا .

ومن طرفين مركبين كما في قول بشار :

كان مشار النقع فوق رعوسنا

وأسيافنا ليل تهاؤى كواكب

(١) الملاحية : عنب أبيض في جبه طول .. ونور أي : تفتح نوره وأدرك نضجه والكاف في قوله : " كما ترى " يعني على أي : على نحو ما ترى أما كاف التشبيه فهو التي في قوله : كعنق سود ملاحية ...

فوجه الشبه وهو الهيئة الحاصلة من تهارى أحجام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار
متحركة في جوانب شئ مظلم مركب حسى وقد انتزع من طرفين مركبين حسينين ،
ومنه قول أبي طالب :

وكان أجسام النجوم لوامعا درر نشن على بساط أزرق

فوجه الشبه وهو الهيئة الحاصلة من تفرق أحجام متلاكلة صغيرة المقدار مستديرة
الشكل على سطح جسم أزرق اللون صافى الزرقة ، مركب حسى وقد انتزع من طرفين
مركبين حسينين .

ومن طرفين مختلفين في الأفراد والتركيب كتشبيه حمر الشقيق بأعلام ياقوت
شنن على رماح من زيرجد .. فوجه الشبه وهو الهيئة الحاصلة من اجتماع أشياء حمراء
متحركة منصوبة على قائم أحضر ، مركب حسى وقد انتزع من طرفين مختلفين المشبه
مفرد وهو حمر الشقيق والمشبه به من المركبات الخيالية وهو الهيئة المكونة من أعلام
ياقوت نشرت على رماح من زيرجد ، ومنه تشبيه النيلوفر بدبابيس عسجد قطبيها من
زيرجد فالوجه وهو الهيئة الحاصلة من اجتماع شئ أحمر كروي منصوب على قائم أحضر
مركب حسى وقد انتزع من مشبه مفرد ومشبه به مركب خيالي .

ومن ذلك تشبيه ضوء النهار الشمس خالط نبات الأرض فقللت حدة ضوئه
بالليل المقرن فوجه الشبه وهو الهيئة الحاصلة من اجتماع أشعة ضوئية متيرة اختلطت
بأجسام خضراء وحمراء فانكسرت حدة ضوئها ... مركب حسى انتزع من مشبه مركب
ومشبه به مفرد مقيد ... وقد مرت بنا هذه التشبيهات .

بديع المركب الحسى :

تضاروت التشبيهات التي يكون وجه الشبه فيها مركبا حسيا ، في الحسن فبعضها
يكون حسنا وبعضها أحسن وبعضها يبلغ حدا كبيرا في الحسن والجمال ... ويرجع هذا
تضاروت إلى مقدرة الأديب ونظرته الثاقبة في الم هيئات والحركات التي يتكون منها وجه

الشبيه وإلى مقدار ما يبذله من جهد فكري في استقصاء صفات الطرفين واستخلاص ما يلائم منها لعقد المشابهة ومراعاة الملاعنة التامة بين اللون واللون والشكل والشكل والحجم والحجم والحركة والحركة .. فمن يستطيع أن يبرز في وجه الشبيه صفات عددة تجمع بين اللون والشكل والمقدار والحجم أو يضيف إلى الشكل واللون حركة معينة أو ينوع في الحركة تنوعاً يضفي عليها جمالاً وروعة ... من يستطيع أن يصنع ذلك من الأدباء يكون تشبيهه أبدع وأحسن ونظرته أقوى وأقرب من الآخر الذي لا يستطيع أن يلمح من صفات الطرفين إلا اللون والشكل ولا يقدر على أن ينوع ويبدع ويرز ما في الطرفين من هيئات وحركات متعددة وممتلأة ..

وسنعرض فيما يلي نماذج متعددة لما أبدع فيه الشعراء من هذه التشبيهات .

أولاً : ما كان وجه الشبيه فيه مكوننا من هيئة الحركة الموجودة في الطرفين متضمناً إليها بعض الصفات الأخرى المشتركة بينهما كاللون والشكل والمقدار فمن ذلك قول ابن المعتر :

والشمس كالمرأة في كف الأشل لما بدت طالعة فوق الجبل

جمع الشاعر في وجه الشبيه بين الحركة السريعة وما ينشأ عنها من ثموج الضوء واضطربابه وبين الإشراق والاستدارة وذلك أنه نظر إلى الشمس عند طلوعها وإلى المرأة في يد الأشل فرأى فيها إشراقاً وأستداره وحركة سريعة متصلة تتراكي لعين الناظر إلى كل منهما وهذه الحركة قد أحدثت ثموجاً في الضوء واضطرباباً فبینما تراه متسططاً على سطح كل منهما ويکاد يغیض من جوانبهما إذا به ينقبض ويتجمع فی وسطهما .. فالشاعر قد استطاع أن يلائم ملاعنة تامة بين ما في الطرفين من لون وشكل وحركة مضطربة متتموجة وأن يركب من ذلك وجه الشبيه فهو الهيئة الحاصلة من الإشراق والاستدارة والحركة السريعة وما ينشأ عنها من ثموج الضوء واضطربابه .. ولو اقتصرنا في بناء وجه الشبيه على الإشراق والاستدارة وقدرنا بقدرها من هذه الحركة ما بلغ من الدقة والحسن هذا المبلغ .

ومن ذلك قول المهلي الوزير يصف الشمس أيضاً عند طلوعها :

مشرقه ليس لها حاجب
والشمس من مشرقها قد بدت
يجول فيها ذهب ذاته^(١)
كانها بورقة أحية

فقد جمع الشاعر أيضاً في وجه الشبه بين اللون والاستدارة والحركة وما تحدثه في اللون من تمويج واختصار في البوقة إذا أححيت وذاب فيها الذهب تشكل بشكلها في الاستدارة وأخذت يتحرك فيها بحملته تلك الحركة العجيبة كأنه يهم بأن ينبعض حتى يفيض من جوانبها لما في خواصه من التعرمة ثم يعود فيهبط إلى داخل البوقة لما بين أجزائه من شدة التلامم والاتصال فهو لا يقع فيه غليان على الصفة التي تكون في الماء ونحوه مما يتخلله الهواء ولذلك يتجمع لمعان الذهب في مركز دائره ، كما يجمع الضوء في مركز المرأة المستديرة في تشبيه ابن المعتر . ولو لا مراعاة هذه الحركة في تركيب وجه الشبه لما بدا التشبيه بهذه الصورة الرائعة ... قوله الصنواري يصف غديرًا في حدائقه :

كان في غدرانها حواجبًا ظلت تتطـ^(٢)

فقد جمع في وجه الشبه بين الحركة المتصلة وبين الشكل المتقوس الذي تحوله تلك الحركة إلى حالة قريبة من الاستواء وذلك أنه نظر إلى ماء الغدير وقد حركه الريح فأحدثت فيه أشكالاً تبدو كأنصاف الدوائر ثم تبتعد أطرافها ويقل اخناوها حتى تقارب الاستواء ، والتمنس الشاعر لهذا شبهها فوجده في حواجب العين إذا ما حرکها أصحابها ومطواها شيئاً فشيئاً حتى ينمحي تقوسها ولذا أضاف إلى الحواجب ما يتحقق هذه الحركة وهو قوله : ظلت تتطـ حتى يتم الشبه وبهذا الصنيع أخرج التشبيه عن دائرة الابتدا وادخله في دائرة الغريب البديع وصار وجه الشبه مركباً من الأشكال المتقوسة والحركة

(١) البوقة : وعاء صغير يذيب فيه الصائغ الذهب والفضة .

(٢) الغدران : الأنهر جمع غدير ، وقط ، تمد .

المترالية فهو الهيئة الحاصلة من توالى أقواس متحركة بحركة متصلة تتخلل من اختناها حتى تقترب من الاستواء.. فلولا مراعاة هذه الحركة فى بناء وجه الشبه لكان التشبيه قريباً مبتدلاً ولما بدا بتلك الروعة وبهذه الصورة البدعة.

ثانياً : ما كان وجه الشبه مكتوناً فيه من هيئة الحركات المجردة في الطرفين دون نظر إلى ما عداها من سائر الصفات ، من ذلك قول ابن المعتر في وصف البرق :

وكأن البرق مصحف قار^(١) فالطباقاً مرأة والفتحاً

فقد شبه حركة البرق عندما ينشق عنه السحاب فيظهر ثم يختفي بحركة المصحف يوالى صاحبه فتحه وإغلاقه .. فوجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من توالى حركتين في اتجاهين مختلفين ينشأ عن إحداهما ظهور وانفتاح وعن الأخرى خفاء وانطلاق ... ولم يعتد الشاعر بما في الطرفين من صفات أخرى كلون البرق حين ينشق عنه السحاب ولون المصحف حين يفتحه القارئ لأن شيئاً من ذلك لا يتعلق به غرضه الذي هو وصف البرق بتابع الحركة وتواлиها دون قصد إلى ما يصاحب هذه الحركة من بريق ولمعان ...

وقول الأعشى يصف السفينة في البحر تتقاذفها الأمواج :

تقص السفين بجانبيه كما ينزو الرباح خلاله كرع^(٢)

شبه حركة السفينة في البحر والمرج يعلو بها ويُسفل ويبلها من جانب إلى جانب في حركة سريعة مضطربة بحيث لا تكاد تلمحها صاعدة حتى تراها نازلة ولا تراها في اتجاه حتى تراها في اتجاه غيره ، بحركة الفضيل استهواه الماء المتجمع من بقايا المطر فأخذ يشب فيه وينزو محدثاً حركات متغيرة مضطربة وإلى جهات مختلفة على غير نظام ولا ترتيب ، ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من تجمع حركات سريعة مضطربة وإلى جهات مختلفة على

(١) قار : مخفف قارئ قلبت همزته ياءً ثم أعل إعلال قاض .

(٢) تقص : ثقب ، والسفين اسم جنس واحد سفينة ، والكرع ، ماء السماء ، والرباح : الفضيل .

غير نظام ، ولم ينظر الأعشى في تشبيهه إلى شيء من صفات الطرفين سوى هذه الحركات .

وقول أحمد بن سليمان بن وهب يصف روضة :

حفت بسرو كالقيان تلحفت خضر الخرير على قوام معتدل

فكانها والريح جاء يميلها تبغى التعانق ثم يمنعها الخجل^(١)

شبه في البيت الأول شجر السرو في اعتداله وطول قامته وخضراء أوراقه بالجواري الحسان ذوات القوام المعتدل وقد تلحفن بالخرير الأخضر ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من وجود أجسام متناسبة معتدلة القامة تحيط بها أشياء ذات لون أحضر وهذا خارج عما نحن فيه لأن الهيئة المركبة حالية من الحركة .

أما في البيت الثاني فقد شبه حركة شجر السرو والريح يميل فروعها بعضها إلى بعض ثم ترتد إلى أصل وضعها بحركة عاشقين تقدما في حذر يعيان المعانقة ثم يفاجآن بأعين الرقباء فيرتدان إلى حيث كانوا في سرعة الخائفين المتزعجين . ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من تحرك جسمين حركتين متغيرتين إلى جهتين مختلفتين تحدث إحداهما تقارب الجسمين وتحدث الأخرى سرعة افتراقهما . وهي هيئة متزرعة من الحركة بحركة عن كل وصف آخر من صفات الطرفين . وقد لاحظ الشاعر أن الحركة الثانية في المشبه أسرع من الحركة الأولى لأن حركة الشجرة المعتدلة في حال رجوعها أسرع لا محالة من حركتها في حال خروجها عن مكانها بتأثير الرياح ، فتحقق ذلك في المشبه به بقوله ثم يمنعها الخجل لأن الحركة المسيبة عن الخجل أسرع من الأخرى إذ إزعاج الخوف أقوى أبداً من إزعاج الرجاء . وما يلاحظ أيضاً أن الشاعر لم يصرح بالمشبه به فلم يقل كأن

(١) القيان : الجواري جمع قينة وهي الجارية وهن يشبهون بالسوسي اعتدال القد وقد يشبه السرو بهن في ذلك فيكون من التشبيه المقلوب وتلحفت : اخذت لحافا ، والخجل : الحياة .

شجر السرو عاشق يبغى التعانق بل طواه طيا فى نظم الكلام حتى خيل إلينا أن الشجر نفسه هو الذى أراد أن يتعانق ثم رده الخجل . وهذا كله مما زاد التشبيه حسنا وإبداعاً وأضفى عليه رونقاً وبهاء .

وقول امرئ القيس يصف جواده :

مكر مفر مقبل مدبر معـاً

كجلمود صخر حطه السيل من عل^(١)

شبه الجواد في حركته السريعة ولبن قياده وسرعة المخراقه حيث يرى في لحظة واحدة يكر ويفر ويقبل ويدبر فيما نرى كفله إذا بنا في نفس الوقت نرى صدره فجانبيه ، شبهه بجلمود الصخر دفع به السيل من أعلى الجبل فرعن الجلمود تحت تأثير قوتين قوة الحاذبية الأرضية وقوة دفع السيل له ولذا فهو يتحرك حركات سريعة متراصلة بحيث نرى جوانبه كلها بنظرة واحدة وفي آن واحد .. ووجه الشبه هو حركة الشيء إلى جهات متعددة في سرعة فائقة تكاد تربينا جوانبه كلها في وقت واحد بنظرة واحدة .

ثالثاً : ما كان وجه الشبه فيه مأخوذًا من هيئة السكون المحاصلة في الطرفين أو مكرنا من اجتماع الألوان المجردة عن الحركة فيهما .

من ذلك قول المتنبي يصف إقعاء كلب الصيد:

يقعى جلوس البدوى المصطلى باربع مجدولة لم تجدل^(٢)

شبه هيئة الكلب في إقعااته بهيئة البدوى المستدفء بالنار فإنه يجلس على إبيته رافعاً ركبتيه مادا يديه إلى المدفأة .. ووجه الشبه هو الهيئة المركبة المحاصلة من وقوع

(١) المكر : سريع الكسر ، والمفر : سريع الفر والجلمود : الحجر الصلب ، ومن عل : من فوق .

(٢) يقعى : يجلس على إبيته ورجليه ناصباً ذراعيه .. والمصطلى : المستدفء المخدولة : الحكمة الخلق .. ولم تجدل : لم تجتمع فهى مفرقة في أوضاعها الخاصة ومواضعها المبينة .

الأعضاء المختلفة في مواقفها الخاصة .. وهذا الوجه متزوج من عدة أوضاع في الطرفين ساكنة لا حركة فيها .

ومن ذلك تصوير الشعراء هيئة المصلوب وو قرع كل عضو من أعضائه في موقع خاص وقد خيم السكون عليها فامتدت هذه الهيئة وطالت بلا حركة تغير من صورتها . وقد اختلفت الصور التي أبرز الشعراء فيها هذه الهيئة .. ف منها قول الأخيطل الأهزاري :

كأنه عاشق قد مد صفحته يوم الوداع إلى توديع مرتحل
أو قائم من نعاس فيه لوثة موائل لتمطيه من الكسل^(١)

شبه المصلوب في البيت الأول وهو قائم في الجذع وقد مالت عنقه إلى جانب كتفه وفي وجهه صفرة المرت بعاشق تحمد حواسه في موقف الوداع وقد مالت عنقه وفي وجهه صفرة العشق .. ووجه الشبه هو هيئة السكون الحاصلة من القامة المتتصبة ، والأذرع المتتدلة والأعناق المائلة والرجمة المصفرة وقد طالت هذه الهيئة بلا حركة تغير من أوضاعها .. وفي البيت الثاني شبهه بقائم من نعاس لم ينশط بعد من لوثة النوم واسترخاء العضلات فأخذ يتمطى مادا ذراعيه إلى جانبيه وعنقه إلى جهة صدره ، وقد وسائل تمطيه من شدة كسله فاستمرت هذه الهيئة ، فوجه الشبه هو هيئة السكون الحاصلة من القامة المتتصبة والأعناق المائلة والأذرع المتتدلة مادا متواصلا.

و منها قول دعبد الخزاعي :

لم أر صفا مثل صفات الرزط تسعين منهم صلبوا في خط
من كل غال جدعه بالشط كأنه في جدعه المشط

(١) الصفحة : باطن الكف ، واللوثة : استرخاء العضلات ، والنعاس النوم .

أخو نعاس جد في التمطى قد خامر النوم ولم يفط^(١)

فقد شبه هيئة المصلوب بهيئة التمطى حين خامرته النوم ثم بالغ في تعطيه فرصة
بابلد ليدل على طول بقائه على هذه الهيئة الساكنة .

ومنها قول ابن الرومي :

كأن له في الجسو حبلاً يبوعه إذا ما انقضى حبل أتيح له حبل^(٢)

شبه المصلوب بصورة من يقيس الحبال بذراعيه فهو يدهما إلى جانبى كتفيه
ما دام يبوع أى : يقيس بالباع وقد حقق الشاعر في المشبه به هيئة السكون الدائم التي
رأها في المشبه ، وذلك بقوله : إذا ما انقضى حبل أتيح له حبل فالذى يبوع لا يحرك يديه
ليممر الحبل بينهما بل الحبل يتاح وتمر بين يديه فاليدان في حالة مدد دائم بلا حرفة ..
ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من القامة المتتصبة والأذرع المتتددة مدا متراصلا .

موازنة بين هذه التشبيهات :

يتأمل هذه التشبيهات بعد اختلافاً دقيناً بين إبراز كل صورة منها ل الهيئة المصلوب
وأعضاءه الساكنة سكوناً متراصلاً . فالأخيطل في بيته الأول قد حقق الصيغة التي رأها في
وجه المصلوب ، وهي صيغة الموت بأن جعله كالعاشق الذي اصفر وجهه من أثر العشق
وحقق أيضاً دوام السكون بأن جعل مد الصفيحة في يوم رداع ورحيل فهو قد سكن وتخجر
في مكانه لرحيل عشيقه عنه ، ولكن فاته إتمام أعضاء الهيئة فالمصلوب مدت يداه والعاشق قد

(١) الرط : طائفة من المند خرجوا على المعتصم ويعرفون بالنور أو بالغدر فشردهم المعتصم وصلب
منهم هذا العدد في خط مؤلف من أشجار عالية الجنارع .. والمشتط : الخارج في طوله عن
الحد .. وحامر: خالطه النوم .. ولم يفط: لم يتغير ويتردد نفسه صاعداً إلى حلقة حتى يسمعه من
حوله .

(٢) يبوعه: يقيسه بالباع . وأتيح : هيئ له .

مد يدا واحدة ، وفي بيته الثاني حقق هيئة المصلوب في القائم من النعاس بأن جعله متمطياً ماداً ذراعيه ثم حقق دوام السكون يجعله التمطى متواصلاً وبذكر سبب المواصلة وهو اللوحة والكسل ، ولكن فاته تحقيق صفرة الموت الموجودة في المصلوب .

وعدل في تشبيهه قد حقق هيئة المصلوب في هيئة الداخل في اليوم المشرف عليه بأن جعله متمطياً . ولكنه أخطأ في تحقيق دوام السكون لأعضاء التمطى إذا لم يجعله مواصلاً لتمطيه بل جعله مبالغ فيه "جد في التمطى" والمبالغة في فعل الشيء لا تقتضي استدامته لأن الذي يبالغ في الفعل لا يستطيع مواصيلته ، ثم لم يذكر سبب جله في التمطى كما ذكر الأخيطل سبب مواصيلته وقد فات دعمل ما فات الأخيطل من تحقيق صفرة الموت الموجودة في المصلوب في هيئة المشبه به ، وابن الرومي في تشبيهه قد حقق هيئة المصلوب في هيئة من يروع الحبال وحقق أيضاً دوام سكون الأعضاء واستقرارها على هيئتها بقوله : إذا ما انقضى حبل أتيح له حبل وذكر كذلك السبب في إطاله مد الذراعين وهو يروع الحبال الكثيرة فهي حال في الجر كثيرة وكلما انقضى حبل أتيح له آخر ... ولكن فاته ما فات الأخيطل في بيته الثاني وما فات دعمل من تحقيق صفرة الموت في الموجودة في وجه المصلوب فلم يتحققها في المشبه به وفاته شيء آخر وهو إنعام أعضاء الهيئة فقد مد الذراعين ولكنه لم يمل العنق وقد تحفظت هذه الإمالة في العاشق الذي مد صفحته وفي التمطى الذي واصل تمطيه والذي جد فيه .. فالعاشق مالت عنقه إلى جانب كفه والتمطى قد مد عنقه إلى ججه صدره .. ولا نرى هذه الإمالة فيمن يروع الحبال^(١) ...

ومن التشبيهات التي جاء وجهاً الشبه فيها مكرناً من اختلاط الألوان المجردة من الحركة قول ابن المعز يصف زهر الترجس :

كان عيون الترجس الغض حولنا مدهن در حشوهن عقيق^(٢)

(١) وقيل إن أحنا النعاس الذي قد حامر النوم والقائم من النعاس يرى في وجهيهما الصفرة صفرة التعب والإرهاق والتکاسل .

(٢) الترجس : نوع من الزهر أبيض اللون وفي وسطه نكتة يخالف لونها لون بقية الزهرة وتكون غالباً سوداء ويشبه الترجس بالعيون كما في البيت وتشبه العيون أيضاً بالترجس لذلك .. والدهن : علبة يوضع بها الدهن .. العقيق: أحمر اللون ...

فقد شبه زهر الترجس بـ مداهن در حشوهن عقیق ووجه الشیه : الهیة المکونة من
بیاض قد التف حول سواد او حمرة .

وقوله يصف الثريا وسط الظلام :

وارى الثريا فى السماء كأنها قدم تبدت من ثياب حداد^(١)

شبه الثريا في السماء وسط ظلام الليل بقدم بدت من ثياب سوداء ووجه الشیه :
الهیة المکونة من بیاض ظهر في وسط سواد .. وقول أبي طالب الرقي :

وكأن أجرام النجوم لوا مع درر نثرن على بساط أزرق

فرجه الشیه في البيت هر الهیة المکونة من أجرام بيضاء مضيئة صغيرة ثارت على
صفحة شيء أزرق صافی الزرقة ...

وقد يحرك الشاعر أحد اللورين كقول بشار :

كان مشار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليل تهاوي كواكب

وقول البحترى يصف فرسا :

ترى أحجاله يصعدن فيه صعود البرق في الغيم الجهام
والتشبيه في هذه الأبيات قد أوضحتنا فيما سبق ..

القسم الرابع: أن يكون وجه الشیه مركبا عقليا كقوله تعالى: ﴿مَثُلُّ الَّذِينَ حَمَلُوا التُّرْزَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثُلِ الْجَمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾^(٢) شبهت حال اليهود الذين حملوا التراثا وحفظوها في صدورهم ثم لم يعملوا بما فيها ولم يفهموا حقيقة

(١) ثياب الحداد: ثياب تلبسها المرأة حزنا على زوجها وتكون غالبا سوداء .

(٢) سورة الجمعة ، الآية : ٥ .

مرماها بحال الحمار يحمل كتب العلم النافعة ويتعب في حملها وهو جاهل بحقيقة ما فيها .

ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من حرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب في استصحابه ... وهو مركب عقلي انتزع من عدة أمور روعيت في الطرفين فقد روئى .. حمل أشياء ... وهذه الأشياء يتتفع بها أكمل نفع ... والحاصل لها يتتحمل التعب والمشقة في استصحابها ولا يجني من وراء تعبه فائدة ..

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَغْمَلُهُمْ كَسَرَابٌ بِقِيَعَةٍ يَخْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءُهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوْقَاهُ حِسَابًا ... ﴾^(١)
تشبه حال الكفرة في جعلهم بين الكفر وأعمال البر التي يعملونها في الدنيا ويسحبونها نافعة ومقبولة عند الله ثم يرونها خاسرة محبطة يرمي القيامة لأنها لم تقرن بالإيمان الذي هو شرط قبولها .. بحال الظمان يرى السراب من بعيد فيحسبه ماء سيروى ظماء فإذا بلغه لم يجد شيئا .. ووجه الشبه هو الهيئة العقلية الحاصلة من المنظر المطبع مع المخبر المؤيس .. وقد انتزع هذا الوجه من عدة أمور روعيت في طرفي التشبيه وهي : حال الكافرين وقد عملوا أعمالاً بر لم تقرن بالإيمان فلم تفهمهم في الآخرة لفقدان شرط قبولها ولذا فهم يؤخذون بأشد العذاب .. وحال الظمان مع السراب الذي ظهر له فحسبه ماء نافعاً فجده في الوصول إليه والحصول عليه ثم خاب أمله عندما وصله وأدرك أنه خيال واشتد ألمه وعذابه حيث بقى على حال ظمه التي كان عليها ..
ومنه قول ابن المعتز :

اصبر على مضض الحسو دفان صبرك قاتله
فالسار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

(١) سورة التور ، الآية : ٣٩ .

فقد شبه حال الحاسد يهمله المحسود بالإعراض عنه حتى يموت غيظاً بحال النار
لا تمد بالخطب الذي يديم بقاءها فيأكل بعضها بعضاً حتى تصير رماداً. ووجه الشبه هو
المهيبة العقلية الحاصلة من سرعة الفناء لعدم الإمداد بما يسبب البقاء والحياة.
وقول أبي تمام :

وإذا أراد الله نشر فضيلته طويت آياته لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاوزت ما كان يعرف طيب عرف العود^(١)

شيء حال الفضيلة يتعرض لها الحاسد ليس لها ويفعل من قيمتها ويؤذى صاحبها فيكون ذلك سبباً في ظهورها وشروع أمرها بحال العود مع النار فإنها تظهر طيب رائحته وتسبب انتشارها فيعم الفزع بها ، ووجه الشيء هو الميئنة الحاصلة من ظهور فضل الشيء ياتصاله بأخر شديد الضر له ...

القسم الخامس : أن يكون وجه الشبه متعددًا حسبياً كتشبيه نهر دجلة بنهر النيل في طوله واتساعه وعدريته مائة ، وتشبيه فاكهة بأخرى في اللون والطعم .

ال السادس : أن يكن وجه الشبه متعددًا عقلياً كتشبيه الأنصار بالهсяجرين في قوة إيمانهم بالله ومحبتهم للرسول ﷺ والتلقاني في نصرة الحق . وكتشبيه الصقر بالغراب في حدة النظر وكمال الحذر وإخفاء السفاد^(٢) .

السابع : أن يكون وجه الشبه متعددًا مختلفاً بعضه حسي وبعضه عقلي كتشبيه الرجل بالشمس في إشراق الوجه ونباهة الشأن .

^(١) العرف : الراتحة . والعود : ضرب من الطيب يتخرج به .

(٤) السفاد: نزو الذكر على الأئمّة.

مقارنة بين وجه الشبه المركب ووجه الشبه المتعدد :

وجه الشبه المركب لابد أن يتزعم من عدة أمور معتبرة في كل من الطرفين بحيث إذا ترك بعضها لا يتم وجه الشبه بل ويضيع الغرض الذي يقصده المتكلم من التشبيه لأنه يهدف إلى مزج هذه الأمور وخلطها واستخلاص هيئة تركيبية منها .. أما الوجه المتعدد فإن الأمور المعتبرة في الطرفين لا تمزج بل يظل كل أمر منها مستقلاً بحيث يمكن الاستغناء عن بعض هذه الأمور دون أن يفسد التشبيه فقولنا : المهاجرون كالأنصار في قوة الإيمان ومحبة الرسول والتلقاني في نصرة الحق يمكن الاستغناء عن صفة أو صفتين من الصفات الثلاث ويظل التشبيه بين الطرفين صحيحًا في الصفة المتبقية .. وبناء على هذا الفرق بين الوجهين لا يجوز لنا أن نعتبر وجه الشبه في قول كثير :

لقد أطمعتني بالوصال تبسمـا وبعد رجائـي أعرضـت وتولـت
كما أبرقت قومـا عطاشـا غمامـة فلما رأوهـا أقشعـت وتجـلت^(١)

هو ظهور بوادر الأمل في حصول شيء مرغوب فيه من هو شديد الحاجة إليه .. على أن يكون المشبه حاله مع حبيته وقد لاحت له مبتسمة فطمـع فى وصـالـها .. والمشـبهـ بهـ : حال قـومـ عـطـاشـ شـدـيدـىـ الحاجـةـ إـلـىـ المـاءـ لـاحـتـ لهـمـ غـامـةـ مـطـمـعـةـ ، لأنـاـ بـهـذـاـ الصـنـيـعـ نـكـرـنـ قدـ فـصـلـناـ أحـزـاءـ التـشـبـيـهـ المـرـكـبـ وـعـقـدـنـاـ المـشـابـهـةـ بـيـنـ جـزـءـ فـىـ المشـبـهـ وـنـظـيرـهـ فـىـ المشـبـهـ بـهـ بـوـجـهـ ثـبـهـ مـسـتـقـلـ فـيـفـوتـ بـهـذـاـ الغـرـضـ الـذـيـ يـرـمىـ إـلـيـهـ الشـاعـرـ مـنـ التـرـكـيبـ إـذـ إـنـ غـرـضـهـ أـنـ يـصـوـرـ حـالـهـ مـعـ حـبـيـتـهـ وـقـدـ بـدـتـ لـهـ مـبـتـسـمـةـ فـطـمـعـ فـىـ وـصـالـهـاـ وـمـكـنـ رـجـاءـ الـوـصـلـ فـىـ نـفـسـهـ وـعـنـدـ ذـاـ أـعـرـضـتـ عـنـهـ وـتـولـتـ .. بـحـالـ قـومـ عـطـاشـ لـاحـتـ لهـمـ غـامـةـ مـطـمـعـةـ مـاـ يـرـبـحـ حـيـنـ تـمـكـنـ فـىـ أـنـفـسـهـمـ رـجـاءـ أـمـطـارـهـاـ أـنـ أـقـشعـتـ وـاجـلـتـ .. وهو يعبر بهذا التصوير عن وقوع اليأس في نفسه إثر تمكن الرجاء فيها ووجه الشبه بين

(١) الغمامـةـ : السـحـابـةـ ، أـقـشعـتـ وـاجـلـتـ : تـفـرـقـتـ وـانـكـشـفتـ . وأـبـرـقـتـ بـعـنىـ تـحـسـنـتـ وـتـعـرـضـتـ لهـ .

الطرفين هو اتصال ابتداء مطعم بانتهاء مؤيس وهذا الوجه متزعد من الأمور المختمعة في البيتين بحيث لا يمكن الاستغناء عن بعضها.

وخلاصة القول في هذا أن وجه الشبه المركب من عدة أمور لا يمكن تجزيده من بعض هذه الأمور لأنها مبني على اتحاد الأجزاء ومزجها وتلاحمها وأن وجه الشبه المتعدد يمكن الاستغناء عن بعضه لأنه ليس مبنياً على اتحاد الأمر الحقيقة له وتلاحمها .. فإذا قلنا : فلان كالماء يصفو ويکدر . كان وجه الشبه متعددًا وهو الصفاء والكداوة لأن وار العطف تفید مطلق الجمع وهذا يجوز الاستغناء عن الكدر ويفى تشبيهه بالماء في الصفاء سليماً صحيحاً فيقال : هو كالماء يصفو ، أما إذا قلنا : فلان كالماء يصفو ثم يکدر أو يصفو فيکدر كان التشبيه مركباً لأن الفاء وثم تفیدان معنى زائداً على مجرد الجمع وهو الترتيب .. وبهذا المعنى الزائد امتنج الصفاء والكدر والتجمماً وتحقق تركيب وجه الشبه .. وكذا إذا اعتبرت الواو للمعية أو للحال وليس بمجرد العطف كان الوجه مركباً ويمتنع عندئذ الاستغناء عن إحدى الصفتين .

كيف يكتسب وجه الشبه ؟

وجه الشبه - كما علمنا - هو الصفة الجامعة بين الطرفين : المشبه والمشبه به . فإذا أراد المتكلم أن يعقد تشبيهها بين أمرين كان عليه أن يحضر في ذهنه ويحدد الصفة التي استرعت انتباذه في المشبه ثم يغض النظر عمما عداها من صفات ويطلب نظيراً لهذه الصفة التي استرعت انتباذه في شيء آخر يكون مشبهها به .. ويجب أن تكون هذه الصفة بارزة في المشبه به ... ويتحتم على المتكلم أن يغض النظر عمما في المشبه به من صفات أخرى غير هذه الصفة وعما بين الطرفين من تباين أو تباعد ... فمثلاً إذا استرعن انتباذه المتكلم شجاعة رجل فطلب لها نظيراً في الأسد وجب عليه أن يصرف نظره عمما في الرجل والأسد من صفات أخرى غير الشجاعة وأن يغض بصره عمما بينهما من تباين في الجنس .. وإذا أعجبه منظر السفينة يتلاعب بها الموج في حركات مختلفة فرجد شبيها لها في حركات الفصيل صرف نظره عمما بينهما من تفاوت في الحجم واللون ومن تباين في

الجنس ... وإذا لفت نظره هيئة المصلوب فوجد نظيرًا لها في قائم من نعاس يتمتعى بأعراض عما بينهما من اختلاف الحياة والموت .. ولذا كان لزاماً على الناقد أن يقف على وجهة نظر الأديب وأن يتحقق من غرضه فلا يقول كيف يشبه الرجل الشريف الإنسان بخيتان مفترس .. وكيف يشبه السفينة الضخمة بخيتان صغير الحجم . وكيف شبه المصلوب بقائم يتمتعى من نعاس والحياة ما تزال تدب في جسم المتمطى .

التزاع وجه الشبه من التضاد :

قد يلحّ المتكلم إلى أن يشبه الجبان بالشجاع أو البخيل بالكريم لغرض يهدف إليه . وقد علمنا أن وجه الشبه وصف مشترك بين الطرفين تعتقد به المشابهة كالشجاعة الموجودة في كل من الرجل الشجاع والأسد . فكيف يتم تشبيه الجبان بالشجاع أو البخيل بالكريم والصفة الموجودة في المشابه تضاد الصفة الموجودة في المشبه به ؟ والجواب : أن هذا التشبيه يتم عن طريق التزييل أي : تزييل التضاد بين الوصفين منزلة التناسب ، ثم يتزرع وجه الشبه من التضاد المنزلة التناسب لتحقيق الغرض الذي يرمي إليه المتكلم . فمثلاً إذا أراد المتكلم أن يستحر من الجبان أو أن يتهكم بالبخيل قال : أنت أسد شجاعة . وأنت كحاتم في الكرم .. ونزل التضاد الحاليل بين الجبن والشجاعة وبين البخل والكرم منزلة التنااسب فصار الجبن شجاعة والبخل كرماً تزييلاً ، وأصبح الكرم وصفاً مشتركاً بين البخيل وحاتم تحقيقاً في المشبه به وتزييلاً في المشبه .. وكذلك أصبحت الشجاعة وصفاً مشتركاً بين الطرفين تحقيقاً في الأسد وتزييلاً في الجبان ، وعندها يتزرعان وجهي شبه فيقال : هذا البخيل كحاتم في الكرم . وذاك الجبان كالأسد في الشجاعة ولا يقال في التضاد لأن اشتراكيهما في التضاد لا يفيد السخرية والتهكم . وكذلك إذا أراد المتحدث أن يمازح صديقاً بخيلاً أو يفakaه صديقاً جباناً قال له : أتفق علينا فأنت حاتم ودافع عنا العدو فأنت الأسد تزييلاً للبخل والجبن اللذين فيه منزلة الكرم والشجاعة ويصبح الصديق البخيل الجبان موصوفاً بالكرم وبالشجاعة تزييلاً كما يتصف حاتم بالكرم والأسد بالشجاعة تحقيقاً .. ويكون وجه الشبه هو الشجاعة والكرم ،

ولا يصح أن يقال إن وجه الشبه هو التضاد لأن اشتراك الطرفين في التضاد لا يفيد المزاح والمحاكمة اللذين يهدف إليهما المتكلم بهذا التشبيه .

وبهذا يتضح لنا أن انتزاع وجه الشبه من التضاد يكون لغرض المحاكمة والمزاح أو السخرية والتهكم .. ويتم هذا الانتزاع عن طريق التنزيل بأن ينزل التضاد بين الوصفين منزلة التناسب اعتمادا على ما يريد المتكلم من سخرية وتهكم أو مزاح ومحاكمة ثم ينزع وجه الشبه من التضاد المنزلة التنساب لتحقيق الغرض المشار إليه ...

التشبيه التمثيلي وغير التمثيلي

ينقسم التشبيه باعتبار إفراد وجه الشبه أو تركيبه وحسيته أو عقليته إلى تشبيه تمثيلي وتشبيه غير تمثيلي وتحتفل آراء البلاغيين في التفرقة بين هذين النوعين وتحديد معنى كل منها على النحو التالي :

أولاً : رأى الإمام عبد القاهر الجرجاني : فرق عبد القاهر بين التشبيه التمثيلي والتتشبيه غير التمثيلي فرأى أن التشبيه غير التمثيلي ما كان وجه الشبه فيه أمرًا بينما لا يحتاج إلى تأول وإعمال فكر وصرف عن الظاهر لأن المشبه فيه يشارك المشبه به في صفتة ومثاله تشبيه الشيء بالشيء من جهة الصورة والشكل فهو أن يشبه الشيء إذا استدار بالكرة في وجه وبالحلقة في وجه آخر . وكالتتشبيه من جهة اللون كتشبيه الخد بالورد والشعر باللليل والوجه بالنهار والسقوط بعين الديك .. أو جمع الصورة واللون كتشبيه الثريا بعنقود الكرم المنور والترجس بعدها بن در حشوهن عقيق . وكذلك التشبيه من جهة الهيئة كتشبيه القامة بالرمح في الاستواء والطبل وتشبيه القد اللطيف بالغضن في الشئ والليونة .. ويدخل في الهيئة حال الحركات في أجسامها كتشبيه الذاهب على الاستقامة بالسهم السديد ومن تأخذنه الأريحية فيهتز بالغضن تحت البارح^(١) . وكذلك كل تشبيه جمع بين شيئين فيما يدخل تحت الحواس كتشبيه أطييط^(٢) الرحل بأصوات الفراريج في قول ذي الرمة :

كان أصوات من إيقافهن بنا
أواخر الميس إنفاض الفراريج

وكتشيه صريف أنىاب البعير بصياغ البوazi كقول ذى الرمة أيضًا :

كأن على أنيابها كل سحرة صباح البوazi من صریف اللوائلک^(۳)

(١) البارح : الريح الشديدة.

(٤) أطيط الرجال : صيغة

(٣) السحرة: السحر الأعلى أي أول السحر وهو ما قبل الفجر . والصريف: صوت الناب .
واللوائكة: جمع لاتكة وهي المضغ من لاك الطعام إذا مضغه .

وأشباء ذلك من الأصوات المشبهة له .. وكتشيه بعض الفواكه الحلوة بالعسل والسكر وتشبيه الين الناعم بالحرير والخشن بالمسح^(١) ، ورائحة بعض الرياحين برائحة الكافور ، وكذا التشبيه من جهة الغريزة والطابع كتشبيه الرجل بالأسد في الشجاعة وبالشعلب في المكر ، والأخلاق كلها تدخل في الغريزة نحو السخاء والكرم والرفاء واللؤم والغدر . فالشبه في هذا كله بين لا يجري فيه التأويل ولا يفترق إليه في تحصيله . وأى تأويل يجري في مشابهة الخلد للورد في الحمرة وأنت تراها ه هنا كما تراها هناك وكذلك تعلم الشجاعة في الأسد كما تعلمها في الرجل .

ويسمى عبد القاهر هذا النوع : التشبيه غير التمثيلي أو التشبيه الظاهر أو التشبيه الصريح أو التشبيه الأصلي الحقيقي وهو أعم عنده من التشبيه التمثيلي .

الضرب الثاني : التشبيه التمثيلي وهو عند عبد القاهر مالا يكون الوجه فيه أمراً بيناً بنفسه بل يحتاج في تحصيله إلى ضرب من التأول والصرف عن الظاهر لأن المشبه لم يشارك المشبه به في صفتة الحقيقة ويتحقق ذلك فيما إذا كان وجه الشبه ليس حسياً ولا من الأخلاق والغرائز والطابع العقلية الحقيقة ولكنه يكون عقلياً غير حقيقي أي غير مقرر في ذات الموصوف . ومثاله قوله : هذه حجة كالشمس في الظهر . فقد شبهت الحجة بالشمس من جهة ظهرها . ولكن هذا التشبيه لا يتم إلا بتأول وذلك أن نقول حقيقة ظهور الشمس أو غيرها من الأجسام ألا يكون دونها حجاب ونحوه مما يحول بين العين وبين رؤيتها والشبكة تنظر الحجاب فيما يدرك بالعقل لأنها تمنع القلب رؤية ما هي شبهة فيه . ولذا توصف الشبكة بأنها اعترضت دون الذي يروم القلب إدراكه ويصرف فكره للوصول إليه من صحة حكم أو فساده ، فإذا ارتفعت الشبكة قيل : هذا ظاهر كالشمس . فقد احتاجنا في تحصيل الشبه بين الحجة وبين الشمس وهو إزالة

^(١) المسح : كسام غليظ من الشعر .

الحجاج في كل ، إلى مثل هذا التأويل والصرف عن الظاهر . ثم إن ما طريقه التأويل يتفاوت تفاوتاً شديداً فمهما ما يقرب مأخذته يسهل الرصوٰل إليه . ومنه ما يحتاج إلى قدر من التأول ومنه ما يدق ويغمض حتى يحتاج في استخراجه إلى فضل رؤية ولطف فكرة فمن الأول ما مر من تشبيه الحجة بالشمس . ومن الثاني قولنا : كلام الفاظه كالماء في السلامة و كالنسمة في الرقة و كالعسل في الحلاوة ، فالمراد أن النّفَظ لا يستغلق ولا يتشبه معناه ، ولا يصعب الوقوف عليه فليس بغريب وحشى وليس في حروفه تكرير و تنافس يكدر اللسان فصار لذلك كلامه الذي يسرع في الخلق والنسمة الذي يسرى في البدن ويختخل المسالك اللطيفة منه ويهدى إلى القلب روحًا ونشاطاً و كالعسل الذي يلذ طعمه وتهشّ النفس له ويميل الطبع إليه . فوجه الشبه إذاً هو الاستحسان وميل النفس الذي هو لازم من لوازم الحلاوة وقد احتاجنا في إدراكه إلى مثل هذا التأول . وهو أدخل قليلاً في حقيقة التأول وأقرى حالاً في الحاجة إليه من تشبيه الحجة بالشمس ومن الثالث قولهم : هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها ، فوجه الشبه في هذا التشبيه يحتاج إلى فضل رؤية ولطف فكرة ، وإلى كثير من التأول والصرف عن الظاهر حتى يمكن استخراجه والوقوف عليه وذلك لغموضه ودقته . وقد سمي عبد القاهر هذا النوع : التشبيه التمثيلي أو التمثيل وهو عنده أخص من التشبيه . كما يبين ثم يسوق شواهد كبيرة لكل نوع من النوعين فمن شواهد التشبيه قول قيس بن الخطيم :

وقد لاح في الصبح الشيا لمن رأى

كعنقد ملاجية حین سورا

وقول ابن المعتز :

كأن عيون الترجس الغرض حولنا

مدادهـن در حشـوهـن عـقـيـة

وقوله :

وتروم الشريا فى الغروب مراما
كانكباب طمر كاد يلقى اللجاما^(١)

وقوله :

وأرى الشريا فى السماء كانها
قدم تبدلت من ثياب حداد

وقوله :

قد انقضت دولة الصيام وقد
بشر سقم الهلال بالعيد

يتلو الشريا كفاغر شره
يفتح فاه لاكل عنقود^(٢)

فوجه الشبه في هذه الأبيات ظاهر بين لا يحتاج إلى تأويل لأنه من المركبات الحسية ولذا كانت من قبيل التشبيه غير التمثيلي عند عبد القاهر .. وقد مرت بنا هذه التشبيهات .

ومن شواهد التمثيلي قول ابن المعتر أيضًا :

أصبر على مضمض المحسو
دفنان صبرك قاتله

فالنار تأكل بعضها
إن لم تجده ماتأكله

(١) الطمر : الفرس الجراد ، والمراد به هنا أن يكون ذا لون أسود ، واللجام : مضمض فهو كالثيرايا ، والطمر كالليل وجه الشبه : ظهور شيء أبيض مستطيل في جوانب شيء مظلم .

(٢) سقم الهلال : أراد صغره وأخذه في النهاية ، ويتلو : يتبع ، والفاغر : الذي يفتح فمه ، والشره : شديد النهم والرغبة في الأكل ، فالمشبه : الهلال والمشبه به : الرجل الفاجر فمه لاكل عنقود ، ووجه الشبه : هيئة أحراهام بيضاء يحيط بها شيء مقوس .

وقول صالح بن عبد القدس :

كالعود يسقى الماء فى غرسه
وإن من أدبه فى الصبا
بعد الذى أبصرت من يسنه^(١)
حتى تراه مورقا لاضرا

فوجه الشبه في هذه الأبيات من المركبات العقلية التي تحتاج إلى فضل رؤية وإعمال فكر ولذا كانت من قبيل التشبيه التمثيلي عند عبد القاهر .. وخلاصة رأى عبد القاهر أن التشبيه غير التمثيلي ما كان وجه الشبه فيه حسياً أي مدرك كا بواحدى الحواس الخمس الظاهرة وهي السمع والبصر والشم والنون واللمس .. سواء كان هذا الوجه الحسي مفرداً أم مركباً .. وكذلك ما كان الوجه فيه عقلياً حقيقياً أي: ثابتنا ومقرراً في ذات الطرفين كالأخلاق والغرائز والطبع .. والتمثيل أو التشبيه التمثيلي ما كان وجه الشبه فيه ليس حسياً ولا من الأخلاق والغرائز والطبع العقلية الحقيقة ، بل يكون عقلياً غير حقيقي أي: غير مقرر في ذات الطرفين فلا يكون بينما ظاهراً بنفسه بل يحتاج في تحصيله إلى تأول لأن المشبه لم يشارك المشبه به في صفتة الحقيقة .. سواء أكان هذا الوجه العقلى مفرداً أم مركباً .

ثانياً رأى السكاكي : يرى السكاكي أن التشبيه غير التمثيلي ما كان وجه الشبه فيه مفرداً ب النوعيه حسياً أو عقلياً ، أو كان مركباً حسياً .. فمثال ما كان الوجه فيه مفرداً وحسياً تشبيه الحد بالورد في الحمرة والشعر بالليل في السواد والريق بالشمر في طيب المذاق .. إلخ .

(١) المراد تشبيه المؤدب في صباح العود المسمى أوان غرسه ، ووجه الشبه : التحول من حال النقص إلى حال الكمال بسبب التمهيد بالعلاج في الرقت الذي يجدد فيه العلاج .

ومثال المفرد العقلى : تشبيه الرجل بالأسد فى الشجاعة وبالبحر فى الكرم وبالذئب فى المكر والدهاء .. وتشبيه الحجة بالشمس فى إزالة المخجاب والكلام بالعسل فى ميل النفس .. إلخ . ومثال المركب الحسى :

كأن مشار النقع فوق رعوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

إلى آخر ما مر بنا من المركبات الحسية .. أما التمثيل عنده فهو ما كان وجه الشبه فيه مركبا عقليا كقوله تعالى : ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضْاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ يُنَورُهُمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُصْرِفُونَ﴾^(١) فوجه الشبه فى الآية الكريمة أن كلاً من المنافقين ومستوقد النار تعاطى الأسباب المقربة لتحقيق آمالهم وحين ظهرت دلائل النجاح انقلب الأمر على عكس ما أملوا . وهو هيئة عقلية انتزعت من أمور متعددة . وقوله عز وجل : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حَمَلُوا التُّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾^(٢) فوجه الشبه وهو حرمان الاتفاق بأبلغ نافع مع تحمل التعب فى استصحابه ، هيئة عقلية مركبة لا تزاعها من أمور متعددة .. وعدم إدراكها بالحواس .

ثالثاً : رأى الخطيب وجمهور البلاغيين أن التشبيه غير التمثيلي ما كان وجه الشبه فيه مفردا حسياً أو عقلياً ، والتشبيه التمثيلي ما كان الوجه فيه مركبا سواء أكان حسياً أم عقليا .. فمدار التفرقة عندهم بين التشبيه والتمثيل تركيب الوجه وإفراده بغض النظر عن كونه حسياً أم عقليا .. فإذا كان وجه الشبه هيئة متزرعة من شيئاً أو عدة أشياء كان التشبيه عمليا سواء أكان هذه الهيئة حسية أم عقلية .. وإذا كان وجه الشبه مفرداً ينوعه أى حسياً أو عقلياً كان التشبيه غير تمثيل .

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٧ .

(٢) سورة الجمعة ، الآية : ٥ .

وخلالصه هذه الآراء في التفرقه بين التشبيه والتعميل والتي هي مبنية على إفراد وجه الشبه أو تركيبة وحسيته أو عقليته ، أنه إذا كان وجه الشبه مركباً عقلياً غير حقيقي . كما في قوله تعالى : ﴿مَثُلُّ الَّذِينَ حَمَلُوا التُّورَاةَ﴾^(١) وقوله عز وجل : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيمَتِهِ﴾^(٢) وكتاب ابن المعتز : اصبر على مضض الحسود .. وقول صالح : " وإن من أدبه في الصبا " وقول أبي تمام : " وإذا أراد الله نشر فضيلة " كان التشبيه تمثيلاً يأجّماع الآراء .

وإذا كان الوجه مركباً حسياً كما في قوله بشار : " كان مثار النفع " وقول أبي طالب : " وكان أحراً من النجوم .. " وقول ذي الرمة : " وسقط كعين الديك " .. كان التشبيه تمثيلاً عند الخطيب وجمهور البلاغيين وغير تمثيلي عند عبد القاهر والسكاكى لكونه حسياً .

وإذا كان وجه الشبه واحداً عقلياً غير حقيقي أي غير متقرر في ذات الطرفين .. كما في قولنا : كلام كالعسل . وحجة كالشمس وهم كالحلقة المفرغة . كان التشبيه تمثيلاً عند عبد القاهر فقط وليس تمثيلاً عند السكاكي والخطيب والجمهور لفقده التركيب الذي يشترطونه في التشبيه التمثيلي .. وعبد القاهر يغض النظر عن هذا التركيب .

وإذا كان الوجه واحداً حسياً كما في قولنا : خد كالورد وشعر كالليل وريق كاللحر وبشر كالحرير . أو واحداً عقلياً حقيقياً لكونه من الأخلاق والغرائز والطبع الحقيقية كما في قولنا : هذا الرجل كحاتم كرماً وكاحتف حلماً وكلياس ذكاء وكالأسد شجاعة وكالكلب وفاء . كان التشبيه غير تمثيلي يأجّماع الآراء لفقده التركيب الذي يشترطه السكاكي والخطيب وجمهور البلاغيين . ولكونه حقيقياً أي : متقرراً في ذات الطرفين وعبد القاهر يشترط في التمثيل أن يكون وجهه عقلياً غير حقيقي .

(١) سورة الجمعة ، الآية : ٥ .

(٢) سورة النور ، الآية : ٣٩ .

التشبيه الجمل والتشبيه المفصل

ينقسم التشبيه باعتبار حذف وجه الشبه أو ذكره إلى قسمين تشبيه بجمل وتشبيه مفصل .

فالتشبيه الجمل :

ما حذف فيه وجه الشبه كقولنا : هذا الرجل كالأسد والعلماء كالنحوم ..
ووجه الشبه المذوف قد يكون واضحا ظاهرا يعرفه الخاصة والعامة على حد سواء
كقولنا : وجه كالبدر . وشعر كاللليل وخد كالورود ورجل كالأسد .. وقد يكون دقيقا
خفيا يحتاج في إدراكه إلى فكر وتأمل وعندئذ يجب أن يذكر في العبارة ما يرمي إلى
وجه الشبه المذوف ويدل عليه .

ما يدل على وجه الشبه عند حذفه إذا كان دقيقا خفيا .

والذى يرمى إلى الوجه المذوف ويدل عليه إذا لم يكن ظاهرا واضحا إما
وصف المشبه به بصفة يفهم منها هذا الوجه المذوف كقول كعب الأشقرى فى وصف
بني المهلب للحجاج لما سأله عنهم : هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرافها . فقد
وصف المشبه به وهو الحلقة المفرغة بأنها ليست معلومة الأطراف . وهذا الوصف أوما
إلى وجه الشبه ودل على أنه : التناسب الكلى الحالى من التفاوت . ولا شك أن الانتقال
من تناسب أجزاء الحلقة إلى تناسبهم فى الشرف غاية فى الدقة لأن العامة يتبادر إلى
ذهنهم تناسبهم فى الصورة والشكل ولا يدرك التناسب الكلى إلا الخاصة ولذا احتاج
التشبيه إلى وصف المشبه به بهذا الوصف الذى أوما إلى وجه الشبه ودل على أنه :
التناسب الكلى الحالى من التفاوت .

ومن ذلك قول زياد الأعجم :

وإنا وما تلقى لنا إن هجوتنا لکالبحر مهمما تلق في البحر يغرق

فوجه الشبه هو عدم ظهور الأثر في كل منها ، يزيد أن هجاءه لم لا يؤثر فيهم لأصالتهم في الشرف وعراقتهم في الجد كما لا يؤثر في البحر ما يلقى فيه من أوساخ وأذار وقد أومأت الجملة الحالية وهي : مهما تلق في البحر يغرق والتى وقعت وصفاً للمشبه به : البحر .. أومأت إلى وجه الشبه ودللت عليه .

وقوله النابغة الذبياني :

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يهد منهن كوكب
شبه المندوح والملوك بالشمس والكواكب وجملة : إذا طلعت لم يهد منهن كوكب وقعت وصفاً للمشبه بهما فأنبأت عن وجه الشبه المخنوف دلت عليه وهو : القوة الكبيرة التي تستر ما عادها .. فالشاعر يزيد أن عزة المندوح وسلطانه وفضائله تخفي مالسائر الملوك من قوة وعزوة ومكارم كما تخفي الشمس إذا طلعت أضواء الكواكب .
إذاً أن يكون الدال على وجه الشبه المخنوف وصفاً للمشبه والمشبه به كليهما كما في قوله أبي تمام :

صافت عنه ولم تصاف موهبه عنى وعاوده ظني فلم يكتب
كالفيث إن جنته وفاسك ريقه وإن ترحلت عنه لج في الطلب^(١)
شبه المندوح بالغيث ووجه الشبه هو الإفاضة والإحسان في حال الإقبال وفي حال الإعراض وقد أنبأ بهذا الوجه دل عليه وصف المشبه بأن عطاياه لاتنقطع في حال الغيبة وحال الحضور ووصف المشبه به وهو الغيث بأنه يروافيك بمائه الصافي إن طلبته .
وإن ترحلت عنه اجتهد في إمدادك به . ولو لم يوصف الظرفان بهذه الرصيفين لتتادر إلى ذهن العامة أن المقصود مجرد تشبيه المندوح بالغيث في كثرة العطاء .

(١) صافت : أعرضت والموهاب : المحبات .. وريقه : أوله وأفضلها .. ولج : ألح .

والتشبيه المفصل :

ما ذكر فيه وجه الشبه كقولنا : وجهه كالبدر حسنا وحده كاللورد حمرة وشعره كالليل سراداً وريقه كالخمر مذاقا وبشره كالحرير نعومة .. وهذا الرجل كالأسد شجاعة .. سواء أكان المذكور هو نفس الوجه كالأمثلة المذكورة وكما في قول ابن الرومي :

ياشبيه البدر في الحسن وفي بعد المثال

جد فقد تنفجر الصخرة بالماء الزلال^(١)

وقول أبي بكر الخالدي :

ياشبيه البدر حسنا	وضياء ومن لا
وشبيه الغصن لينا	وقداماً واعتدلا
أنت مثل السورد لوا	ونسيماً وبلا بلا ^(٢)
زارنا حتى إذا ما	سرنا بالقرب زلا

أو كان المذكور وصفاً يستلزم وجه الشبه كقولنا : كلام كالعسل في الملاوة فليست الملاوة هي وجه الشبه الحقيقي . ولكن الوجه الحقيقي هو : ميل النفس وشعرها باللذة وهو لازم من لوازם الوصف المذكور "الملاوة" فاستغني بذلك الملازم عن اللازم بمحاجزا . ومنه قوله : حجة كالشمس في الظهور فالوجه الحقيقي هو إزالة مطلق حجاجب فيشمل حجاجب الليل الذي يمنع إدراك المبصرات وحجاجب الشبهة التي تمنع إدراك المعقولات ، وهذا الوجه من لوازם الوصف المذكور "الظهور" فاستغني به عنه تساحجاً أو محاجزا .

(١) جد : يعني بالوصال ، الزلال : العذب الصافي

(٢) البلا : الندوة ، ويروى : ملالاً بمعنى سرعة الزوال والفارقة من إطلاق الملازم وإرادة اللازم.

التشبيه البعيد والتشبيه المبتدىل

ينقسم التشبيه باعتبار ما يتصف به وجه الشبه من وضوح أو دقة تخرج إلى التفكير إلى قسمين : تشبيه قريب مبتدىل وتشبيه بعيد غريب .

القريب المبتدىل :

هو ما ينقل فيه الذهن من المشبه إلى المشبه به دون حاجة إلى إعمال فكر وتدقيق نظر ، ويرجع ذلك إلى وضوح وجه الشبه وظهوره ، كتشبيه الرجل الحسن بالبدر والرجل الشجاع بالأسد ، فإن الذهن لا يجد صعوبة في إدراك هذا الحسن وتلك الشجاعة في البدر والأسد . وكتشبيه الرجل الكريم بالغيث والخد الجميل بالورد ، فالذهن لا يجد عناء في إدراك الكرم والجمال في الغيث والورد . ولا يعني وصف هذه التشبيهات بالقرب والابتدال أنها ردية مستكورة ولكن المراد أنها قريبة التناول سهلة المأخذ يستوی فيها الخاصة والعامة وكثيراً ما يحتاج إليها الأديب لتروضيغ معانٍه وتأكيدها .

العوامل الموجبة لابتدال التشبيه :

يعد التشبيه قريباً مبتداً إذا اتصف وجه الشبه فيه بصفة أو أكثر من الصفات الآتية :

- ١ - كونه أمراً جملة لا تفصيل فيه كتشبيه الخد بالورد في الحمرة والمصايبح بالنحروم في الإضاءة والرجل بالأسد في الشجاعة فالحمرة والإضاءة والشجاعة أمور جملة لا تفصيل فيها والجملة أسبق إلى النفس من التفصيل دائماً .
- ٢ - أن يشتمل وجه الشبه على قليل من التفصيل ويكون المشبه به من الأمور التي تتكرر على الحس فيستدعي هذا التكرار سرعة حضورها في الذهن عند إرادة التشبيه وبذلك يزول أثر التفصيل القليل الموجرد في وجه الشبه ويصبح التشبيه قريباً مبتداً .
مثال ذلك : تشبيه الشمس بالمرأة الجلورة في الاستدارة والإشراق ، وتشبيه الثياب ذات

النقوش بأزهار الروض في اجتماع الألوان ، وتشبيه العيون بالترجس في اجتماع البياض والسوداد وتشبيه السيف بالبرق في الإشراق واللمعان فوجه الشبه في هذه التشبيهات به قليل من التفصيل للاحظته في شيئين ولكن تكرار رؤية الأمور المشبه بها أزال أثر هذا التفصيل القليل الملاحظ في وجه الشبه وجعل إداركه سهل التناول قريب المأخذ وظل التشبيه لذلك قريباً مبتدلاً لا قتضاء تكرار المشبه به على الحس سرعة انتقال الذهن .

٣ - أن يشتمل وجه الشبه على قليل من التفصيل ويكون المشبه به قريباً الحضور في الذهن عند حضور المشبه فيه لا لتكرر المشبه به على الحس ولكن لقرب المناسبة بين الطرفين وتقاربهما في الجنس . فالمعاني تداعى دائماً في الذهن إذا قربت المناسبة بينها ومثال ذلك : تشبيه حبة الماء الصغيرة بالكوز وتشبيه العنبة الكبيرة السوداء بالإحصاصة^(١) في الشكل والمقدار وتشبيه برج القاهرة بمتاراة القلعة . فالمشبه به في هذه التشبيهات يتبادر إلى الذهن عند حضور المشبه فيه لقرب المناسبة بينهما وهذا زال أثر التفصيل القليل المشتمل عليه وجه الشبه للاحظته في شيئين : الشكل والمقدار ، وبقى التشبيه قريباً مبتدلاً ، لا قتضاء قرب المناسبة بين الطرفين سرعة انتقال الذهن من المشبه إلى المشبه به .

والتشبيه البعيد الغريب :

مala ينتقل فيه الذهن من المشبه إلى المشبه به إلا بعد فكر وإطالة وذلك لخفاء وجه الشبه في بادئ الأمر ودفته . كقول ابن المعتر في وصف ظهور البرق وخفائه :

وكان البرق مصحف قار فانطباقاً ممرة وافتاحاً

فوجه الشبه وهو هيئة توالي حركتين في اتجاهين مختلفين ينشأ عن إحداثهما ظهور وافتتاح وعن الأخرى خفاء وانطباق . لا ينتقل الذهن في إدراكه والوقوف عليه

(١) الإحصاصة جمعها : إحاصن وهو شجر له ثمر لذيد الطعم .

من المشبه إلى المشبه به إلا بإطالة النظر وإعمال الفكر لدقته وخفائه فهو حركة خاصة تحتاج من الأديب أو القارئ إلى أن يغض النظر عما عدتها مما في البرق من إشراق وما في المصحف من لون حين يفتحه القارئ .

العوامل الموجة لغراية التشبيه :

يعد التشبيه غريباً بعيداً إذا اتصف بواحد أو أكثر من الأمور الآتية :

الأول : أن يكون المشبه به نادر الحضور في الذهن لكونه من الأمور الوهمية كما في تشبيه السنان بأنياب الأغوال والطلع برعوس الشياطين . أو من المركبات الخيالية كتشبيه حمر الشقيق بأشعاع ياقت نشرت على رماح من زبرجد فالأمور الوهمية والمركبات الخيالية لا تتحقق لوجودها فهي نادرة الحضور في الذهن وقد يكون المشبه به له وجود محقق إلا أنه لا يتكرر على الحس ولا يخطر بالبال إلا بعد تفكير طويل كتشبيه الشمس بالمرأة في كف الأشل فالمرأة في يد الأشل من الأمور التي لا يقع عليها البصر إلا نادراً فربما قضى الإنسان دهره ولا يتفق له أن يرى مرأة في يد الأشل . ومن ذلك تشبيه حال الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها بحال الحمار يحمل كتب العلم في قوله تعالى : «مَثَلُ الَّذِينَ حَمَلُوا التُّورَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحَمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا»^(١) فصورة الحمار يحمل أسفاراً من الصور التي لا تكرر على الحس .. ووجه الشبه من المركبات العقلية التي يتذرع استخراجها من الطرفين على غير الخاصة وما من شك في أن ندرة حضور المشبه به في الذهن تقتضي خفاء وجه الشبه وندرة إدراكه لأن الوجه وصف منتزع من الطرفين فإذا خفى أحد الطرفين وندر حضوره بالذهن خفى وجه الشبه وندر إدراكه وتذرع على العامة .

(١) سورة الجمعة ، الآية : ٥ .

الثاني : أن يكون المشبه به نادر الحضور في الذهن عند ذكر المشبه بعد الصلة بينهما ، من ذلك قول ابن المعتر يصف زهر البنفسج .

لَا زَوْرِيدَةَ تَزَهُو بِزَرْقَهَا بَيْنَ الرِّيَاضِ عَلَى حَمْرَ الْيَوَاقِيتِ

كَانَهَا فَوْقَ قَامَاتِ ضَعْفَنِ بَهَا أَوَّلَ النَّارِ فِي أَطْرَافِ كَبِيرَتِ^(١)

فقد شبه زهر البنفسج بأوائل النار في أطراف كبريت ولا مناسبة بين الطرفين فالمشبه زهر ندى يفرح عطراً والمشبه به نار يابسة محروقة فهما جنسان متبعادان يندر أن يحضر المشبه به في الذهن عند حضور المشبه فيه وقد جمع الشاعر بينهما على الرغم من هذا التناقض فاكتسب التشبيه غرابة وبعداً . ومن ذلك تشبيه الشعر بالنار والبرق بمحض القاريء ، وإبرة روق الأغن بقلم أصحاب من الدواة مداداً . فالبلون شاسع بين الطرفين في هذه التشبيهات كما لا ينفي ولذا كانت تشبيهات غريبة بعيدة .

الثالث : أن يكون وجه الشبه كثير التفصيل . من ذلك ما مر من تشبيه الشمس بالمرأة في كف الأشل حيث رواعي في وجه الشبه الشكل واللون والحركة المضطربة المستمرة التي ينشأ عنها تموج الضوء .

ومعنى التفصيل في وجه الشبه : إطالة النظر والتأمل في صفات كل من الطرفين لمعرة ما تقع به المشاركة بينهما وما تقع به المخالفة . ثم تأمل الصفات المشتركة بين الطرفين . هل هي موجودة في كلا الطرفين بدرجة واحدة أم بينهما تفاوت ؟ وهل هذا التفاوت يفسد الغرض من التشبيه ؟ إن كان يفسده فعلى الأديب أن يجمع ويفرق ويثبت ويمحى في صفات كل طرف حتى يستقيم التشبيه ويتحقق الغرض الذي يرمى إليه

^(١) اللازوردية : البنفسج وهي نسبة تشبيهية إلى حجر يسمى اللازورد والمراد تشبيه أزهار البنفسج : وتزهو : تتكبر : وحمر اليواقت من إضافة الصفة إلى الموصوف وإنما جعل المشبه به أوائل النار في أطراف الكبريت لأنها تكون حمراء صافية لا زرقاء .

فالمراد بالتفصيل إذاً لا تنظر في صفات الطرفين نظرة إجمالية بل نظرة تفصيلية دقيقة .
ويتضح لنا ذلك في هذه الشواهد .

يقول أمرو القيس :

حملت ردينيا كأن سنانه سنا هب لم يتصل بدخان^(١)

شبه سنان الرمح بسنا اللهب في الإشراق ولكنه لاحظ أن السننا يحوى الدخان
الذى يؤثر في وجه الشبه فحذف هذا الدخان وانتزعه من السننا بقوله " لم يتصل بدخان
فزاد السننا بهذا تألقاً وضياءً وتم تحقق الشبه بين الطرفين " .

وقال أحىحة :

وقد لاح في الصبح الثريا كما ترى كعنقود ملاحية حين نورا

شبه الثريا بالعنقود في الهيئة المكرنة من : الشكل والمقدار واللون والمسافة
المتقاربة بين الأجزاء ولكن يتم هذا الوجه في جانب المشبه به جعله عنفرد ملاحية وقيده
بهذا القيد " حين نورا " وبهذا التفصيل تم تحقق الووجه بين الطرفين . وقال ابن المعتر يصف
طلوع الفجر .

كأنا وضوء الصبح يستعجل الدجى

لطير غراباً ذاق وادم جون^(٢)

شبه سواد الليل وقد بدت في جوانبه لمع مضيئة من نور الفجر بغراب أسود في
أطراف جناحيه ريشات بيض تظهر لامعة في سواده ووجه المشبه هو الهيئة المكرنة من

(١) ردينيا : الرديني : رمح منسوب إلى ردينة وهي امرأة كانت تقوم الرماح .. وسنا اللهب : ضربوه .

(٢) الدجى : جمع دجية وهي الظلمة ، والقوادم : أرائل ريش الطائر ، والجنون : جمع جنون وهو
الأبيض أو الأسود والمراد هنا الأبيض .

اجتماع البياض والسوداد وأن السوداد أخذ يتبدد في عجلة أسامي البياض الذي انتشر في حواشيه وجوانبه . وقد تخيل الشاعر أن ضوء الصبح يسوق ظلام الليل ويستعجله ولما لم يجد نظير ذلك في الغراب أضاف إلى صفتة أنه كان حبيساً في يد قانص ثم أطير فهو يتبع طيرانه ويجد فيه .. وحقق ابن المعتز بهذه الإضافة الشبه كاملاً بين الطرفين . ولو أنه أكتفى بذكر الغراب وبياض قوادمه ولم يجعله طائراً أو جعله طائراً من تلقاء نفسه لاعن إزعاج لاختل التشبيه ولما كان لقوله : " يستعجل الدجى " نظير في المشبه به .
وقال أبو نواس يصف البازى :

كأن عينيه إذا ما أثرا
لسان قيضا من عقيق أحرا

في هامة غلباء تهدى منسرأ
كعطفة الجيم بأكف أغسر^(١)

شبيه الجزء العلوي الذي يرى من منقار البازى بالعطفة العليا لحرف الجيم وهي التي تبتدئ من اليسار إلى العين ، وقد فصل الشاعر تفصيلاً دقيقاً في مراعاة وجه الشبه فقال : " كعطفة الجيم " ولم يقل كالجيم لأن الجزء الأسفل من المنقار الذي يشبه العطفة السفلية للجيم لا تقع عليه العين وجعل عطفة الجيم مكتوبة بكف أغسر لأن الأغسر يزيد من اختياراتها محدثاً في طرفها الأيمن تعرضاً إلى أسفل يشبه التعریج الذي ينتهي به منقار البازى .. ثم أراد أن يؤكد أن الشبه في الصورتين قد روعى فيه الخلط الأعلى فقط من الجيم فقال :

يقول من فيها بعقل لكرأ
لو زادها عينا إلى فاء ورا
فاتصلت بالجيم صارت جعفرأ

(١) آثار : أدرك ثأره ، وقيضا : شقا ، وأمامه : رأس كل شيء وتطلق على الجثة ، والغلباء : القرية ، تهدى : تقدم ، والمنسر : منقار الطير الخارج ، وعطفة الجيم : عطفها الأعلى ، والأغسر : الذي يكتب بشماله .

نبه بقوله "فاتصلت بالجيم" إلى أن المراد العطفة الأولى فقط ونفي إرادة العطفتين : الثالثة التي تكون في الجيم المنفصلة والثانية التي تجئ من اليمين إلى اليسار لتصل عطفة الجيم الأولى بقية حروف الكلمة لأنها وسيلة للوصل ولا يلتفت إليها عند عدم إرادة الوصل . ولدقة هذا التفصيل قال : "يقول من فيها بعقل فكرا" فتبه إلى أن بالمشبه به حاجة إلى فضل رؤية وإعمال فكر ليتم تحقيق الشبه بين الطرفين .

هذا وتختلف مرتبة التفصيل في وجه الشبه باختلاف الأمور المرعية والصفات المعتبرة في الطرفين . فأدنى مراتبه ما روعي فيه وصف واحد كتشبيه البنفسج بأوائل النار في أطراف كبريت بجماع الحمرة الصافية التي لا يشوبها لون آخر . وأعلى من هذا ما روعي فيه أمران كاجتماع البياض والسوداد في تشبيه غرة الفرس وسط وجهه الأسود بإشراق الصبح في جوانب الليل . وما روعي فيه ثلاثة أمور أعلى مما روعي فيه أمران وهكذا حتى تبلغ الغاية في نحو قوله تعالى : **﴿هُلَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٌ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخْدَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَأَرْبَيْتَ وَظَنَّ أَهْلَهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًاٰ أَوْ نَهارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَانَ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ﴾**^(١) فقد اجتمعت عشر جمل في جانب المشبه به كل جملة منها تفيد وصفا لا تقيده الأخرى وهذه الأوصاف قد تضامنت والتجمعت لأداء ووجه الشبه بين الطرفين وصارت كأنها جملة واحدة بحيث لو حذف منها شيء لأخل ذلك الحذف بالمعنى من التشبيه . وما يلاحظ في الآية الكريمة أن هذه الجمل المتتابعة قد وقعت صفة لاسم نكرة "ماء" ولـ أداة التشبيه . ومنه قول النبي ﷺ : "الناس كبابل مائة لا تجد فيها راحلة "فجملة" لا تجد فيها راحلة" وقعت صفة لإبل مائة . والمراد : أن الكامل في الناس قليل فكل مائة لا تجد فيهم واحدا يوصف بالكمال . وقد يلي أداة التشبيه اسم موصول فتفعل الجملة بعده صلة له كقوله تعالى : **﴿مَثَلُهُمْ كَمَلُ الَّذِي اسْتَرْقَدَ نَارًا فَلَمَّا**

^(١) سورة يومن ، الآية : ٢٤ .

أضاءتْ مَا حَوَّلَهُ ذَهَبَ اللَّهِ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يَعْصِرُونَ^(١) . أو اسم معرفة غير موصول فتكون الجملة بعده مستأنفة جواباً لسؤال مقدر كقوله تعالى : «**فَمَثَلُ**
الَّذِينَ أَخْلَدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولَيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اَنْخَلَدَتْ يَسْتَأْمِنُ^(٢) » فجملة "انخدت
 يسأنا" وقعت جواباً لسؤال مثار تقديره : ما حالها؟ وسواء ولـى الأداة اسم نكرة أو معرفة موصول أو غير موصول فإن وجه الشبه هيـة تركيبة متزعة من جمـع الجمل الواقعـة بعد الاسم ولا يمكن أن يكون هذا الاسم هو المشـبه به لاستحالـة استقلـالـه بالـدلـالـة على المقصـود من التـشـبيـه بدون الجـملـ المـذـكـرـةـ بـعـدهـ رـإـنـماـ اـحـتـيجـ إـلـيـ لـيـكـونـ رـكـيـزةـ تـعـتمـدـ عـلـيـهـاـ تـلـكـ الجـملـ المـتـالـيـةـ التـيـ يـتـكـونـ مـنـهـاـ المشـبـهـ بـهـ .

موازنات :

وبناء على ما تقدم من العـراـمـ المـوجـبـ لـغـرـابـةـ التـشـبـيـهـ وـبـعـدـ يـكـونـ قـوـلـ اـمـرـىـ
 الـقـيـسـ فـيـ صـفـةـ سـنـانـ الرـمـحـ :

حـلـتـ رـدـيـنـيـاـ كـأـنـ سـانـهـ سـنـاـهـبـ لـمـ يـتـصلـ بـدـخـانـ

أعلى طـبـقةـ رـأـكـثـ غـرـابـةـ منـ قـوـلـ عـنـزـةـ العـبـسـىـ فـيـ وـصـفـ السـيفـ :

يـتـابـعـ لـاـيـتـغـىـ غـيـرـهـ بـأـيـضـ كـالـقـبـسـ المـلـهـبـ^(٣)

وـذـلـكـ أـنـ كـلـاـ مـنـ الشـاعـرـينـ لـاحـظـ عـدـةـ أـمـرـهـ فـيـ الـطـرـفـينـ يـتـكـونـ مـنـهـاـ وـجـهـ الشـبـهـ
 رـهـىـ :ـ اللـونـ المـخـصـوصـ وـمـاـ فـيـهـ مـنـ بـرـيقـ ثـمـ الـاهـتزـازـ وـالـاضـطـرـابـ وـلـكـنـ اـمـرـاـ الـقـيـسـ زـادـ

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٧ .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية : ٤١ .

(٣) القبس الملتهب : النار الموددة ، والضمير في قوله : يتابع لورد بن حابس وفي قوله : غيره لفضلة الأسدى وكان لورد ثأر عنده ، والأيض : السيف .

فى التفصيل وأمعن فى النظر والتأمل فوجد فى المشبه به صفة لا يتم بها التشبيه وهى الدخان الذى يعلو رأس الشعلة فنفاه وجرد السنما منه وأكسب تشبيهه زيادة فى الغرابة والبعد . وملومن أن هذا لا يقع فى خاطر الشاعر لأول وهلة بل لابد له من أن ينعم النظر والتأمل فى أحوال الطرفين فيثبت ويحذف ويجمع ويفرق حتى يستقيم له التشبيه ويكتمل وجه المشبه ، وكذلك يكون بيت بشار :

كأن مشار النقع فوق رعوسنا وأسيافنا ليلى تهاوى كواكب

أعلى طبقة وأبعد غرابة من بيت المتنبي :

ي زور الأعادى فى سماء عجاجة استه فى جالبيها الكواكب^(١)

ومن قول كلثوم بن عمرو العتابى :

تبني سنابكها من فوق أرؤسهم سقفا كواكب البيض الماتير^(٢)

وذلك أن آبا "الطيب والعتابى" اقتصرا فى التفصيل على أن أريانا صورة أشياء مشرقة لامعة وسط سرادق قائم وظلام حلال . ولكن بشارا زاد فى التفصيل وأمعن فى النظر والتأمل إذ وجد السيف فى المعركة تتحرك حركات سريعة مضطربة إلى جهات مختلفة فهى تعلو وترسب وتتساقم وتتلاقي فيقصد بعضها بعضًا ثم تتفريق ، وهى ذات أشكال مستطيلة .. فغير عن هذه الدقائق بكلمة واحدة وهى قوله "تهاوى" لأن الكواكب إذا تهاوت اختلفت جهات حركاتها وكان لها فى التهاوى استطالة أشكال وترافق وتدخل وبهذا اكتمل وجه المشبه وكان تشبيهه بشار آية

(١) العجاجة : الغبار ، والأسنة جمع سنان وهو نصل الرمح ، والضمير فى قوله : يزور يعود إلى المدوح .

(٢) السنابك : جمع سنبك وهو طرف الحافر ، وسقفا أى غبارا مثارا كالستف فهو استعارة ، والبيض الماتير : للسيوف القواطع جمع مبتار .

في الإبداع والغرابة وكذلك يكون قول ابن المعز في وصف الآذريون وهو
عباد الشمس :

من كل نور حالية	سقرا لروضات لنا
للسuns فيها كالالية	عيون آذريون
فيها بقايا غالبية ^(١)	مداهـن من ذهب

أو في تفصيلاً وأكثر غرابة من قوله في صفة الآذريون أيضاً :

كخجـر عيـار صناعـتـه الفـك	وطاف بها ساقِ أديـبِ بـ Mizl
كـ كـأس عـقـيقـ فـقـرـارـتها مـسـكـ	وـ حـمـلـ آذـريـونـةـ فـقـرـارـتها مـسـكـ

فقد شبه في الأبيات الأولى عيون الآذريون أى : أزهاره التي تتجه إلى الشمس دائرة معها كأنها ترعاها ، شبه هذه الأزهار بأوعية صغيرة من الذهب الأصفر فيها بقايا من دهن أسود مصنوع من جملة أطiable يسمى بالغالية ، وشبه في البيتين الآخرين : نفس الزهر وقد تزين به الساقى حاملاً إياه فوق أذنه بكأس من العقيق الأحمر فى قرارتها مسك أسود . وكان التشبيه الأول أفضل وأغرب لأن زهر الآذريون : جسم مستدير يحيط بجوانبه أوراق متتجاوزة صفراء فى بعض أنواعه وحمراء فى البعض الآخر ، وفي وسطه

(١) النور : الزهر ، والآذريون : ورد له أوراق حمراء فى وسطه نبو وارتفاع وقد يكون أصفر ، وكالية : تدور معها حيث دارت ، اسم فاعل من كلأ ، ومداهـن : جمع مدهـن وهو حق الدهـن ، والغالـيةـ : أحـلاـطـ منـ الطـيـبـ .

(٢) المـizlـ : ما يـصـفـيـ بـهـ الشـرابـ وـهـ شـبـهـ حـلـمةـ الضـرـعـ فـىـ الدـنـ وـنـحـوهـ يـسـيلـ الشـرابـ مـنـهـ ،ـ وـالـعيـارـ :ـ الـكـثـيرـ التـحـولـ وـالـطـوـافـ أـوـ الـذـىـ يـرـتـدـ بـلـاـ عـمـلـ وـوـجـهـ الشـبـهـ بـيـنـ الـبـزـلـ وـالـخـجـرـ :ـ الـاعـواـجـاجـ فـيـهـماـ ،ـ وـحـمـلـ آذـريـونـةـ فـقـرـارـتها مـسـكـ :ـ هـذـهـ عـادـةـ الـفـرسـ يـحـمـلـونـ هـذـاـ الـوـرـدـ فـوـقـ آذـانـهـمـ ،ـ وـالـعـقـيقـ :ـ عـرـزـ أحـمـرـ .

قرص أسود اللون يرتفع سواده متناقصا شيئاً فشيئاً إلى جوانب الأوراق وهو لا يملأ حرف الزهرة بل يكون منخفضاً عن مستوى الأوراق كأنه في قعرها . وبتأمل التشبيهين نجد أن ابن المعتز قد راعى اللون فحيث رأى بعض الظاهر صفراء جعلها كالذهب وعندما رأى البعض الآخر حمراء جعلها كالعنقق . ولاحظ الشكل المستدير فجعل الزهرة مرة كالمدهن ومرة كالكأس .. وراعى اللون الأسود في وسط الزهرة فجعله مرة غالية ومرة مسكاً . ولاحظ أن هذا السواد لا يملأ حرف الزهرة فجعله مرة بقايا غالية ومرة مسكاً في قراررة الكأس ، أما ارتفاع السواد في تناقص تدريجياً إلى جوانب الأوراق يكون سوادها إلى جانب القاع أشد الأول إذ دل عليه بقوله : "بقايا غالية" وبقايا غالية يكون سوادها إلى جانب القاع أشد ثم يخف تدريجياً كلما ارتفعنا بالاستعمال إلى الحافة وهذا التدرج يساعد عليه ما في دهن غالية من مرونة ونعومة وتلك ملاحظة دقيقة لم يراعها في التشبيه الثاني إذ دل على السواد فيه بقوله : "في قرارتها مسلك" والمسك حامد لا ين فيه فإذا استقر في القاع ثبت ولم يمتد إلى جوانب الكأس كما هو شأن غالية ولذا كان التشبيه الأول أكثر غرابة وأكمل في استيفاء وجه الشبه بين الطرفين .. وكذا يكون قول أبي طالب الرقي :

وكأن أجرام النجوم لوامعا
درر نشرن على بساط أزرق

أعلى طبقة وأكثر غرابة من قول ذي الرمة :

كحلاء في برج صفراء في لمع
كأنها فضة قد مسها ذهب^(١)

وترجع الغرابة هنا إلى ندرة وجود المشبه به في البيت الأول إذ لا يكاد يرى المرء درراً مشتررة على بساط أزرق ولكنه كثيراً ما يرى في سوق الصاغة الفضة ممزوجة بالذهب إما على طريق الخلط وإما على طريق التحلية والطلاء .. فالبيت الأول أحوج

^(١) البرج : أن يكون بياض العين معدقاً بالسواد كله لا يغيب من سوادها شيء . والنبع : البياض الحالص والمراد : أن صفترتها يشريها بياض الحالص وهو عمود عندهم .

وأغرب لهذا من البيت الثاني وليس مرجع الغرابة والجودة إلى كثرة التفصيل والاستقصاء كما في المرازنات السابقة بل إلى ندرة وجود المشبه به .

القيمة الفنية للتشبيهات الغريبة :

تعد التشبيهات البعيدة الغريبة من أبلغ التشبيهات وألطها وأكثرها تأثيرا في النفس لأنها تحتاج - كما قلنا - إلى إعمال الفكر وإطالة النظر في أحوال الطرفين والتفتيش في صفاتهما للوقوف على وجه الشبه بينهما والشيء إذا نيل بعد طلب وتفكير طويل يكون أوقع في النفس وأشد تأثيرا وأرسخ في الذهن وأثبت .

وفرق بين إعمال الفكر وإطالة النظر الذي يحتاجه التشبيه البعيد وبين إطالة التفكير في التعقيد الذي يخل بفصاحة الكلام ؛ لأن إطالة التفكير وإنعام النظر في التشبيه الغريب إنما هو غرض وراء المعانى اللطيفة والأسرار الدقيقة وذلك أن عدم ظهور وجه الشبه عند النظرة الأولى لا ينشأ عن خلل في بناء التشبيه وإنما ينشأ من دقة المعنى وغرابته مما يحوج إلى إطالة النظر فيما صنع الشاعر ، هل استقصى الصفات الجامدة بين الطرفين أم لا ؟ وإذا اشترط هنا شرطاً فهل اشترطه هناك ؟ وهل لهذا الشرط مدخل في التشبيه ؟ وإذا بالغ في صفة في جانب المشبه فهل راعى هذه المبالغة في الجانب الآخر . وهكذا ندور في تفتيشنا حول استقصاء جوانب الشبه واستخراج دقائق التشبيه التي لا تظهر لنا عند النظرة الأولى :

فمثلاً قول البحترى في المدح :

دان على أيدي العفة وشاسع عن كل لد فى الندى وضرير كالبدر أفرط فى العلو وضوره للعصبة السارين جسد قریب

يحتاج منا إلى إطالة النظر والتأمل لندرك أنه أراد بالشروع في جانب المشبه بعد المنزلة والمكانة لا بعد المكان ، ونعرف السر في أنه قال في جانب المشبه به أفرط في العلو ليقابل ما أثبته في جانب المشبه من شدة البعد المعنوي عن الأنداد ، ونقف على هدفه من

المبالغة في قوله : "جد قريب" ليشاكِل بين حالتى القرب والبعد في بلوغ كل منها حد النهاية ، فإطالة النظر إذا إنما هي للوقوف على دقة الصنع وإبراز الحسن وجمال التعبير . أما إطالة التفكير لعدم ظهور المعنى في التعقيد اللغظى فالسبب في ذلك يرجع إلى خلل واقع في تركيب الكلام بعدم جريانه على قوانين الت构思 المشهورة في نظام بناء الجملة وترتيب أجزائها بالتقديم والتأخير ونحو ذلك ، وفي التعقيد المعتوى يرجع إلى خلل في استعمال الأساليب المجازية على غير شرطها المرعية كاستعمال الاستعارة بقرينة خفية لا ينكشف بها المعنى المراد . ولذا كان التعقيد مذموماً معيناً لأننا نطيل النظر فيه حتى نصل إلى المراد بدون فائدة وبلا ثمرة تجني .

وسائل التصرف في التشبيه القريب بما يجعله غريباً :

يستطيع الأديب المتمكن أن يتصرف في التشبيه القريب المبتذل فيخرجه عن ابتذاله ويجعله إلى تشبيه غريب بعيد بإحدى الوسائل الآتية :

١ - أن يثبت للمشبه به صفة لا يتأتى وصفه بها ثم يتزعمها منه وبينى على انتزاعها تفضيل المشبه على المشبه به . كقول المتنبي مادحاً :

لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا إلا بوجه ليس فيه حياء

في البيت تشبيه ضمني لوجه المدوح بالشمس . وتشبيه الوجه بالشمس تشبيه قريب مبتذل ولكن المتنبي تصرف فيه يجعله الحياة صفة من صفات الشمس ثم انتزاعها منها وجعل الشمس تفقد حياءها بجرأتها على الظهور أمام المدوح ، وهذا التصرف أكسب التشبيه غرابة وأزال عنه صفة الابتذال والقرب .

وقد يثبت الأديب الصفة ولا يتزعمها كقول أبي نواس مادحاً أيضاً :

إن السحاب ل تستحيي إذا نظرت إلى نداك ففاسـته بما فيها^(١)

^(١) الندى : الكرم ، وما في السحاب : هو المطر .

التشبيه فى البيت ضمنى كذلك وهو تشبيه المدوح بالسحاب فى الكرم والإغاثة ، وتشبيه المدوح بالسحاب تشبيه قريب مبتدل ولكن تصرف أبي نواس وإضافته صفة الاستحياء للسحاب أزال ابتذاله وحوله إلى غريب بعيد والفرق بين هذا التشبيه وبين التشبيه فى بيت المتنى أن الصفة هنا باقية وهناك مسلوبة .

٢ - أن يضيف إلى التشبيه ما يفيد تساوى الطرفين فى وجه الشبه بحيث لا نستطيع أن نحدد أيهما مشبه وأيهما مشبه به ..
كقول أبي تمام :

فرد علينا الشمس والليل راغم
بشمس هم من جانب الخدر تطلع
فسو الله ما أدرى : الأحلام نائم
ألمت بنا أم كان فى الركب يوشع^(١)

استعار لفظ "الشمس" لحييته الحسنة فهى استعارة مبنية على تشبيه الحسنة بالشمس وتشبيه الحسان أو وجورهمن بالشمس تشبيه قريب مبتدل فصيروه أبى ثان عيادا غريباً بما أضافه إليه من تساؤلات تسرى بين الطرفين مبالغة في إضاعة وجه الحبيبة التي بدت من جانب الخدر فبددت ظلام الليل وبدت جوانب الأفق مضيئة ساطعة وعندئذ

(١) راغم : اسم فاعل من رغم .يعنى : ذل وإنما حصل هذا للليل لزواله بطلوعها ..والخدر : الستر الذى يهد للحرارة أو كل ما يتوارى به ..ألمت : نزلت ..ألم كان فى الركب يوشع : يشير إلى قصة يوشع بن نون فتى موسى - عليهما السلام - واستيقافه الشمس فقد روى أنه قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما أدبرت الشمس عاف أن تغيب قبل أن يفرغ من قتالهم ويدخل في السبت فلا يحمل له القتال فدعى الله فرد الشمس حتى فرغ من قتالهم .

تعجب وتساءل في حيرة : أهذا الذي أرى حلما ؟ أم وجه الحبيبة أزاح ظلمة الليل ؟
أم كان يوشع - عليه السلام - في ركب القوم فرد بدعائه الشمس بعد مغيبها ؟ هنا
التشكك وتلك التساؤلات سوت بين الطرفين وحولت التشبيه من قريب مبتذل إلى بعيد
غريب .

٣ - التشبيه المشروط : وهو أن يقيد المشبه أو المشبه به بقييد يبرز فضل المشبه
على المشبه به .. وذلك كالنقييد بأسلوب الشرط أو الاستثناء أو الاستدراك مما جاء
بأسلوب الشرط قول رشيد الدين الروطاط :

عزماته مثل النجوم نواقبا ل ولم يكن للثاقبات أفال

شبه عزائم المدوح التي تخنق المصاعب بالنجوم التي تثقب الضلام وتبده ..
وتشبيه العزائم بالنجوم قريب مبتذل فصييره الشاعر بهذا الشرط بعيداً غريباً إذ جعل
العزائم تفرق النجوم وتفضلها لأنها نافذة الأثر على الدرام والنجوم أثرها مقصور على
وقت طلوعها دون وقت أفرادها ..

ومنه قول بديع الزمان الحمداني :

يكاد يحكىك صوب الغيث منسكيها

لو كان طلق المخيا يطر الذهب

والبدر لو لم يغب والشمس لو لفقت

والأسد لو لم تصد والبحر لو عذب^(١)

بهذه التشبيهات قريبة مبتذلة ولكن الشاعر أزال ابتذالها وحوّلها إلى تشبيهات
بعيدة بإضافة أساليب الشرط المذكورة .

(١) الغيث : المطر ، وصوبه : عطاوه ، والمخيا : الوجه ، وطلق الوجه : ضاحكه .

وَمَا جَاءَ بِأَسْلُوبِ الْإِسْتِثنَاءِ قَوْلُ أَبِي ثَمَامٍ :

مَهَا الْوَحْشُ إِلَّا أَنْ هَاتَ أَوَالِسْ قَنَا الْخَطُّ إِلَّا أَنْ تَلَكْ ذُوَابِلَ^(١)

فتشبيه النساء بقر الوحش في جمال العيون وحسنها تشبيه قريب مبنذل وكذلك تشبيههن بالرماح الخطية في اعتدال القامة ولكن إضافة هذا الشرط "الاستثناء" حولت التشبيهين من الاعتذال إلى الغرابة ، فالنسوة يفضلن البقر الوحشى بالأئس والملاطفة ويفضلن الرماح بالنضاراة والتعمرة .

وَمَا جَاءَ بِأَسْلُوبِ الْإِسْتِدرَاكِ قَوْلُ ابْنِ بَابِكَ :

أَلَا يَا رِيَاضَ الْحَزْنِ مِنْ أَبْرَقِ الْحَمَى

لَسِيمِكَ مَسْرُوقَ وَوَصْفِكَ مَنْتَحِلَ

حَكِيتُ أَبَا سَعْدَ فَنْشِرُكَ نَشْرَهُ

وَلَكُنْ لَهُ صَدْقَ الْهُوَى وَلَكَ الْمَلَلَ^(٢)

شبه في البيت الأول رقة نسيم الروض برقة طبع المدوح وطيب خلقه تشبيها ضمنيا مقلوبا .. ثم شبه في البيت الثاني رقة النسيم أيضا برقة طباع المدوح تشبيها صريحا مقلوبا : فنشرك نشره ، واستدرك فجعل المدوح أفضل من النسيم لما له من درام الحبة وتعلق القلوب به ولما للنسيم من الملل والسام إذا ما لم تحتمله الأجساد .. فالتشبيه في البيتين قد تحول من الاعتذال والقرب إلىبعد والغرابة بسبعين : ما شرط فيه بالاستدراك وبجيده مقلوبا .

(١) المها : بقر الوحش ، واحده : مهأة ، والقنا : الرماح واحدة قناة ، والخط : اسم بلد تصينع فيها ، والذرابل : الجافة .

(٢) الحزن : الأرض الغليظة المرتفعة ، وأبرق الحمى : موضع . والنسيم : الراîحة ، والوصف : النضارة والبهجة ، ومنتحل : مدعى .. والنشر : الراîحة .. وصدق الهوى : ثباته ، والملل : السأم .

٤ - قلب التشبيه : وقد يخرج التشبيه عن الابتدال إلى الغرابة بالقلب وادعاء أن المشبه أتم من المشبه به في وجه الشبه كقول البحترى :

فِي طَلْعَةِ الْبَدْرِ شَيْءٌ مِنْ مُحَاسِنِهَا وَلِلْقَضِيبِ نَصِيبٌ مِنْ تَشْيِهِا^(١)

شبه طلعة البدر بمحاسن المرأة ، وتنتهي القضية بتشبيهاً ضمنياً مقلوباً ، والتشبيه المقلوب يفيد المبالغة يجعل الأصل في وجه الشبه فرعاً والفرع أصلاً وقد ازدادت هذه المبالغة بقوله : "شيء من محاسنها" و"نصيب من تشبيهها" وكان الشبه بينهما لا يتحقق إلا بقليل من الحسن وشيء يسير من التشبيه وبهذا تحول التشبيه من الابتدال إلى الغرابة . ومنه قول ابن وهب :

وَبِدَا الصَّبَاحُ كَأَنْ غَرَّهُ وَجْهُ الْخَلِيفَةِ حِينَ يَمْتَدِحُ^(٢)

تشبيه وجه الخليفة بغرة الصباح تشبيه قريب مبتذل ولكن الشاعر حوله إلى تشبيه غريب عن طريق القلب بادعاء أن وجه الخليفة أصل في الإشراق والضياء .

٥ - الجمجم بين عدة تشبيهات : وكذلك يخرج التشبيه عن الابتدال بجمع عدة تشبيهات تدور كلها في نطاق واحد : كقول البحترى :

كَانَ أَيْسَمُ عَنْ لَوْلَرٍ مَنْضَدٌ أَوْ بَرْدٌ أَوْ أَقَاحٍ

شبه ثغر المرأة المتسم باللولو المنظوم والبرد والأقاح وبهذا الجمع تحول التشبيه إلى الغرابة والبعد .. وكقول أمرى القيس :

(١) المحاسن : جميع حسن على غير قياس لأنها لا واحد لها من لفظه ، والقضيب : الفحسن ، وتشبيهاً تمايلها وتبخترها .

(٢) الغرة في الأصل : البياض في جبهة الفرس وقد استعيرت هنا لبياض الصبح .

لـه أـيـطـلاـ ظـبـى وـسـاقـ نـعـامـة وـإـرـخـاء سـرـحـان وـتـقـرـيـبـ تـنـفـلـ(١)

شـبـهـ خـاـصـرـتـىـ جـوـادـهـ بـخـاـصـرـتـىـ الـظـبـىـ فـىـ الضـمـورـ وـسـاقـيـهـ بـسـاقـيـهـ الـعـامـةـ فـىـ
الـصـلـابـةـ وـالـثـانـةـ ، وـجـرـيـهـ بـإـرـخـاءـ السـرـحـانـ فـىـ السـهـولـةـ وـالـلـينـ عـدـوـهـ فـىـ سـرـعـةـ بـتـقـرـيـبـ
وـلـدـ الـثـلـبـ وـكـلـهـ تـشـبـيـهـاتـ تـدـورـ حـوـلـ الـفـرـسـ فـصـارـتـ بـهـذـاـ الجـمـعـ بـعـيـدةـ غـرـيـبةـ .
وـازـدـادـتـ لـطـفـاـ وـحـسـنـاـ .

(١) أـيـطـلاـ ظـبـىـ : خـاـصـرـتـاهـ ، وـالـسـرـحـانـ : الـذـئـبـ ، وـإـرـخـاءـ : جـرـيـهـ فـىـ سـهـولـةـ ، وـالـتـنـفـلـ : وـلـدـ
الـثـلـبـ ، وـتـقـرـيـبـ : عـدـوـهـ بـأـنـ يـرـفـعـ يـدـيـهـ مـعـاـ وـيـنـزـلـهـ مـعـاـ عـنـدـ جـرـيـهـ أـوـ عـدـوـهـ .

مبحث أدوات التشبيه

أدوات التشبيه : ألفاظ تدل على المماثلة والاشتراك بين أمرين وهي حروف وأسماء وأفعال . فالحروف هي : الكاف وكأن : أما الكاف : فهي الأصل لبساطتها وتفيد المشابهة في جميع استعمالاتها والأصل فيها أن يليها المشبه به كقوله تعالى : ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ
الْمُنْشَاتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾^(١) وكقول المعري :

أنت كالشمس في الضياء وإن جاوزت كيوان في علو المكان^(٢)

فلفظ : "الأعلام" في الآية الكريمة ولفظ "الشمس في الضياء" قد ولما الكاف وهو مشبه بهما . فإن ولها غير المشبه به كان مقدراً بعدها كما في قوله تعالى : ﴿أَوْ كَصَّابٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُماتٌ وَرَعْدٌ وَرِقٌ يَعْلَمُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ
الصُّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتَ﴾^(٣) . فالمتشبه به في الآية مخدوف تقديره : أو كمثل ذوى صيب بدليل قوله في الآية : ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ وقوله في الآية قبلها : ﴿فَمَلَأْتُهُمْ
كَمَثْلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾^(٤) ، فالآيات مسوقة لبيان حال المنافقين فيما يكابدونه من حيرة وشدة بسبب ظهور نفاقهم بعد أن ترهما أنهم قد أمنوا على حياتهم بإظهار الإسلام وقد مثلوا أولاً بحال من هو في أشد الحاجة إلى النار فاستوقدوا فلما أضاءت ما حمله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يصرون ، ثم مثلوا ثانياً بحال قوم أصحابهم مطر شديد فيه ضباب وبرق وصواعق مهلكة تهدد حياتهم بالمرت وكأنوا يتربعون فيه النفع والرخاء .

^(١) سورة الرحمن ، الآية : ٢٤ .

^(٢) كيوان : زحل وهو أعلى الكواكب السيارة .

^(٣) سورة البقرة ، الآية : ١٩ .

^(٤) سورة البقرة ، الآية : ١٧ .

ونظير ذلك في دخول الكاف على مشبه به مقدرة قوله تعالى : **﴿هُنَّا أَئِيْهَا الَّذِينَ أَتَمُوا كُوْنُوا أَنْصَارًا لِلَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيْنَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَانِ الْحَوَارِيْبُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾**^(١). إذ لا شبه بين كون المسلمين أنصار الله وبين قول عيسى ، وإنما الشبه بين كونهم أنصاراً للنبي ﷺ وكون الحواريين أنصاراً لعيسى ، فرجح أن يكون التقدير : كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصاره حين قال لهم عيسى ابن مريم : من أنصارى إلى الله .

وقد يليها مفرد لا يتأنى التشبيه به وذلك إذا كان المشبه به مركباً ويكون هذا المفرد له اتصال وثيق بالمشبه به المركب . كما في قوله تعالى : **﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءِ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَلْدُرُوهُ الرِّيَاحُ﴾**^(٢) .

فليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء بل المراد تشبيه حالها في نضرتها وبهجتها وما يعقبها من الهالاك والفناء بالحقيقة الحاصلة من كون النبات بعد نزول الماء شديد النصرة والاخضرار ثم بعد ذلك تراه قد يس قطierre الرياح كان لم يكن ، ووجه الشبه : التلف والهالاك عقب الإعجاب والاستحسان ، فالكاف هنا لم تدخل على المشبه به وهو النبات وإنما دخلت على لفظ الماء باعتباره عنصراً مهما في تكريين النبات وأوراقه وفروعه وثماره .

وأما كان فإنها تقيد المشابهة غالباً وذلك إذا كان غيرها جامداً ، وليها المشبه نحو قوله تعالى : **﴿خُشْعَأْ أَنْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنْتَشِرٌ﴾**^(٣) .

(١) سورة الصاف ، الآية : ١٤ .

(٢) سورة الكهف ، الآية : ٤٥ .

(٣) سورة القمر ، الآية : ٧ .

وقولنا : كأن النجوم مصابيح ، يقول أمرؤ القيس :

نظرت إليها والنجوم كأنها مصابيح رهبان شب لفقال

شبة النجوم بمصابيح رهبان لفترط ضيائهما وتعهد الرهبان لمصابيحهم وقيمائهم
عليها لتزهر حتى الصباح فكذلك النجوم زاهرة طوال الليل وتتضاءل للصبح كتضاؤل
المصابيح لها . فإذا كان خبرها مشتقا فالأرجح أنها لا تفيق المشابهة وإنما تفيق الظن بوقوع
الخير الذي بعدها نحو قوله : كان زيداً قائم وكان السماء عطرة . فالمعنى أننا نظن قيام
زيد ونظن إمطار السماء لأن قائماً صادق على زيد ومطرة صادقة على السماء ولا معنى
لتتشبيه الشيء بنفسه .

والأسماء التي تفيق التشبيه هي : مثل وشبه ومتال ومحاك ومتباه ومضاه ونحوها
مما يؤدي معنى المشابهة . فإن كان الاسم جامداً ولية المشبه به نحو : هذا الرجل مثل
الأسد وشبه البدر وإن كان مشتقا ولية المشبه نحو : أنت مثال الأسد ومحاك البدر ومتباه
عمرًا ومضاه حاتما ، فقد ول الاسم في هذه الأمثلة الضمير العائد على المشبه .

والأفعال التي تفيق التشبيه هي : شابه وحاكي ويشابه ويضاهى ونحوها من
الأفعال المتعددة الدالة على معنى المشابهة . فإن كانت الأفعال لازمة كتشابه ومتال فإنها
لاتدل على التشبيه لأن التشبيه يقتضى إلحاق الأدنى في وجه الشبه بالأعلى حقيقة أو
ادعاء وهذه الأفعال الازمة إنما تدل على وجود التشابه بين الشيئين المقتضى مساواة كل
واحد منها للأخر في وجه الشبه . فقولنا تشابه عمرو وبكر في الرفاء ، المعنى أنهما
تساويا فيه وليس أحدهما أعلى منزلة من الآخر . والأمر ليس كذلك إذا قلنا : عمرو
يشبه بكرًا لأنه يفيد أن بكرًا أعلى مرتبة في وجه الشبه من عمرو ولذا شبه به وقد يذكر
فعل ينبع عن التشبيه نحو علم وتيقن إن قرب وجه الشبه وتحقق وحسب و الحال وظن إن
بعد وجه الشبه عن التحقيق وخفى عن الإدراك فيقال : علمت محمدًا بحرا وتيقنت أنه
حاتم وحسبت عمراً أسدًا وخلته حاتما وظننته إيساً . وإنما قلنا إن هذه الأفعال تنبئ عن

التشبيه لأن التشبيه في الواقع مستفاد من الأدلة المقدرة فيه كما في نهر : محمد أسد
وعمر بن حجر .

هذا وتحتفل أدوات التشبيه في الدلالة عليه فما كان من التشبيه صادقاً قلت في
وصفة : كأنه أو هو ككذا أو يشبه أو يماثل أو شبه كذا أو علمته بحراً ، ورأيته غيشاً .
وتيقنت أنه حاتم ، ونحو ذلك من الأفعال التي تنبئ بالتشبيه وتدل على اليقين ..
وما قارب الصدق قلت فيه : تراه أو تخاله أو تحسبه أو يكاد ونحوها من الأفعال التي
ترشد إلى التشبيه وتدل على الفطن والرجحان أو المقاربة ، وقد علمت أن التشبيه لم يفده
بهذه الأفعال وإنما أفيد بأدلة مقدرة^(١) .

(١) انظر عيار الشعر ، ص ٢٤ .

التشبيه المرسل والتشبيه المؤكّد

ينقسم التشبيه باعتبار ذكر أداته وحذفها إلى قسمين: تشبيه مرسل وتشبيه مؤكّد.

فالتشبيه المرسل: ما ذكرت فيه أدلة التشبيه نحو: أنت كالأسد ومنه قوله تعالى:
﴿فَاجْعَلْهُمْ كَعَصِيفٍ مَا كُوِلٌ﴾^(١) وقوله عز وجل: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَعْدَتْ لِلَّذِينَ آتَيْنَا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٢) وكقول أمي القيس:

وَتَعْطُو بِرْخَصٍ غَيْرَ شَنْ كَائِنٍ

أَسَارِيعَ ظَبَىْ أَوْ مَسَاوِيكَ إِسْحَلٍ^(٣)

والتشبيه المؤكّد: ما حذفت منه أدلة التشبيه كقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهُ جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرًّا السَّحَابَ﴾^(٤) أي: تمّ مراً كمر السحاب.

كيف تبني جملة التشبيه المؤكّد؟

يختلف بناء جمل التشبيه المؤكّد باختلاف الصيغ التعبيرية التي تدل على التشبيه وهي كثيرة أبرزها ما يلى:

(١) سورة القيل ، الآية : ٥ .

(٢) سورة الحديد ، الآية : ٢١ .

(٣) تعطو: تتناول ، والرخص: اللين وصف لأصبعها ، والشن: الغليظ ، والأساريغ: جمع أسروع وهو دود يكون في البقل والأماكن الرطبة أبيض اللون معتمد الطول ناعم الملمس حمر الرأس تشبه به أنامل النساء.. وظبي: اسم موضع ، والإسحل: شجر له غصون يستاك بها .

(٤) سورة النمل ، الآية : ٨٨ .

١ - أن يقع المشبه به خيراً للمتشبه سواء كان المشبه مذكوراً في الكلام كقول

الخامسي :

هم البحور عطاء حين تساهم
وفي اللقاء إذا تلقى بهم ^{بِهِمْ} ^(١)

وقول أمير القيس :

فعيناك غربا جدول في مقاضة
كم الخليج في صفيح مصوب ^(٢)

شibe سيلان الدموع من العينين بسيلان الماء من غربى الجدول وأداة التشبيه
محذفة وقد وقع المشبه به خيراً للمتشبه كما في البيت السابق : "هم البحور" فهما
تشبيهان مؤكدان ثم شibe سرعة جريان الدموع من العينين بسرعة ماء في الخليج
المتحدر تشبيهاً مرسلأ لأن الأداة مذكورة كما ترى .. أو كان المشبه مقدراً كما في قوله
تعالى : **﴿وَهُوَ صُمٌّ بِكُمْ عَمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾** ^(٣) وكقول عمران بن حطان :

أسد على وفي الحروب نعامة
لتخاء تنفر من صفير الصافر

فالمشبه مبتدأ محذف تقديره : هم صم : وهوأسد .. ونعامة وقد وقع المشبه به

خيراً له .

(١) البهم : واحد بهمة وهو الشجاح الذي لا يدرى كيف يوتى لاستبهار شأنه .

(٢) الغربان : الدلوان ، والمقاضة : الأرض الواسعة ، والجدول : النهر الصغير وأراد به هنا : البشر ،
الخليج : النهر الصغير الذي يتفرع من النهر الأعظم والمراد به هنا : مجاري الماء إلى الروضة ،
والصفيح : حجارة كبيرة على جانبي الجدول للا يهدم والصوب : المتحدر ، وهو أسرع بحرى
الماء .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ١٨ .

٢ - أن يقع المشبه به حالاً صاحبها هو المشبه كما في قوله تعالى : **هُنَّا أَيْهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَعْيَا إِلَى اللَّهِ يَا ذُرِّيْهِ وَسِرْجَا مُنْبِرِيْهِ**^(١) فقد شبه النبي - عليه الصلاة والسلام - بالسراج المنير والمشبه به حالاً وصاحب الحال هو الضمير المتصوب في قوله تعالى : "أرسلناك" العائد على النبي - عليه الصلاة والسلام - .

٣ - أن يقع المشبه به مضافاً إلى المشبه كقول ابن خفاجة الأندلسي :

والريح تعبت بالغضون وقد جرى

ذهب الأصيل على لجين الماء^(٢)

شبه الماء باللجين وقد وقع المشبه به "اللجين" مضافاً إلى المشبه "الماء". أما ذهب الأصيل فإن أريد بالأصيل أشعة الشمس قبيل الغروب فهى مشبه والذهب مشبه به ويكون من إضافة المشبه به إلى المشبه وإن أريد بالأصيل : الورقة ، كانت الجملة من قبيل الاستعارة ويكون هدف الشاعر أن يعبر عن صفرة شعاع الشمس في هذا الورقة فتشبيهه بالذهب واستعاز له لفظ الذهب على سيل الاستعارة التصريحية .. ومنه قول ابن حمديس الصقلي يصف تقوس الهمالا :

كأنما أدهم الإظلام حين نجا

من أشهب الصبح ألقى نعل حافره^(٣)

(١) سورة الأحزاب ، الآيات : ٤٥-٤٦ .

(٢) الأصيل : المراد بها إما أشعة الشمس قبيل الغروب وإما الوقت ما بين العصر والمغرب . واللجين : الفضة .

(٣) الأدهم : الفرس الأسود ، والأشهب : الفرس الأبيض ، والمراد تشبيه الليل بالفرس الأدهم والصبح بالفرس الأشهب ، وقد استعير النعل الذي يكون في رجل الفرس للهلال لتشابهه له في الدقة والانعطاف .

شبه ظلام الليل بالفرس الأدهم والصبح بالفرس الأشهب وقد وقع المشبه به مضافا إلى المشبه في التشبيهين ثم استعار نعل الحافر للهلال . وفي البيت تخيل حسن بديع حيث صور الشاعر لنا معركة بين الليل والصبح انتصر فيها الصبح وفر الليل متزوجا من مطاردة الصبح له واستعلن الليل على سرعة الفرار والهرب بإلقاء نعله ليكون ذلك عونا له على سرعة الفرار والنجاة ، وقد أخذ الشاعر من مخلفات المعركة نعل حافر الفرس فشبهه به الهلال وبني على التشبيه استعارته الغريبة .

ومثل قول الشريف الرضي يدعى الله أن يرطب قبور أحبابه :

أرسى النسيم بواديكم ولا برحت
حوامل المزن فى أجداولكم تضع
ولا يزال جنين النبت ترضعه
على قبوركم العراضة الهمج^(١)

شبه المزن بالحوامل والنبت بالجنين وقد وقع المشبه به وهو "الحوامل" و"الجنين" مضافا إلى المشبه وهو : "المزن" و "النبت" .

والمعنى : ما زال السحاب المتلى بالماء الشبيه بالحوامل الممتلئة بطونها بالأجنة يسقط على قبوركم ، ولا يزال النبات الأخضر المورق الشبيه بالأجنة الصغيرة يرويه على قبوركم السحاب المطر .

أما الوضع والإرضاع فهما ترشيح للتشبيه ويجوز أن يجعل كلا منهما استعارة مستقلة بأن نشبه سقوط الأمطار من السحاب بوضع المرأة جنينها . وتغذيه الماء النازل من السحاب للنبات بإرضاع الأم ولدتها باللين ثم حذف المشبه واشتقت من المشبه به "الوضع والإرضاع" : تضع وترضع على سبيل الاستعارة التبعية . ومنه قول البحترى :

غمام سماح لا يحب له حبا
ومسرع حرب لا يضيع له وتر^(٢)

(١) أرسى : ثبت وهي جملة دعائية . والمزن : السحاب ذر الماء ، والأجداد : القبور ، والعراضة : السحاب العريض والممع : المطر .

(٢) السماح : الجود والكرم ، ومسرع الحرب : مشعلها ، والوتر : الثأر .

شبه السماح بالغمام وقد جاء المشبه به "الغمام" مضافا إلى المشبه وهو "السماح".

٤ - أن يقع المشبه والمشبه به مفعولين لفعل من الأفعال التي تنصب مفعولين مثل علم ورأى وحسب وظن وحال ونحوها فهذه الأفعال تتبع بالتشبيه وترشد إليه وليس أدوات بل الأداة تكون مقدرة .. من ذلك قوله : علمت محمدا بحرا ورأيته أسا وحسبت الرجل شمسا وخلته بدرأ وظنته كوكبا . فقد وقع كل من المشبه والمشبه به مفعولين للأفعال المذكورة وهذه الأفعال قد أنبأت بالتشبيه ، أما الأداة فهي مقدرة والتقدير : علمت محمدا كالبحر .. وكالأسد .. إلخ .

ومن ذلك قول البحتري :

إذا الأسنة خالطتها خلتها فيها خيال كواكب في الماء^(١)

شبه الأسنة إذا خالطتها الدروع بخيال الكواكب تبدو في الماء بجمام الصفاء واللمعان فالمتشبه هو الضمير المنصوب في "خلتها" العائد على الأسنة مع الجار والمحرر "فيها" والضمير في "فيها" يعود إلى الدروع . والمشبه به : "خيال كواكب في الماء" ولا يخفى أن المشبه والمشبه به قد وقعا مفعولين للفعل "حال" الذي أرشد إلى التشبيه وأن أدلة التشبيه هي الكاف المقدرة والتقدير : خلتها فيها كخيال كواكب في الماء .

(١) الأسنة : الرماح ، والضمير في خالطتها يعود إلى الدروع وفي خلتها للأسنة . يريد تشبيه الرماح إذا خالطت الدروع بخيال الكواكب حين يسدو في الماء لأن الأسنة تكون لامعة كالكواكب والدروع تكون صافية كالماء .

مبحث أغراض التشبّه

هذا هو الركـن الخامس من أركـان التشبـه وهو الغـرض منه أو الأسبـاب والدواعـى التي تـحمل الأديـب عـلى عـقد التشبـه أو الغـاية التـي يرمـى إلـيـها البـليـغ بـتشـبيـهـه ويـقصد إلـى تـحقـيقـها أو الفـائـدة التـي يـريـد التـكلـم أـن يـوصلـها إلـى السـامـع باـسـتـخدـام الأـسـلـوب التـشبـيـهـي . وـهـذـه الأـغـرـاض تـعودـ فـي الغـالـب إلـى المشـبـه وـقد يـرجـع بـعـضـها إلـى المشـبـه بـه .

الأـغـرـاض العـالـدـة عـلـى المشـبـه :

١ - بيان إمكان وجوده وذلك إذا كان المشـبـه من الأمـور الغـرـيبة التـي يستـبعـد حـصـورـهـا وـيدـعـى استـحـالـتها ، كـما في قول المـشـبـه :

فـيـانـ الـمسـكـ بـعـضـ دـمـ الغـزالـ

ادعـى المشـبـه أنـ مـدـوـحـه قدـ تـناـهـى فـي الصـفـاتـ الفـاضـلـة إلـى حدـ صـارـ بهـ جـنسـاـ منـفـرـداـ بـذـاتهـ أـشـرـفـ منـ جـنسـ الإـنـسـانـ وـهـوـ فـي الـوـاقـعـ مـنـهـمـ ، وـهـذـهـ دـعـورـيـ بـعـيـدـةـ غـرـيبـةـ تـحـتـاجـ إـلـى بـيـانـ إـمـكـانـهـاـ وـإـثـبـاتـ أـنـ هـاـ نـظـيرـاـ فـيـ الـمـرـجـودـاتـ الثـابـتـةـ .. وـلـذـاـ قـالـ : "فـيـانـ المسـكـ بـعـضـ دـمـ الغـزالـ" وـعـلـىـ الرـغـمـ مـنـ أـنـهـ مـنـ جـنسـ الدـمـاءـ إـلـاـ أـنـ تـناـهـىـ فـيـ الصـفـاتـ الشـرـيفـةـ إـلـىـ حدـ يـتـرـهمـ لـأـجلـهـ أـنـهـ نـوعـ آخـرـ غـيرـ دـمـ لـتـفـوقـهـ بـشـرـفـ رـائـحـتـهـ .. وـالـتـشـبـيـهـ فـيـ الـبـيـتـ ضـمـنـيـ ، وـالـمـشـبـهـ : حـالـ المـدـوـحـ فـيـ تـفـوقـهـ عـلـىـ أـهـلـ زـمانـهـ تـفـرقـاـ صـارـ بـهـ كـأنـهـ جـنسـ مـنـفـصـلـ عـنـهـمـ ، وـالـمـشـبـهـ بـهـ : حـالـ المـسـكـ فـيـ تـفـوقـهـ بـشـرـفـ رـائـحـتـهـ عـلـىـ الدـمـاءـ حـتـىـ صـارـ كـأنـهـ جـنسـ آخـرـ .

وـوـجـهـ الشـبـهـ : خـروـجـ بـعـضـ أـفـرـادـ الجـنـسـ بـفـضـائـلـهـ عـنـ جـنـسـهـ مـعـ مـلاـحظـةـ الأـصـلـ فـيـ بـقـائـهـ دـاخـلـ الجـنـسـ بـالـاتـسـابـ إـلـيـهـ .

وـالـغـرـضـ مـنـ التـشـبـهـ : بـيـانـ إـمـكـانـ المـشـبـهـ بـإـثـبـاتـ نـظـيرـ لـهـ كـماـ بـيـناـ .

ومن ذلك قول البحتري :

دان على أيدي العفة وشاسع
عن كل ند في الندى وضرير
كالبدر أفترط في العلو وضوره
للهيبة السارين جد قرير

وصف المدوح بصفتين متناقضتين في الظاهر ثم زال هذا التناقض الظاهري
بالمشبه به الذي بين أن لما ادعاه الشاعر نظيراً في الوجود .

وقول ابن الرومي :

قالوا : أبو الصقر من شيبان قلت لهم
كلا لعمري ولكن منه شيبان
كم من أب قد علا بسابن ذرا شرف
كم علا برسول الله عدنان

فالمشبه : أبو الصقر وقد شرفت به قبيلته وتلك دعوى غريبة لأن العادة أن
يشرف الفرع بالأصل لا العكس ولكن المشبه به وهو رسول الله ﷺ وقد شرفت به
عدنان أي العرب قاطبة قد أزال هذه الغرابة إذ بين أن لها نظيراً في الوجود .

٢ - بيان حال المشبه بمعنى إيضاح صفتة وذلك إذا كانت صفة المشبه مجهرة
وحاله غير معلومة للمخاطب فيقصد المتكلم إلى بيان هذه الصفة وإيضاح تلك الحال ..
من ذلك قول الأعشى :

كان مشيتها من بيت جارتها

مر السحابة لا ريث ولا عجل

شبها مشية المرأة من بيت الجارة حين تزورها بمرور السحابة التي تحمل المطر
والغرض بيان حال المشبه . وقول الآخر :

كان سهيلاً والنجوم وراءه صفواف صلاة قام فيها إمامها

شبه هيئة سهيل وقد تقدم التحوم بهيئة الإمام يتقدم الصفوف في الصلاة
والغرض بيان حال المشبه وإبراز هيئته .

ومن ذلك تشبيه الشعر بالليل في السواد والوجه بالبدر في الإشراق والخد بالورد
في الحمرة . فهذه التشبيهات أفادت المخاطب لون الشعر وإشراق الوجه وحمرة الخد
فاتضاع لديه حال المشبه وبانت عنده صفتة .

٣ - بيان مقدار الحال وذلك إذا كانت صفتة معلومة للمخاطب والمجهول
مقدارها من القوة والضعف أو الزيادة والتقصان .

من ذلك قولنا : سواد هذا الشعر كسواد الليل وحمرة هذا الوجه كحمرة الورد .
فالمخاطب يدرك من التشبيه هنا مقدار السواد والحرمة لأنفس الصفة ، ومنه قول
الحسن بن وهب :

مداد مثل خافية الغراب وأقلام كثرة الحداد^(١)
فسواد المداد معلوم والتتشبيه أفاد شدته ورهافة الأقلام معرفة والتتشبيه أفاد عظم
دقتها ، وقول الآخر :

فأصبحت من ليلي الغداة كقباض على الماء خالته فروج الأصابع
أفاد التشبيه مقدار حاله في علاقته بفتاته وأنه بلغ أقصى غاية في الحرمان وخيبة
الأمل .

٤ - تأكيد حال المشبه وتقريرها في نفس السامع . وذلك إذا كان كل من
الحال ومقدارها معلومين وأريد بالتشبيه تأكيد انصاف المشبه بالصفة كتشبيه من لا يحصل

(١) الخافية : إحدى ريشات عشر في مقدم الجناح يقال لها عراف . والمرهنة : المدققة ، والحادد جمع
حديد وهو القاطع يعني السيف القواطع .

من سعيه على طائل بالرائم على الماء وبالقابض عليه . وتشبيه الحائز الذى يتخبط فى أمره بالثائى فى صحراء مظلمة . ومنه قوله تعالى : **(وَإِذْ نَقَّنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَلَهُ ظُلْلَهُ)**^(١) ، بين التشبيه فى الآية ما لم يخبر به العادة وهو رفع جبل الطور فوق رعوس اليهود . ما جرت به العادة وهو الغمامنة أو المظلة وذلك لتأكيد وتقرير هذا الأمر الحالى .

وقول ابن الرومي :

فالشاعر بين في البيت الأول صفة المشبه ومقدارها من بذل الوعود وعدم الوفاء
بها ثم جاء بالمشبه به في البيت الثاني ليقرر ذلك ويؤكده .

٥ - تزيين المشيه وتجميله . وذلك عند إرادة مدحه والتغيب فيه .

كتاب النهاية مادحا:

فإنك شمس الملوك كواكب إذا طلعت لم يهد منهن كوكب

وقول الآخر يصف جارية سوداء :

أكسيها الحب أنها صبغت صبغة حب القلوب والخدق

أبرز التشبيه في البيتين تزيين المشبه للتغيير فيه .

٦- تشويه المشبه وتفسيحه وذلك عند إرادة الذم والتنفير منه كقول الشاعر :

وإذا أشار محدثاً فكانه قد يقهقه أو عجوز تلطم

امانة مجلس الأئمة

^(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧١.

(٤) المخلاف : صنف من الصنفاصف وليس به . وهو يروق ولا يشرب سمي مخلافا ؛ لأن السيل يأتي به سبيلا فنيبت من مخلاف أصله .

وقول الآخر في وصف مغن مقبحا صوته :

وَكَوْلَهُ فِي تَشْوِيهِ الْأَنَامِلِ وَتَقْبِيْحِهَا:

وتروی آناملها دبت علی معمارها کخافس دبت علی او تار

فهذه التشبيهات قد أبرزت المشبه في صورة مشهورة قبيحة . وقد أشار ابن الرومي إلى الغرضين السابقين بقوله :

تقول هذا مجاج النحل تمدحه وإن تعجبت ذاق الزنابير^(١)

ف عند إرادة تزيين الريق و تجميله تصفه بمجاج النحل و عند إرادة تقييمه والتنفيذ منه تشبهه بقى الزنبر .

٧ - إثارة الشعور باستحسان المشبه واستطرافه : وذلك بأن يكون المشبه به مما يندر خطوره بالبال لكونه لا وجود له في الواقع أو للبعد بين المشبه والمشبه به في الجنس . فيظهر المشبه عندئذ في صورة الشيء العجيب الذي يثير في النفس كرمان الاستحسان والإعجاب . من ذلك تشبيه فحسم فيه حمر متقد يبحر من المسك موجه الذهب ، وتشبيه حمر الشقيق بأعلام من ياقوت منشورة على رماح من زبرجد ، وتشبيه النيلوفر بدبابيس عسجد قطبيها من زبرجد ، وتشبيه التحور في أديم السماء بدرر نثرن على بساط أزرق . ففي هذه التشبيهات نجد المشبه به من المركبات الخيالية التي يندر خطورها بالذهن ولذا برع المشبه في صورة عجيبة ممتنعة تثير في النفس كرمان الاستحسان والإعجاب والاستطراف ومن التشبيهات التي جمع فيها الشاعر بين طرفين

(١) المجاج : الريق ترمى به من فمك ، وبجاج النحل : عسله ، والزنابير جمع زنور وهو : ذباب أليم اللسع من النحل وغيره .

متبعدين في الجنس فأثار بهذا الجمجم استحسان النفس واستطرافها للمشبه ، تشبيه الثريا بعنقود العنب المنور . وتشبيه البرق بمصحف القارئ . وتشبيه زهر البنفسج بأوائل النار في أطراف كبريت وتشبيه الفرس بحملود الصخر^(١) .

فمجرى المشبه به في هذه التشبيهات من جنس بعيد عن جنس المشبه يجعل حضور المشبه به وخطوره بالبال نادراً عند حضور المشبه فيه ، الأمر الذي يحتاج من الأديب إلى إطالة النظر ليجمع بين الطرفين المتبعدين ومن هنا كان استحسان المشبه واستطرافه .

وما جاء من ذلك أيضاً قول عدى بن الرقاع :

ترجي أغن كان إسرا روقه قلم أصاب من الدواة مدادها^(٢)

شبه الشاعر طرف قرن الظبية بقلم أصاب من الدواة مداداً ولا يخطر ببال أحد وبخاصة إذا كان بدويأ أمياً لم يمارس الكتابة والقلم ، لا يخطر بباله عندما يرى قرن الظبية أقلام ومداد الدواة ولذلك نجد جريراً قد أشدق على عدى حين سمع الشطر الأول من البيت وقال : ماذا يقول هذا الأعرابي الجلف بعد ذلك وبم يشبه؟ فلما قال : "قلم أصاب من الدواة مدادها" فجاء بالمشبه به من مكان أبعد ما يكون صلة بالمشبه مع إحكام وجهه الشبه بين الطرفين تحولت شفقة جرير على عدى إلى حسد له لأنه أحسن بفطنته وبقدرته على الإتيان بما لا يستطيع هو أن يأتي به^(٣) .

(١) قد مرت بك هذه التشبيهات فارجع إليها .

(٢) ترجي : تسوق والضمير للظبية ، والأغن : الذي في صوته غنة وهو ولدها ، والروق : القرن ، وإبرته : طرفه .

(٣) انظر الإيضاح ، جـ ٣ ص ٤٣ .

وهكذا كلما تباعد الطرفان في الجنس أثار التشبيه في النفس كوامن الاستحسان والاستطراف لأنه يرينا الشيئين مثلين متباهين و مختلفين موتلفين ويرينا الصورة الواحدة في السماء والأرض وفي خلقة الإنسان وخلال الروض ، ومبني الطباع على أن الشيء إذا برز من مكان لم يعهد ظهره منه وخرج من موضع ليس معden له كانت النفس به أشغف وأعجب . وأعجب من هذا إذا شبه الشيء الواحد بضدين في آن واحد كما يقال في المدح : هو حياة لأوليائه موت لأعدائه وكقول أبي على محمد بن الحسين :

أنا نار في مرقى نظر الماء سد ماء جار مع الإخوان

وقول أبي تمام في صفة الشيب :

له منظر في العين أليس لاصع ولكه في القلب أسود أسف(١)

وتشبيه الشيء الواحد بضدين يبرز المشبه في صورة عجيبة غريبة ويثير في النفس
كوامن الاستحسان والتعجب والاستطراف(٢) .

ما الذي يشرط في وجه الشبه لتحقيق تلك الأغراض؟

يرى بعض البلاطيين أن تحقيق تلك الأغراض وإفادتها إفاده تامة يقتضي أن يكون وجود وجه الشبه في المشبه به أقوى وأتم وأشهر وأعرف من وجوده في المشبه . فإذا قلنا : هذا الرجل كالأسد شجاعة ، وجب أن يكون وجود الشجاعة في الأسد أقوى وأكمل من وجودها في الرجل الشجاع وكذا يتشرط أن يكون اتصف الأسد بها أشهر وأعرف عند الناس وأظهر وأوضح لديهم من اتصف الرجل الشجاع بها(٣) .

(١) الأسف : الأسود المشرب بمصرة والاسم منه : السفعة .

(٢) انظر أسرار البلاغة ، ج ١ ص ٢٤٦-٢٤٨ .

(٣) انظر الإيضاح ، ج ٣ ص ٤٠ .

ولكن الأرجح وما عليه أكثر البلاغيين أن هذا الحكم ليس على إطلاقه فالذى يشترط فى وجه الشبه كى تتحقق هذه الأغراض أن يكون وجوده فى المشبه به أشهر وأعرف وأظهر وأوضح لأننا نلحق الغامض بالواضح كى يتضح الغامض فإذا كان وجده فى المشبه به أقل وضوحا منه فى المشبه ما صلح أن يكون بيانا له . أما من حيث القوة والكمال فالأمر مختلف حسب الغرض المراد من التشبيه فإذا كان الغرض تقدير وتأكيد ثبوت الصفة فلا بد أن يكون وجده الشبه أقوى وأتم فى المشبه به من المشبه لأن الضعف لا يصلح أن يكون مؤكدا ومقررا لما هو أكمل منه وأقوى . وإذا كان الغرض بيان المقدار فهو يحتاج إلى تساؤل الطرفين فى وجه الشبه كى يتضح المقدار ولذا ينبغى أن يكون المشبه والمشبه به على قدر سواء فى الاتصال بوجه الشبه . وإذا كان الغرض بيان إمكان المشبه فيكتفى لإثبات إمكانه أن يوجد المشبه به وأن يحصل فى الخارج قريبا كان أو ضعيفا . أما إذا كان الغرض تزيين المشبه أو تقييمه أو استطرافه أو بيان حاله فيكتفى لتحقيق هذه الأغراض وضوح وجه الشبه فى المشبه به دون حاجة إلى زيادته وقوته ، بل قد يكون وجده الشبه فى المشبه أقوى وأكمل منه فى المشبه به كما فى قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورٍ كَمِشْكَأَةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾^(١) إذا لا يتائق أن يكون نور المصباح فى المشكاة أقوى وأكمل من نور الله - جل جلاله - ولا مساواها له بل هو أضعف منه وأنقص كما لا يخفى .

ومن ذلك قول أبي تمام فى مدح أحمد بن المعتصم :

إِدَامُ عُمُرٍ وَفِي سَهَّاحَةِ حَسَّامٍ فِي حَلْمٍ أَحْنَفَ فِي ذَكَاءِ إِيَّاسٍ

^(١) سورة التور ، الآية : ٢٥ .

فالمقام يقتضي أن يكون اتصف الأمير أحمد بوجه الشبه أقوى وأتم من اتصف هؤلاء المذكورين به ولذا لما أخذ على أبي تمام أن الأمير أكبر من أن يشبه في ذلك بهؤلاء أشد مرتبلا .

لَا تنكروا ضربى لـه من دوـنه مثلا شـروـدا فـى النـدى وـالبـاس

فـالله قـد ضـرب الأـقل لـنـورـه مـثـلا مـنـ المشـكـاـة وـالـنـبرـاس

وخلالصة القول في هذا أن وجه الشبه من حيث الشهرة والوضوح يجب أن يكون في الشبه به أشهر وأعرف وأظهر وأوضح حتى يتحقق الغرض من التشبيه آياً كان هذا الغرض ومن حيث القراءة والكمال مختلف وجوده حسب الغرض المراد من التشبيه كما بينا .

لقد وموازنة :

وبناء على ما اشترط في وجه الشبه ضعف التقاد قوله البحرى في وصف ظلام الليل ربيان مقدار سواده :

عـلـى بـاب قـنـسـرـين وـالـلـيل لـاطـخ جـوانـبـه مـنـ ظـلـمـةـ بـمـدادـ^(١)

أراد أنه سهر مع إخوانه على باب هذه المدينة بعد أن نام الناس وغابت أعين الرقباء واسودت جوانب الأفق ثم أراد أن يعبر عن شدة سواد الليل ومقدار حلوكه فشببه بالمداد الأسود والمداد أقل شهرة في صفة السواد من الليل كما أنه أقل منه في شدة السواد وبهذا لا يكون التشبيه محققا للغرض منه وهو بيان مقدار الصفة في الشبه . واستحسنا في ذلك قول ابن الرومي :

حـبـرـ أـبـى حـفـصـ لـعـابـ اللـيلـ كـانـهـ أـلـوـانـ دـهـمـ الخـيـلـ

(١) قنسرين : مدينة مشهورة بالشام قرب حلب .

يسيل للإخوان أى سيل بغير وزن وبغير كيل^(١)

حيث شبه الحبر بظلمة الليل فحقق بذلك الغرض من التشبيه وهو بيان مقدار سواد الحبر واستوفى الشرط الذى يقتضيه بيان المقدار من كون وجه الشبه فى المشبه به أشهر وأظهر إذا الليل أشهر فى الظلام من الحبر ، ومن وجوده على التساوى فى الشدة فى كل منهما . لأن الشاعر أراد المبالغة فى وصف الحبر بالسواد ، فسواد الحبر يساوى فى مقداره سواد الليل بناء على ما أراده الشاعر من المبالغة وإلا فلن سواد الليل أشد .

الأغراض العائدية على المشبه به :

يعود الغرض من التشبيه على المشبه به عند قلب التشبيه . والتشبيه المقلوب هو الذى يجعل فيه ما هو الأصل فى وجه الشبه مشبها وما هو الفرع مشبها به . فهو يقوم أساساً على الفرض والتخيل والادعاء يجعل ما هو فرع فى وجه الشبه أصلاً فيه وما هو أصل فرعاً قصداً إلى المبالغة فى ثبوت وجه الشبه للفرع الذى صار أصلاً . ولذا فإن الغرض العائد على المشبه به فى التشبيه المقلوب هو فى الواقع عائد على المشبه ، لأن المشبه به كان فى الأصل مشبها قبل أن يقلب التشبيه .

وأهم هذه الأغراض ما يلى :

- ١ - المبالغة فى اتصاف المشبه به بوجه الشبه وإيهام أن الوجه فى المشبه به أشهر وأقوى منه فى المشبه .

(١) لعب الليل : المراد : ظلمة الليل وجعلها لعباً ليحans بينها وبين ما فى الحبر من سيولة . ودهم الخيل : سودها .

من ذلك قول ابن وهب في مدح الخليفة المأمون :

وَلِدَ الصُّبَاحَ كَانَ غُرْتَهُ وَجْهَ الْخَلِيفَةِ حِينَ يَتَدْحِ

جعل ما هو أصل في الضياء وهو الصباح مشبهاً وما هو فرع فيه وهو وجه الخليفة مشبهاً به قصداً إلى المبالغة في إعلاء شأن المأمون وتأكيد مدحه بإشراق الوجه .
وقول البحترى :

فِي طَلْعَةِ الْبَدْرِ شَيْءٌ مِنْ مَحَاسِنِهَا وَلِلْقَضِيبِ لَصِيبٌ مِنْ تَنْثِيهَا

جعل ما هو الأصل في وجه الشبه وهو : طلعة البدار والقضيب مشبهاً وما هو الفرع فيه وهو محسن الفتاة وتنبيها مشبهاً به بهدف المبالغة في إثبات الوجه للمشبه به ثم ازدادت هذه المبالغة بشيء خارج عن إفاده التشبيه وهو جعل ما في البدار وما في القضيب شيئاً قليلاً ونذرًا يسيرًا مما يوجد في الفتاة . "شيء من محسناتها . نصيب من تنبيتها" ... ومنه قول الآخر :

رَبِّ لِيلٍ قَطَعَتْهُ كَصِدْوَهُ وَرَاقَ مَا كَانَ فِيهِ وَدَاعَ

جعل الصدور أصلاً في السواد والليل فرعاً فيه وإن كان وجود السواد في الصدور والفرق على طريق التخييل وفي الليل على جهة الحقيقة . ومنه قول الله عز وجل - : ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾^(١) . جعل مستحلوا الربا البيع فرعاً في الإباحة والخل ، والربا أصلاً فيهما وذلك قصداً إلى المبالغة في إثبات إباحة الربا واستجابة لأطماع نفوسهم وشدة حرصهم على جمع المال من أي طريق . قوله تعالى : ﴿أَلَمْنَ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾^(٢) جعلهم الله لتماديهم في عبادة غير الله وتسميتهم بهذه

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٧٥ .

(٢) سورة النحل ، الآية ١٧ .

المعوذات آلة منزلة من يعتقد أن من لا يخلق أحق بالعبادة من يخلق فرعا ، ولذلك جعل من لا يخلق أصلاً في استحقاق العبادة فشبه به ، وجعل من يخلق مشبها على طريق التشبيه المقلوب مبالغة في تصوير جهلهم وعاديهم في الشرك . وكان الأصل أن ينكر عليهم جعلهم غير الخالق شبيها بالخالق في استحقاق العبادة .

٢ - بيان شدة الحاجة إلى المشبه به كتشبيه الجائع "البدر" في إشراقه واستدارته بالغيف . وتشبيهه المسك في طيب رائحته بالشواء ، وذلك تبنيها إلى شدة حاجته للرغيف والشواء ويسمى هذا الغرض بإظهار المطلوب ، وهو لا يحسن إلا في مقام الطمع في حصول الشيء الذي جعل مشبها به .

موازنة :

وردت تعبيرات التشبيه فيها ضمني وتفيد هذه التعبيرات المبالغة في المديح بإشراق الوجه وإضاءاته كقولهم : لا أدرى أوجّهه نور أم الصبح . وغرته أضوا أم البدر ونحو ذلك مما يفيد المساواة في الإشراق والإضاءة بين الطرفين حتى أصبح من الصعب التفريق بينهما بالزيادة أو النقصان . كما ورد قولهم إذا أرادوا الإفراط في المبالغة : نور الصباح ينافي في ضوء جبينه ونور الشمس مسروق من نور وجهه ونحو ذلك مما يفيد أن نور الوجه والجبين تجاوزا في الإضاءة والإشراق نور الصباح ونور الشمس . وعندما نقارن بين المبالغة في هذه الأساليب والمبالغة في بيت ابن وهب .

وَدَا الصَّبَاحُ كَأَنْ غَرَّهُ وَجْهُ الْخَلِيفَةِ حِينَ يَتَسَدَّحُ

نجد أن المبالغة في البيت قد فاقت المبالغة في هذه الأساليب وذلك أنه في المثالين الأولين وقفت المبالغة عند حد المساواة بين وجه المدوح والصبح وبين غرته والبدر في الإشراق والإضاءة فلم يصل إلى مرتبة التشبيه في البيت الذي أفاد أصالة وجه الخليفة في الإشراق وجعل نور الصباح مقيسا عليه . وفي القولين الآخرين جاءت المبالغة على نفس القدر الذي جاءت عليه في البيت مع فارق دقيق له اعتباره وهو أن المبالغة في المثالين

مبالغة صريحة مكشوفة ليست مبنية على أصل مسلم في عقول الناس لأنها سبقت
بأسلوب الخبر العام المعرض للصدق والكذب . أما المبالغة في البيت فهي مبالغة مستترة
خفية حيث بنيت على أصل ثابت في عقول الناس وهو أن المشبه به في كل تشبيه أصل
في وجه المشبه والمشبه مقيس عليه . فمجمع المبالغة عن طريق التشبيه يجعل السامع يتلقاها
بالقبول والاستحسان لبنيتها على أصل معين وطريق متبعة ..

التشابه

بتأمل التشبيهات المتقدمة في أغراض التشبيه نجد أن الناقص من وجه الشبه قد الحق بالزائد فيه بناء على ما تقرر من أن وجه الشبه يجب أن يكون أكثر وضوحاً وظهوراً في المشبه به منه في المشبه . وفي بعض الأغراض يجب أن يكون أقوى وأتم سواء كان وضوحاً وعماه حقيقةً كما في الأغراض العائلة على المشبه أو ادعائياً كما في الأغراض العائلة على المشبه به ... فإذا لم يقصد بالتشبيه إلحاق الناقص بالكامل بل قصد تساوى الطرفين في وجه الشبه بحيث يصلح كل واحد منهما لأن يكون مشبهها ومشبهها به دون ترجيح لأحدهما على الآخر .. فالأخشن عندئذ العدول عن صيغة التشبيه إلى صيغة التشابه ، كما في قول أبي إسحاق الصابي :

تشابه دمعي إذ جرى ومدامتي فعن مثل ما في الكأس عيني تسكب
فو الله ما أدرى أبا الخمر أسبلت جفوني أم من عبرتى كنت أشرب (١)

أراد أن الدمع والمداماة تساويان في الحمرة أو في الصفاء مساواة جعلته لا يستطيع أن يميز بينهما ولذا عدل عن التشبيه واستخدم صيغة التشابه وقد أكد هذه المساواة باليت الثاني الذي أفاد وقوعه في الحيرة وعدم التمييز بين الدمع المسكروب والخمر المشروبة .
ومنه قول الصاحب بن عباد في الخمر أيضاً :

رق الزجاج وراقت الخمر فتشابها لتشاكل الأمر
وكأنما قدح ولا خمر (٢)

١ - المداماة : الخمر سميت بذلك لأنه لا شراب يستطيع إدامة شربه غيرها .. والعبرة : الدمع . والتشابه بين الخمر والدمع إما في الحمرة فيكون ادعائياً وإما في الصفاء فيكون حقيقةً .
٢ - القدح للكأس .. وكان في البيت الثاني للشاعر لا للتشبيه ...

ادعى المساواة بين الخمر والكأس في الصفاء فعدل عن التشبيه إلى التشابه ثم أكد هذه المساواة باليت الثاني الذي أفاد أنهما أشكلاً عليه فلم يستطع أن يميز أحدهما من الآخر ..

ويجوز عند إرادة التساوى بين الطرفين فى الصفة استخدام صيغة التشبيه لأن العدول عنها إلى التشابه - كما قلنا - على جهه الأفضلية والاستحسان ، ولذا حاز استخدام صيغة التشبيه عند إرادة التساوى بين الطرفين بقطع النظر عن زيادة وجه الشبه فى أحدهما عن الآخر .. كتشبيه غرة الفرس بالصبح بقصد المساواة بينهما فى وجه الشبه وهو "ظهور منير فى مظلم" وقطع النظر عما يوجد من تفاوت بين قوة الإشراق وسعة مداه فى الطرفين .. وكذا تشبيه الصبح بغرة الفرس دون أن نعد ذلك من التشبيه المقلوب الذى يقتضى زيادة المبالغة . وكتشبيه الشمس بالمرأة الجلوة والمرأة الجلوة بالشمس ب مجرد اجتماعهما فى الاستدارة والتاللؤ دون نظر إلى ما بين نور الشمس ونور المرأة من تفاوت .. وكتشبيه الشمس بالدينار الخارج من السكة فى قول ابن المعتز :

ر جلتـه حدـادـ الضـرابـ (١)

وكانـ الشـمـسـ المـنـيرـ دـيـنـاـ

وتشبيه الدينار بالشمس دون نظر إلى ما بينهما من تفاوت فى الحجم ومقدار التاللؤ .. وكذا تشبيه ظهور ضوء الصبح بين ظلام الليل بعلم أبيض على ديباج أسود فى قول ابن المعتز :

منـ الصـبـاحـ طـراـزـ غـيرـ مـرـقـومـ (٢)

وـالـلـيـلـ كـالـخـلـلـ السـوـدـاءـ لـاحـ بـهـ

(١) حدـادـ الضـرابـ ، المرـادـ بـهـ آلاتـ الصـكـ .

(٢) المـلـهـ : كلـ ثـوبـ جـدـيدـ أوـ ثـوبـ مـطـلقـاـ .. وـالـطـراـزـ : عـلـمـ الثـوبـ .. وـالـرـقـومـ : المـخـطـطـ

فقد نظر إلى مجرد حصول بياض في سواد أكثر منه ولم ينظر إلى التفاوت بين مقدار البياض في الصبح ومقداره في العلم الأبيض ... وربما سأله سائل : إذا كان الطرفان متساوين في وجه الشبه بغض النظر عما بينهما من زيادة أو نقصان فما الذي اقتضى جعل غرة الفرس مشبها والصبح مشبها به ثم العكس أو جعل الشمس مشبها والمرأة مشبهاً به ثم قلب التشبيه ما دامت المبالغة بالقلب غير مقصودة ..

والجواب : أن الذي اقتضى ذلك ليس ملاحظة ما بين الطرفين من زيادة أو نقصان وإنما ملاحظة أخرى ترجع إلى مقام الكلام ومدار الحديث فإذا كان الحديث يدور حول الفرس جعلت غرته مشبها ، وإذا كان يدور حول الصباح جعل هو المشبه لأن الحديث عنه والغرض من التشبيه متوجه إليه .. وكذا القول في الشمس والمرأة أو الشمس والدينار فإن الحديث يدور حول الشمس قدمت وجعلت هي المشبه لأن العناية منصبة عليها والحديث إنما هو عنها وإن دار الحديث حول الدينار أو حول المرأة قدم ما يدور حوله الحديث وجعل مشبها لأنه موضوع الاهتمام والغرض من التشبيه متوجه إليه ...

التشبيه الحسن والتتشبيه القبيح

ينقسم التشبيه باعتبار الغرض منه إلى قسمين : تشبيه حسن مقبول وتشبيه قبيح مردود .

فالحسن المقبول : ما كان محققًا للغرض الذي عقد التشبيه من أجله وأفيا به بأن يكون وجده الشبه أشهر وأعرف في المشبه به وذلك في كل غرض من أغراضه . وأتم وأكمل إذا أريد تأكيد الصفة وتقريرها في المشبه كتشبيه السفن بالجبال والرجل الضخم

بالغيل . وإذا كان الغرض بيان المقدار فيجب أن يكون الوجه على درجة واحدة في الطرفين . وإن كان الهدف بيان الإمكان وجب أن يكون وجه الشبه مسلماً به في المشبه به حاصلاً فيه معترضاً به من المخاطب . وإن كان الغرض من التشبيه عائداً على المشبه به فإن صفتى الوضوح والكمال تكونان أكثر في المشبه به على طريق التخييل والادعاء . إلى آخر ما وقفتنا عليه من حديثنا عن أغراض التشبيه .

أما القبيح المردود : فهو ما أخل بالغرض المقصود من التشبيه ولم يف به . إما لعدم وجود شبه بين الطرفين . أو لكون الوجه بعيداً أو غير واضح في المشبه به . وإما لتنافي التشبيه مع الذوق السليم ومحافاته للطبع القريم . فمن ذلك قول الكميـت :
كأن الغطامط من غليها أرجـيز أسلم تهجـو غفارـاً (١)

فقد عابه نصيب وقال له : " **أخطـات مـاهـجـت أـسـلـم غـفـارـا قـط** " ومراده أن الواجب أن يكون التشبيه بشيء واقع معروف ... قوله الفرزدق :
يـشـون فـي حـلـق الـحـدـيد كـمـا مـشـت جـرـب الـجـمـال بـهـا الـكـحـيـل الـمـشـعـل (٢)

شبه الرجال في حلق الحديد بالجمال الجرب وهو تشبيه بعيد لأنه إن أراد السوداد فلا مقاربة بينهما في اللون ، إذ الحديد أبيض وإن أراد شيئاً آخر فهو غير واضح ... ومع ما فيه من بعد فقيه أيضاً سخف وغثائه لتنافيه مع الذوق والطبع السليم ...
قول الموار :

وـخـال عـلـى خـدـيـك يـيلـدو كـانـه سـنـا الـبـدر فـي دـعـجـاء بـاد دـجـونـهـا (٣)

١ - الغطامط : صوت غليان القدر . وفي لسان العرب مادة "غطّمظ" ، أسلم وغفار : قيلتان كانت بينهما مهاجة ، وبهذا يكون الكميـت قد شبه بشيء واقع معروف فلا عيب في الـيت .

٢ - الكـحـيـل : القطران تطلـى به الإبل وأشعل إـلـهـا بالقطـران كـثـرـهـ عـلـيـها .

٣ - الدـعـجـاء : السوداد صفة لمصرف مخزوف والتـقـدير : لـيـلة دـعـجـاء ، ودـجـونـهـا : سـوـادـهـا .

ورداعه هذا التشبيه ترجع الى أن الخنود بيض والمعارف عليه أن يكون الحال
أسود فتشبيه الخنود بالليل والحال بسنابالدر تشبيه ناقص للعادة ، ومخالف لما تعارف
عليه الناس ..

وقول أيمن بن خريم في مدح بشر بن مروان :-

فإنا قد وجدنا أم بشر كأم الأسد مذكارا ولودا

فوجه التشبيه : " مذكارا ولودا " غير محقق في المشبه به لأن أم الأسد ليست
كذلك ..

وقول أغراي في صفة الشيب :

ومازلت ترجو نيل سلمي وودها
وتبعد حتى أبيض منك المسابع
ملا حاجبيك الشيب حتى كأله ظباء جرى منها سنبح وبسراح (١)

شبه الشعر الأبيض في حاجبيه بظباء سوانح وبسراح وليس هناك وجه شبه
واوضح بين المشبه والمشبه به . . .

وقول آخر في وصف روض :

ثياب قد روين من الدماء كان شقائق النعمان فيه

فالتشبيه مصيبة والوجه محقق ولكن العيب أتاه من بشاعة ذكر الدماء وهو
بصدق وصف زهر جميل في روض أنيق . .

وقول بعض الأعراب يصف شدة غيرته :

إذ أنا في الدار كأني حمار فلو رأتنى أخت جيرانا

١ - المسابع : جوانب الرأس ، والسنبح والسانح : ما ولاك ميامنه ، والبارح : ما ولاك مياسره ، يتفاصل بالأول
ويتطاير من الثاني .

شبه نفسه بالحمار في شدة الغيرة .. فهم يقولون: "أغير من حمار" وهذا التشبيه وإن كان صحيحاً فإنه لا يحسن بالإنسان أن يشبه نفسه بالحمار لاسيما بلفظ الإطلاق كما في البيت .. لأن هذا يتنافى مع الذوق السليم .

وقول أبي عون الكاتب في صفة الخمر تهتز في زجاجتها وقد علاماً زيد :

تلاعها كف المزاج محنة
ها وليجرى ذات بينهما الأنس
فتزيد من تيه عليه كأنها غريرة خدر قد تخبطها المنس

فلو أن في هذا كل بديع لكان مقينا بشعا .. ومن ذا يطيب له أن يشرب شيئاً يشبه زبد المتصروع وقد تخبطه الشيطان من المس ؟

وقول الشنفرى يصف حركة السيوف في القتال :
تراها كاذناب الحسيل صوادرأ وقد نهلت من الدماء وعللت^(١)

شبه حركة السيوف وقد ارتوت بدماء القتلى بحركة أذناب الحسيل عندما تلتقي بأمهاتها فهى تحرك أذنابها فرحة باللقاء .. ووجه الشبه وإن كان صحيحاً وبخاصة إذا اعتبرنا أن لون الدماء قد قرب بين لون الأذناب ولون السيوف .. إلا أن الذوق السليم ينفر من مثل هذا التشبيه .

ومن تلك التشبيهات المعيبة ما مر بنا في قول ابن شرف القيروانى فى معاقبة البرئ وترك الجانى :

غیری جنی و أنا العاقب فيكم فكأنني سبابة المتلاد
لعدم تحقق وجه الشبه في المشبه به ..

١ - الحسيل : ولد البقرة ويطلق على الواحد والجمع .. صوادرأ : رواجعاً يقال صدر عن الماء وعن البلاد؛ رجع .. والصدر نقىض الورد .. نهلت : النهل أول الشرب .. وعلت : العلل : الشربة الثانية ، والشرب بعد الشرب تباعاً .. يقال علل بعد نهل .. والمراد : ارقاء السيوف بدماء القتلى ..

رقول البحترى فى وصف مقدار سواد الليل :

على باب قنسرین واللیل لاطخ
جوانبه من ظلمة بداد

لأن المشبه به وهو : "الداد" أقل شهرة واتكالا في صفة السواد من المشبه وهو

الليل . . .

هذا وقد عاب خصوم المتنبي قوله :

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

إذ قالوا: أراد التناهى في إطالة الوقوف فالبالغ في تقصيره فكم عسى هذا الشحيح أن يقف على خاتمه مهما بلغ شحنه والخاتم مما لا يخفى في السراب إذا طلب ، ولا يصعب الحصول عليه إذا فتش عنه . . . وقد رد هذا القول بأن المتنبي أراد بالتشبيه : الصرارة والصفة والميزة التي يقف عليها بهذه الأطلال أي : لأنهن بها ذليلاً خاضعاً ، خاشعاً متأمراً ، كهيئة الشحيح في وقوفه بحثاً عن خاتمه فإنه يقف ذليلاً خاضعاً متأمراً . . . أو أنه لم يرد التسوية بين الورقين ، في القدر والزمان والصورة ، وإنما أراد لأنهن وقوفاً زائداً على القدر العتاد ، خارجاً عن حد الاعتدال ، كما أن وقوف الشحيح يزيد على ما يعرف في أمثاله .

ونظيره قول الآخر :

رب ليل أمد في نفس العا
شق طولاً قطعته بانتحاب

فنفس العاشق مهما بلغ من الطول لا ينتد امتداد أقصر أجزاء الليل ، والشاعر إنما أراد أن الليل زائد في الطول على مقادير الليلي كزيادة نفس العاشق على الأنفاس .

التشبيه الضمني

هو التشبيه الذى يفهم من المعنى ويتضمنه سياق الكلام . . والفرق بينه وبين التشبيه الصريح أن التشبيه الصريح يوضع فيه المشبه والمشبه به فى صورة من صور التشبيه المعروفة ، أما التشبيه الضمنى فيلمح فيه الطرفان من المعنى ولا تبنى جملته على إحدى صور التشبيه التى عرفناها . . غالباً ما يكون المشبه به فى التشبيه الضمنى برهاناً وتعليقاً للمشبه .

انظر الى قول أبي تمام :

فالسيل حرب للمكان العالى لا تذكرى عطل الكريم من الغنى

شبه حال الرجل الكريم المحروم من الغنى بقمع الجبال لا يستقر عليها ماء السيل ، ولم يأت التشبيه صريحاً فى صورة من صور التشبيه بل جاء ضمئياً مفهوماً من معنى الكلام وقد وقع فيه المشبه به تعليلاً للمشبه ، كما ترى .

ومثله قول أبي الطيب :

ما مجرح بمبثت ايلام من يهن بسهل اهوان عليه

شبه حال من اعتاد اهوان فسهل عليه تحمله بحال الميت لا يتالم إذا جرح ، وقد فهم التشبيه من المعنى فهو تشبيه ضمئى . . . ومن ذلك قول الفرزدق يهجر جريراً:

ما ضر تغلب وائل هجوتها أم بلت حين تناطح البحران

شبه هجاء جرير "تغلب وائل" ببوله فى مجمع البحرين فكما أن بوله فى مجمع البحرين لا يؤثر فكذلك هجاؤه "تغلب". قوم الفرزدق لا ييدو له أثر .

ومنه قولنا : لا أدرى : أوجهه أنور أم الصبح .. وغرته أضوا أم البدر ..
ونور الصباح ينفى في ضوء وجهه .. ونور الشمس مسروق من نور جبينه ..

وقول المتنبي :

لَا يُوجِّه لِيَسْ فِيهِ حَيَاءٌ

وقول أبي نواس :

إِنَّ السَّحَابَ لَتَسْتَحِي إِذَا نَظَرْتَ

وقول البحترى :

فِي طَلْعَةِ الْبَدْرِ شَيْءٌ مِّنْ مُخَاصِّتِهِ

فهذه التشبيهات جميعها ضمنية وقد مررت بك فارجع إليها ..

ومنه قول الفرزدق :

قَوَارِضَ تَائِيَّيْ وَتَحْتَقِرُونَهَا

شَبَهَ ضَمْنِيَّاً الْقَوَارِضَ تَائِيَّهُ وَيَحْتَقِرُونَهَا الْقَوْمَ بِالْقَطْرِ الْإِلَاءَ فَيُقْعُدُ

مَقْدَارَهُ ، وَهُوَ يُشَيرُ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْكَثْرَةَ تَجْعَلُ الصَّغِيرَ مِنَ الْأَمْوَارِ كَبِيرًا .

مراتب التشبيه

إذا أراد المتكلم أن يعقد تشبيها بين أمرين ، فقد يذكر جميع أركان التشبيه ، وقد يمحض بعض هذه الأركان ، وتحتختلف مراتب التشبيه من حيث ما يفيد من قوة المبالغة وشدة التخييل حسب ما يذكر من أركان التشبيه ..

فأولى هذه المراتب : ذكر الأركان الأربعـة كقولنا : " زيد كالأسد شجاعة " ، ويفيد التشبيه عندـئذ أصل المبالغـة التـي يتحققـها كلـ تشـبيـه ولا مجالـ فيـه تخـيـلاتـ العـقـلـ وـ تـرـهـمـاتهـ .

المرتبـةـ الثـالـيـةـ : حـذـفـ أدـاءـ التـشـبـيـهـ فـقـطـ كـقـولـنـاـ : " مـحـمـدـ أـسـدـ شـجـاعـةـ " ، وـحـذـفـ الأـدـاءـ يـفـسـحـ أـمـامـ العـقـلـ مـيـدانـ التـوـهـ بـأـنـ المـشـبـهـ وـالمـشـبـهـ بـهـ شـئـ رـاحـدـ . . . فـالـتـشـبـيـهـ عـنـدـئـذـ يـفـيدـ قـوـةـ المـبـالـغـةـ . . .

المرتبـةـ الثـالـيـةـ : حـذـفـ وـجـهـ الشـبـهـ فـقـطـ ، نـحـوـ " مـحـمـدـ كـالـأـسـدـ " وـعـنـدـئـذـ تـذـهـبـ النـفـسـ كـلـ مـذـهـبـ وـتـخـيـلـ أـنـ المـشـبـهـ وـالمـشـبـهـ بـهـ يـتـحدـانـ فـيـ جـهـاتـ كـثـيـرـةـ ، وـإـنـ كـانـ الـمـصـودـ اـجـتـمـاعـهـمـاـ فـيـ صـفـةـ وـاحـدـةـ . . . وـفـيـ هـذـاـ إـفـادـةـ لـقـوـةـ المـبـالـغـةـ كـالـمـرـتـبـةـ الثـالـيـةـ .

المرتبـةـ الرـابـعـةـ : حـذـفـ أـدـاءـ التـشـبـيـهـ وـالـوـرـجـهـ مـعـاـ نـحـوـ : " مـحـمـدـ أـسـدـ ، وـهـذـهـ الـمـرـتـبـةـ أـقـرـىـ الـمـرـاتـبـ " إـذـ الـمـبـالـغـةـ فـيـهـاـ مـضـاعـفـةـ ، لـأـنـ حـذـفـ أـدـاءـ أـفـادـ أـنـ المـشـبـهـ عـيـنـ المـشـبـهـ بـهـ اـدـعـاءـ ، وـحـذـفـ وـجـهـ الشـبـهـ يـجـعـلـ النـفـسـ تـذـهـبـ كـلـ مـذـهـبـ فـيـ تـقـدـيرـ الـوـرـجـهـ ، وـلـهـذـاـ أـطـلـقـ الـبـلـاغـيـونـ عـلـىـ هـذـاـ التـشـبـيـهـ اـسـمـ : " التـشـبـيـهـ الـبـلـيـغـ " .

وـعـاـ يـجـدـرـ ذـكـرـهـ أـنـ حـذـفـ المـشـبـهـ فـيـ أـيـ مـرـتـبـةـ مـنـ تـلـكـ الـمـرـاتـبـ لـاـ يـؤـثـرـ فـيـهـ المـشـبـيـهـ مـنـ مـبـالـغـةـ ، وـلـاـ يـنـزـجـهـ عـنـ مـرـتـبـتـهـ إـلـىـ مـرـتـبـةـ غـيـرـهـاـ ، فـإـذـاـ قـلـنـاـ : " كـالـأـسـدـ فـيـ الشـجـاعـةـ " ، بـحـذـفـ المـشـبـهـ اـعـتـمـادـاـ عـلـىـ قـرـيـنةـ مـاـ ، لـاـ تـغـيـرـ مـرـتـبـةـ هـذـاـ التـشـبـيـهـ فـيـ إـفـادـةـ أـصـلـ الـمـبـالـغـةـ ، وـلـاـ يـنـزـجـ التـشـبـيـهـ عـنـ مـرـتـبـتـهـ الدـنـيـاـ بـحـذـفـ المـشـبـهـ .

هـذـاـ وـتـخـتـلـفـ مـنـزـلـةـ التـشـبـيـهـ أـيـضاـ بـاـخـتـلـافـ الـأـدـاءـ الـمـسـتـعـمـلـةـ ، فـقـولـنـاـ : " كـانـ زـيـداـ أـسـدـ ، أـبـلـغـ مـنـ نـحـوـ : " زـيدـ كـالـأـسـدـ " . . . كـمـاـ تـخـتـلـفـ كـذـلـكـ بـاـخـتـلـافـ وـجـهـ الشـبـهـ وـطـرـفـيـ التـشـبـيـهـ إـفـارـادـاـ وـتـرـكـيـاـ وـتـعـدـداـ ، وـعـقـلـيـةـ وـحـسـيـةـ ، عـلـىـ نـحـوـ مـاـ مـرـبـاـ فـيـ هـذـاـ الفـصـلـ .

الفصل الثاني الحقيقة والمجاز

حقيقة الأمر : يقين شأنه .. وحقيقة الرجل : ما يلزمـه حفظهـه ومنعـه ويحقـ عليه الدفاع عنه ، وجمعـها حقائق .. والحقيقة في اللغة : ما أقرـ في الاستعمال على أصل وضعـه ، والمجاز ما كان بضـد ذلك ، وإنـما يقعـ المجازـ ويعـدلـ إلـيـهـ عنـ الحقيقةـ لـعـانـ ثلاثةـ : الاتـساعـ والتـوكـيدـ والتـشـبيـهـ .. فإنـ عدمـ هـذـهـ الأـوصـافـ كانـ الحـقـيقـةـ الـبـتـةـ (١) .

فالحقيقة في اللغة : وصفـ علىـ وزنـ : "فعـيلـ" إـمـاـ بـعـنىـ مـفـعـولـ منـ قولـنـاـ : حـقـقـتـ الشـئـ أـىـ : ثـبـتـهـ فـهـوـ حـقـيقـ أـىـ : مـثـبـتـ وـإـمـاـ بـعـنىـ فـاعـلـ منـ قولـنـاـ : حـقـ الشـئـ أـىـ . ثـبـتـ فـهـوـ حـقـيقـ أـىـ : ثـبـتـ .. قـالـ عـزـ وـجـلـ : "لـقـدـ حـقـ القـوـلـ عـلـىـ أـكـثـرـهـمـ فـهـمـ لـأـيـقـمـنـونـ" (٢) .

والمعنى : لقد ثبتـ القـوـلـ .. ثمـ نـقـلـ هـذـاـ اللـفـظـ "حـقـيقـةـ"ـ مـنـ الـوـصـفـيـةـ وـجـعـلـ اـسـمـاـ لـلـكـلـمـةـ الـمـسـتـعـمـلـةـ فـيـمـاـ وـضـعـتـ لـهـ باـعـتـبـارـ أـنـهـ مـثـبـتـ فـيـمـاـ وـضـعـتـ لـهـ أوـ ثـابـتـةـ فـيـهـ .

والتاءـ فيـ لـفـظـ "حـقـيقـةـ"ـ لـيـسـ لـلـتـائـيـثـ إـذـ يـجـبـزـ أـنـ نـقـولـ : هـذـاـ اللـفـظـ حـقـيقـةـ وـلـوـ كـانـتـ لـلـتـائـيـثـ لـمـ صـحـ أـنـ يـقـالـ ذـلـكـ .. وـإـنـماـ هـيـ لـلـدـلـالـةـ عـلـىـ نـقـلـ الـكـلـمـةـ مـنـ الـوـصـفـيـةـ إـلـىـ الـأـسـمـيـةـ وـلـلـإـشـعـارـ بـالـأـصـلـ الـذـيـ كـانـتـ عـلـيـهـ الـكـلـمـةـ قـبـلـ النـقـلـ .

١ - انظر لسان العرب مادة حق ص ٩٤٢ .

٢ - سورة يس الآية ٧ .

هذا والحقيقة والمحاز إذ أطلقا انصرفا إلى الحقيقة اللغوية والمحاز اللغوي ولا يحتاجان إلى تقييدهما باللغويين إلا في مقام المقارنة بينهما وبين الحقيقة العقلية والمحاز العقلى للتفرقة بينهما .

والحقيقة في الاصطلاح : هي الكلمة المستعملة فيما وضعت له في الاصطلاح الذي جرى به التخاطب . . فلفظ "الأسد" إذا استعمل في الحيوان المفترس كان حقيقة لاستعماله فيما وضع له في كافة الاصطلاحات . . ولفظ "الصلة" إذا استعمل بعرف الشرع في الأقوال والأفعال المفتتحة بالتكبير المختتمة بالتسليم كان حقيقة . . وإذا استعمل بعرف أهل اللغة في الدعاء كان حقيقة أيضا لاستعماله فيما وضع له أصحاب هذا الاصطلاح أو ذاك . . ونلاحظ في التعريف أن الكلمة قد قيدت بقيد ثلاثة :

- ١ - كونها مستعملة : فالكلمة قبل الاستعمال أي الكلمة التي وضعها الوضع ولم تستعمل ؛ لا تدخل في اللغة ، فلا تسمى حقيقة كما لا تسمى مجازاً . . .
- ٢ - وفيما وضعت له : خرج بهذا القيد الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في جميع الاصطلاحات : اللغوية والشرعية والعرفية فإنها تكون مجازا . . وخرج أيضا الخطأ اللساني وهو ما استعمل في غير ما وضع له خطأ ، كقولك لصاحبك : خذ هذا الفرس مشيرا إلى كتاب ، فمثل هذا لا يسمى "حقيقة" لاستعماله في غير ما وضع له ولا يسمى مجازاً لعدم وجود علاقة بين الفرس والكتاب . . والمراد بالوضع : تعين اللفظ للدلالة على معناه بنفسه من غير قرينة . . فدلالة اللفظ على معناه المجازي ليست وضعية ؛ لاحتياجه إلى القرىنه المانعة من إرادة المعنى الوضعي . . ودلالة المشترك على أحد معنييه الم موضوعين له وضعية ، لأن القرىنه التي احتاج إليها المشترك تعين أحد المعنيين الموضوعين لهما اللفظ لغة ، وليس كقرينة المحاز التي تعين معنى لم يوضع له اللفظ .

أقسام الحقيقة : وتنقسم الحقيقة باعتبار المصطلح الذي ترجع إليه إلى أربعة أقسام:

١- الحقيقة اللغوية : وهي ما وضعتها واضع اللغة ودللت على معنى مصطلح عليه في تلك الموضعية . . . فمراجع الدلالة فيها إلى وضع اللغة كاستعمال لفظ الإنسان والفرس والجبل والشجرة والزهرة والسماء والأرض والنوم واليقظة والأم والأب . وغير ذلك من الألفاظ في معانيها الموضوعة لها في عرف اللغة .

٢- الحقيقة الشرعية : وهي اللفظة التي يضعها أهل الشرع لمعنى غير ما كانت تدل عليه في أصل وضعها اللغوي كالصلة والزكاة والسجود والركوع والكفر والإيمان والإسلام ، فهذه الألفاظ نسيت معانيها اللغوية ودلت بالشرع على معانٍ أخرى صارت فيها حقائق شرعية .. فمراجع الدلالة فيها إلى اصطلاح أرباب الشرع .

٣ - الحقيقة العرفية الخاصة : وهي ما كان مرجع الدلالة فيها إلى عرف خاص كاستعمال لفظ : المبدأ والخير والفاعل والمفعول والرفع والنصب والجز والجزم ، في معانيها المصطلح عليها في عرف النحويين فقد صارت هذه الألفاظ حقائق في معانيها التي اصطلاح عليها نحويًا ونسى النحاة معانيها اللغوية . . . وكذا استعمال الاستعارة والتشبيه والمجاز عند البلاغيين . . والسكون والعرض والجهر عند المتكلمين .

٤ - الحقيقة العرفية العامة : وهي ما كان مرجع الدلالة فيها إلى عرف عام لم يتعين صاحبه كاستعمال لفظ "الدابة" عند كثير من الناس في الدلالة على الحيوان الذي يستخدمونه في حياتهم اليومية ، كالحمار والبقرة والجمل والبغال والفرس ، وهي موضوعة في أصل اللغة للدلالة على كل مادب على الأرض ، قال تعالى : (وَمَا مِنْ ذَبَابٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) (١) فصار استعمالها في الدلالة على الحيوان الذي يستخدمونه ، حقيقة في عرفهم ولن أطلقها على معناها الوضعي ، ل كانت مجازا عند أرباب هذا العرف .

العام ..

(١) سورة هود آية : ٦

المجاز

المجاز في اللغة مصدر ميمي على وزن "مفعيل" وهو إما أن يكون معنى الجواز والتعدية من جاز المكان يجوزه إذا تعداده وقطعه .. وقد سميت به الكلمة التي جازت مكانها الأصلي وتعدته لغيره أو التي جاز بها المتكلم معناها الأصلي إلى غيره فتكون هذه التسمية من إطلاق المصدر وإرادة اسم الفاعل أو المفعول .. وإما أن يكون معنى مكان الجواز والتعدية من قوله : جعلت هذا بحاجة إلى حجاجا إلى طرقا إليها فهو من جاز المكان أي : سار فيه وسلكه إلى كذا ، لا من جازه إذا تعداده ، فيكون لفظ المجاز اسم مكان وقد أطلق على الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له باعتبار أنها طريق إلى تصور المعنى المراد منها .

إنكار المجاز والحقيقة : يزعم البعض أن اللغة كلها حقيقة ، وينكرون المجاز ، ويدهبون إلى أنه غير وارد في القرآن الكريم ولا في كلام الناس .

وحجتهم أن المجاز أخر الكذب والقرآن منه عنه ، وأن المتكلم لا يعدل إلى المجاز إلا إذا صارت به الحقيقة (١) .

ويزعم البعض الآخر أن أكثر اللغة عند التأمل مجاز لا حقيقة ، فقولنا : قام زيد مجاز ، لأن زيدا لم يفعل كل القيام بل فعل بعضه ، فهو من وضع الكل موضع البعض للاتساع والتوكيد ولذا يقال : قام قرمة وقومتين .. وقياما حسنا وقياما قيحا .

وكذا قولنا : "ضربت زيدا" مجاز أيضا ، لأن القائل فعل بعض الضرب لا كله ، وأنه ضرب بعض زيد لا جميعه ، فقد ضرب يده أو رجله أو ناحية من نواحي جسده وهذا فإنه إذا احتاط جاء ببدل البعض فيقول : ضربت زيداً رأسه أو كتفه .. ثم هو مع

(١) انظر الإتقان ج ٢ ص ٤٧ والبرهان ج ٣ ص ٤٣٢

ذلك متجرز لأن الضرب وقع بعض الرأس وبجزء من الكتف (١) .. وهذا الرأيان مبنيان على خطأ في التصور وعلى كثير من التدقيق الذي تنفر منه طبيعة هذه اللغة .. ويتبين ذلك فيما يلى :

١ - أن المجاز قد ورد في اللغة وفي القرآن الكريم فنحن نقول : "رأيت أسدًا" وترى رجلاً شجاعاً .. والله عز وجل يقول : (وَاسْأَلِ الْقَرِيْبَةَ) (٢) ويقول : (وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الدُّلُّ مِنَ الرَّحْمَةِ) (٣) .. والقرىء لا تسأل ، وليس للذل جناح ، فالمعنى على المجاز .

٢ - أن المجاز يفارق الكذب من جهةين :
الأولى : أن الكذب لا تأويل فيه والمجاز مبني على التأويل والصرف عن
الظاهر .

الثانية : أن المجاز لابد فيه من نصب قرينة على إرادة خلاف الظاهر من اللفظ،
مانعة من إرادة المعنى الحقيقي له .. أما الكذب فليس فيه قرينة على
إرادة غير الظاهر ، بل إن قائله يبذل قصارى جهده لتزييج ظاهره
وإبراز صحة باطله .

٣ - أن القائلين بأن أكثر اللغة بمحاجز قد بنوا رأيهم على كثير من التدقيق الذي تنفر
منه طبيعة اللغة ؛ لأنه تدقيق لا يصل بنا إلى غاية مرحلة .. فلو قلنا : مرض
زيد ، أفادت هذه الجملة الإخبار بمرض زيد ولو ذهبنا لندقق : أى مرض
أصابه؟ وأى جزء منه مرض؟ أرجله أم فخدنه أم بطنه أم صدره أم رأسه أم يده

(١) انظر المتصالص ج ٢ من ٤٤٧ و الطراز ج ١ من ٤٤ .

(٢) سورة يوسف : ٨٢ .

(٣) سورة الإسراء : ٢٤ .

- أم إصبعه؟ وإذا كان الجزء المريض من زيد هو الإصبع فـأى موضع منه؟ وأى إصبع من أصابعه؟ وهل كل الإصبع أم إحدى أصابعه؟ وإذا كانت إحدى أصابعه أهى الأولى أم الثانية أم الثالثة؟ وهل الأئمـة كلها؟ أم جزء منها؟ . . . وهذا تدقيق لا غاية وراءه ولا فائدـه ترجـحـي منه . . . بل إن طبيعة اللغة وعـقـرـيـةـ الدلالة تتنافـيـ معـهـ وـتـأـبـاهـ . وبـهـذاـ يتـضـحـ لـنـاـ أـنـ إـنـكـارـ الحـقـيقـةـ فـىـ اللـغـةـ إـفـرـاطـ وإنـكـارـ المـحـازـ تـقـرـيـطـ فـالـجـازـاتـ لـأـيـكـمـ دـفـعـهـاـ وـالـحـقـائـقـ لـأـيـكـارـهـاـ وـالـرـأـيـاتـ السـدـيدـ هوـ أـنـ اللـغـةـ وـالـقـرـآنـ الـكـرـيمـ يـشـتـملـانـ عـلـىـ الـحـقـائـقـ وـالـمـحـازـاتـ مـعـاـ .ـ فـمـاـ كـانـ مـنـ الـأـلـفـاظـ مـفـيدـاـ لـمـاـ وـضـعـ لـهـ فـيـ الـأـصـلـ فـهـرـ حـقـيقـةـ ،ـ وـمـاـ أـنـادـ غـيرـ مـاـ وـضـعـ لـهـ فـيـ الـأـصـلـ فـهـرـ بـحـازـ وـالـمـقـامـ هـرـ الذـىـ يـمـدـدـ مـاـ يـقـنـصـيـ اـسـتـعـمـالـهـ مـنـ حـقـائـقـ أـوـ العـدـولـ عـنـهـ إـلـىـ الـجـازـاتـ .

المجاز المفرد والمجاز المركب : ينقسم المجاز باعتبار الإفراد والتركيب إلى قسمين :

مجاز مفرد ، وهو ما كان اللـفـظـ المـتـجـوزـ بهـ مـفـرـداـ كـوـلـهـ تـعـالـ : (يـجـعـلـونـ أـصـابـعـهـمـ فـىـ آذـائـهـمـ مـنـ الصـوـاعـقـ) (١) ، أـىـ أـنـأـمـلـهـمـ . . .

وقول أبي تمام مادحا :

يا ابن الكواكب من ألمة هاشم والرجح والأحساب والأحلام

فالمراد بالأصابع في الآية : الأنامل والمراد بالكواكب في البيت : آباء المدوح .

ومجاز مركب : وهو ما كان اللـفـظـ المـتـجـوزـ بهـ مـرـكـباـ نـحـوـ : مـالـىـ أـرـاكـ تـقـدـمـ رـجـلاـ وـتـؤـخـرـ أـخـرىـ ؟ـ فـالـمـرـادـ :ـ تـرـدـدـهـ فـيـ الـأـمـرـ فـهـرـ يـقـبـلـ عـلـيـهـ مـرـةـ وـيـزـاجـعـ عـنـهـ مـرـةـ أـخـرىـ .

(١) سورة البقرة الآية ١٩ .

تعريف المجاز المفرد : فالجاز المفرد هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب على وجه يصح مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي .

فخرج "بالكلمة المستعملة" الكلمه قبل الاستعمال فإنها لا تسمى حقيقة ولا مجازا على نحو ما مر في تعريف الحقيقة .

وخرج "بغير ما وضعت له" الحقيقة ، فإنها مستعملة فيما وضعت له .. وقولنا: "في اصطلاح التخاطب" إشارة إلى أن المعتبر في تحديد الجاز أو الحقيقة ، الاصطلاح الذي يقع به التخاطب .. فالشرعى إذا استعمل لفظ "الصلة" في الدعاء كانت مجازا ، وإذا استعملها في الأركان الخاصة كانت حقيقة في عرفه .. والبلاغى إذا استعمل "الكتابية" في الستر والخفاء كانت مجازا .. ولفظ "الدابة" إذا استعمل عند أبواب العرف العام في الدلالة على الإنسان كان مجازا وإن كانت مستعملة فيما وضعت له في اصطلاح أهل اللغة .. واللغوى إذا استعمل لفظ "الأسد" في الدلالة على الرجل الشجاع كان مجازا وإذا استعمل في الدلالة على الحيوان المفترس كان حقيقة ... وهكذا .

وقولنا "على وجه يصح" إشاره إلى وجوب العلاقة الرابطة بين المعنى المجازي والمعنى الذى وضع له اللفظ ، وخرج بذلك الغلط اللساني كأن نشير إلى حجر ونقول لشخص : خذ هذا الفرس .. فاستعمال لفظ "الفرس" لا يسمى مجازا ؛ لأنه لا علاقه بين الحجر والفرس .

والقرينة : هي الأمر الذى يجعله المتكلم دليلا على أنه أراد باللفظ غير المعنى المرضوع له وتقيدها بالمانعة احترازا عن الكتابية ؛ لأن قريتها لا تمنع إرادة المعنى الأصلى مع المعنى الكتابى .

هذا والمجاز المفرد يتبرع باعتبار المصطلح الذي يقع به التخاطب إلى أربعة أنواع:
مجاز لغوى ومجاز شرعى ومجاز عرفى خاص ومجاز عرفى عام .. على نحو ما مرفى
تعريف الحقيقة .

ما الفرق بين الاستعارة والمجاز المرسل؟ : ينقسم المجاز المفرد باعتبار نوع العلاقة
الرابطة بين المعنى الحقيقى والمعنى المجازى الذى استعمل فيه اللقظت إلى قسمين :

١ - مجاز بالاستعارة : وهو ما كانت علاقته المشابهة بين المعنى الأصلى والمعنى
المجازى كقولنا : رأيت بحرا يغترف الناس من كرمه ، فالعلاقة بين البحر
والرجل الكريم المشابهة في العطاء .

٢ - مجاز مرسل : وهو ما كانت علاقته غير المشابهة كقولنا : أمطرت السماء
نباتا ، فالعلاقة بين النبات والغيث المسببها ؛ إذ النبات مسبب عن الغيث .
وكقوله تعالى : (يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ) (١) فالعلاقة بين
الأصابع والأتأمل الكلية إذ الأتأمل جزء من الإصبع .

المجاز المرسل وعلاقاته : فالمجاز المرسل : هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت
لعلقة غير المشابهة بين المعينين .. وسيمرسلا لأنه أرسل عن دعوى الاتحاد المعتبرة في
الاستعارة إذ ليست العلاقة بين المعينين المشابهة حتى يدعى اتحادهما .. أو لأنه أرسل
أى أطلق عن التقيد بعلاقة واحدة .

وعلاقة المجاز المرسل معناها : أن يكون هناك تلازم وترتبط يجمع بين المعينين
ويتسوغ استعمال أحدهما في موضع الآخر وهذه العلاقات كثيرة أشهرها ما يلى :

(١) سورة البقرة آية ١٩ .

علاقة السببية : وهي أن يكون المعنى الموضوع له اللفظ المذكور سبباً في المعنى المراد فيطلق السبب على المسبب .. والمحاذ بهذه العلاقة كثير في استعمالات العرب ، ففي ذلك قولهم : "رعينا الغيث" فالغيث : محاذ مرسل علاقته السببية ، لأن المعنى الحقيقي للغيث سبب في المعنى المراد الذي هو "النبات" .. وقرينة المحاذ قولهم : "رعينا" إذ الغيث لا يرعى .. والسر البلاغي في العدول عن الحقيقة إلى المحاذ في مثل هذا التعبير هو إبراز مدى أهمية الغيث وفرجهم به وأثره في نفوسهم حتى كأنه هو المرعى لا النبات.

ومن ذلك قوله تعالى : (فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ) (١) فالاعتداء الأول والثالث قد استعملما استعملا حقيقة والاعتداء الثاني استعمل استعملا مجازياً ، لأن المراد به ، المحازة والقصاص ، فغير بالسبب وهو الاعتداء عن المسبب وهو الجزاء والقصاص على سبيل المحاذ المرسل . وتكون بلاغة المحاذ هنا في إبراز قوة السببية بين الاعتداء وجزائه وأن الجزاء يجب أن يعقب الاعتداء فلا يتخلّف عنه ويشعر بذلك هذه الفباء "فاعتدوا" وما تقتضيه من سرعة المحازاة .. ولا يقال إن هذا يتناقض مع الدعوة إلى العفو والمحث على الصفح ؛ لأن المقام هنا مقام تحدّ بين المسلمين والكافر فهؤلئك يقتضي الشدة والقوة وسرعة الردع والمقام هناك مقام بيان للمعاملة بين المسلمين بعضهم بعضاً وذلك أدعى للعفو والمساحة .. فلكل مقام مقال .

ومثله قوله تعالى : (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَ وَأَصْلَحَ فَأَجْرَهُ عَلَى اللَّهِ) (٢) فالمراد بالسيئة الثانية : الجزاء والقصاص الذي يتسبب عن السيئة فهو من إطلاق السبب وإرادة المسبب على سبيل المحاذ المرسل .. ويجوز حمل الآية على الحقيقة على اعتبار أن المراد بالسيئة الثانية ما يسىء الجانبي ويؤذيه ؛ لأن جزاء السيئة مهما كان عدلاً فإنه يسىء إلى الجانبي ويؤذيه .

(٢) سورة البقرة آية ٤٠

(١) سورة البقرة آية ١٩٤

ومنه قول عمرو بن كلثوم :

فنجهل فوق جهل الماجاهلينا
ألا لا يجهل أحد علينا

الجهل معناه في اللغة : السفاهة والحمق وقد أراد عمرو بالجهل المسند إليه

الصادر منه: جزاء المعذين وعقوبتهم على جهلهم وسفاهتهم ، فهو بجاز مرسل حيث عبر بالسبب عن المسبب .. قوله تعالى (وَنَبِئُوكُمْ حَتَّىٰ تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبِئُوكُمْ أَخْبَارَكُمْ) (١) أراد عزوجل : ونعرف أخباركم فغير عن المعرفة والعلم بالاختبار الذي هو سبب المعرفة على طريق الجاز المرسل .. وعلم الله عزوجل أزلى فهو عليم بكل شيء ولا يحتاج في علمه إلى ابتلاء .. ولكن المراد ظهور حقيقة المبتلى وانكشفها فيصبح علم الله تعالى متعلقاً بالمعلوم الواقع ..

ومن ذلك قول المتibi:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

أراد أن يعبر عن شهرة أدبه وذيوع شعره وبلغه مبلغاً جعل من لا علم له بالأدب ينظر إليه ويعلمه ومن لم يسمع شعراً يسمع كلماته ويدركها .. وقد عبر الشاعر بالأعمى والأصم وأراد من لامعقة له بالأدب ولا علم عنده بمجده ، والعلاقة بين المعنين: السبيبية فإن السمع والبصر من أسباب العلم بالأشياء والمعنى والصمم من أسباب الجهل بها، والقرينة قوله : " نظر وأسمعت كلماتي " فإنه يستحيل أن يسمع الأصم أو يصر الأعمى شيئاً .

وقول الآخر :

أكلت دماً إن لم أر عك بضررة بعيادة مهوى القرط طيبة النشر

(١) سورة محمد آية ٣١

فهو يدعو على نفسه - إن لم يتحقق رغبته في الكيد لامرأته بضرة حسنة- أن يقتل له قتيل ويعجز عن الأخذ بثاره فيرضي بأخذ ديه ويأكل منها وقد عير عن الديمة بالدم ، والدم سبب فيها فهو بجاز مرسل أطلق فيه السبب وهو الدم على المسبب وهو الديمة.

ومن ذلك إطلاق "اليد" على العطاء والنعمة لأن اليد سبب في إيصال النعمة للمحتاجين كما في قوله : جلت يده عندي ... وكثرت أياديه على ... وعمت أياديه الورى .. يريدون بذلك نعمة وعطائهم... ويشترط في هذا الاستعمال أن يكون في الكلام إشارة إلى صاحب النعمة كالضمير العائد على المدوح في الأمثلة المذكورة ولذا لا يقال : كثرت الأيادي عندي .. أو اتسعت اليد في البلد .. أو ادخرت يدا ، لأن المتادر إلى الذهن عندئذ هو المعنى الحقيقي دون المعنى المجازي ، لخلو الكلام غالبا من القرابة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي ، وفضلا عن ذلك فإنه يصير إلى كلام غث متهافت حال من الفصاحة .

ومن إطلاق اليد وإرادة النعمة قول الرسول صلى الله عليه وسلم لأزواجه :
"أسرعنك لحوقا بي أطولكن يدا" ... فالحديث يحتمل ثلاثة أوجه :
أولها : أن تكون اليد بجازا عن العطاء أو الإنعام ويكون أفعل التفضيل "أطولكن" المشتق من الطول ضد القصر ترشيحا للمجاز ملاءمته اليد الحقيقة ، كما أن ذكر ما يلائم المشبه به يكون ترشيحا للاستعارة ، والمعنى عندئذ: أسرعنك لحوقا بي أبغضلكن نعمة وأسرعنك عطاء ..
ثانيها : أن تكون اليد بجازا عن العطاء أو الإنعام أيضا وأفعل التفضيل مشتقا من الطول - بسكون الواو - بمعنى الفضل والمعنى عندئذ أسرعنك لحوقا بي أبغضلكن نعمة . والنعمة توصف بالفضل على جهة الحقيقة فلا ترشيح للمجاز عندئذ .

ثالثها : أن يكون في الحديث "جار و مجرور " متعلق " بأطول " والتقدير ، أسرعken لحرقا بي أطولken يدا بالعطاء . يعني أنها تزيد في مدها عند العطاء وعندئذ فلا مجاز ولا ترشيح بل اليد مستعملة في معناها الحقيقي وكذلك الطول - ضد القصر - ويكون أطولken يدا بالعطاء ، كنایة عن الكرم وحب العطاء والبذل كما يمكنه بقصر اليد عن البخل وكرامة البذل .

وكما تطلق اليد ويراد بها النعمة لأنها سبب في إيصال النعمة ، فإنها تطلق كذلك ويراد بها القدرة ، لأن اليد سبب في ظهور سلطان القدرة من بطش وضرب ومنع ونحوه ... ومن ذلك قوله : " اليد لبني فلان " والمراد : القوة والغلبة .. وكقوله تعالى (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) (١) والمعنى : قوته ونصرته فرق قوة أصحاب البيعة ونصرتهم .

أما قول الرسول صلى الله عليه وسلم : "المسلمون تتكافأ دمائهم ويسعى بدمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم" فليس من قبل المجاز المرسل ، بل من التشبيه البليغ ، إذ المراد من الحديث أن المسلمين متتسارون في الدماء وفي الذمة ، وفي التعاون والنصرة ، فيؤخذ الأمير بدم الفقير ، ويعاهد عليهم أدناهم منزلة ، فيسرى عهده على الجميع ، وكل واحد منهم في إطار الجماعة كالإصبع في اليد والجماعة كلها كاليد ذات الأصابع المتعارنة ، فكما لا تخذل الأصابع بعضها ببعض فالواجب على المسلمين ألا يتخاذلوا ، وبهذا يكون قوله عليه الصلاة والسلام : "وهم يد على من سواهم" ، من قبل التشبيه البليغ الذي حذفت أداته ووجهه .

(١) سورة الفتح آية ١٠ .

وقيل يجوز جعله بحازا مرسلا حيث غير باليد عن العرون وهي سببه والمعنى :
وهم عرون على من سواهم ، من إطلاق السبب على المسبب ...

ومن ذلك استعمالهم لفظ "الإصبع" في الأثر الدقيق من حذق بارع أو رسم
جيبل أو نقش لطيف ، إذ الإصبع سبب في إحداث هذا الأثر البديع الرائع .. ومنه قولهم:
إن لفلان على هذه اللوحة إصبعا .. وإصبع فلان بادية في هذا الخط ، وهذا الصائغ في
صناعة هذا السوار إصبع بارعة .. وكقول الشاعر في صفة راعي الإبل :

ضعيف العصا بادي العروق ترى له عليها إذا ما أجدب الناس إصبعا
أى : ترى له عليها أثر حذق ومهارة .. ويشترط لصحة هذا الاستعمال أيضا أن
يكون للإصبع تأثير في إحداث الأثر الذي يعبر بها عنه .. فلا يقال : هذه أصابع الدار ،
مراداً آثارها المتبقية ولا يقال : هذه أصابع المطر مراداً الآثار التي تختلفت عنه من وحل
وطين.

علاقة المسببة : وهي أن يذكر المسبب ويراد السبب بأن يكون المعنى الأصلي
للفظ المذكور مسبباً عن المعنى المراد فيطلق اسم المسبب على السبب من ذلك قولهم :
أمطرت السماء نباتا ، أى : ماء فذكروا المسبب "نباتا" وأرادوا السبب "ماء" فهو
بحاز مرسل علاقته المسببة .. ومنه قوله تعالى : (هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ
مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَدَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ) (١) والذى ينزل من السماء هو الماء الذى
يتسبب عنه الرزق فذكر المسبب فى موضع السبب وتکمن بلاغة المجاز فى الآية الكريمة
فى قرءة المسببة بين الماء والرزق وفي ذلك إيحاء وتنبيه للمؤمن إلى أن الرزق مصدره
السماء فليطمئن وليمض على النهج القويم فالرزق قد قدره الله وكفله للجميع إنه منزل
من السماء .

(١) سورة غافر : ١٣ .

وَكَذَا قُولهُ تَعَالَى (وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامَ ثَمَانِيَّةً أَرْوَاجٍ) (١) .. أَى أَنْزَلَ لَكُمْ
الْمَاءَ الَّذِي تُشَرِّبُهُ الْأَنْعَامُ وَالَّذِي يَنْبُتُ النَّبَاتُ فَتَرْعَاهُ الْأَنْعَامُ .. فَذَكَرَ السَّبِيلُ وَهُوَ الْأَنْعَامُ
فِي مَوْضِعِ السَّبِيلِ وَهُوَ الْمَاءُ وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى قُوَّةِ السَّبِيلِ وَتَبَيِّهِ وَطَمَانَةِ الْمُؤْمِنِ كَمَا فِي
الآيَةِ السَّابِقَةِ .. وَتَحْتَمِلُ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ وَجَهِينَ آخَرِينَ :

أَحَدُهُمَا : أَنَّ الْمَرَادَ بِإِنْزَالِ الْأَنْعَامِ : حُكْمُ اللَّهِ وَقَضَاؤُهُ بِخَلْقِهَا وَإِيجَادِهَا فَقَدْ قُضِيَ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَقَدْرُ إِيجَادِهَا ، وَقَضَاءُ اللَّهِ بَعْدِ ثِبَوَتِهِ فِي الْلَّوْحِ الْمَحْفُوظِ يَنْزَلُ إِلَى الْأَرْضِ
لِتَفْسِيْدِهِ .. فَإِنَّ إِنْزَالَ الْأَنْعَامِ لَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَنْعَامِ نَفْسَهَا إِنَّمَا يَتَعَلَّقُ بِحُكْمِ اللَّهِ وَقَضَاؤِهِ بِإِيجَادِهَا ، وَعَلَى
هَذَا فَلِيْسَ فِي الْآيَةِ بِمَحَازٍ .

ثَانِيَهُمَا : أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَخْلُقُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْجَنَّةِ ثُمَّ يَنْزَلُهُ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى الْأَرْضِ
وَهُوَ رَأْيُ بَعْضِ الْمُفَسِّرِينَ .. وَعَلَيْهِ فَلَا بِمَحَازٍ أَيْضًا فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ..

وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ يَصِيفُ غَيْثًا :

أَسْنَمَةُ الْأَبَالِ فِي سَحَابَةِ (٢)

أَقْبَلَ فِي الْمَسْتَنِ مِنْ رِيَابِهِ

أَرَادَ : أَنَّ الْغَيْثَ انْصَبَ عَلَيْهِمْ مِنْ سَحَابَهُ الْأَيْضَنْ فَسَقَى الْأَرْضَ وَأَنْبَتَ النَّبَاتَ
فَارْتَوَتِ الْإِبَلُ وَشَبَعَتِ وَسَمِنَتِ وَنَمَتِ أَسْنَمَتِهَا ، وَقَدْ جَعَلَ الشَّاعِرُ أَسْنَمَةَ الْإِبَلِ فِي
السَّحَابِ وَالَّذِي فِي السَّحَابِ هُوَ الْمَاءُ وَهَذَا مِنْ ذَكْرِ السَّبِيلِ فِي مَوْضِعِ السَّبِيلِ .. وَمِنْهُ
قَوْلُ الْحَقِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظَلَمُوا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ
نَارًا) (٣) وَالنَّارُ لَا تَوْكِلُ إِنَّمَا الْمَرَادُ : يَأْكُلُونَ مَا لَا حَرَامًا تَسْبِبُ عَنْهُ النَّارُ الَّتِي تَكُوْرِي

(١) سُورَةُ الزُّمْرِ : ٦

(٢) الْمَسْتَنُ : مَوْضِعُ حَرِيَانَ الْغَيْثِ الْمُنْصَبِ يَقَالُ : اسْتَنَتِ الْعَيْنُ : انْصَبَ مَا وَهَا .. وَالرِّيَابُ : السَّحَابُ الْأَيْضَنْ
وَالضَّمِيرُ فِيهِ لِلْغَيْثِ وَالْأَبَالِ : جَمْعُ إِبَلٍ .. وَأَسْنَمَتِهَا : جَمْعُ سَنَامٍ وَهِيَ مَا لَرْقَعَ مِنْ ظَهَرِ الْبَعِيرِ ..

(٣) سُورَةُ النِّسَاءِ آيَةُ ١٠

بها جنوبهم وظهرهم وجلودهم فذكر المسبب النار في موضع السبب وهو المال الحرام "مال اليتامي" وتكون بlagة المجاز في الآية الكريمة في إبراز هذه السبيبة ، وفي إظهار فضاعة وبشاعة تلك الصورة ، صورة من يأكلون أموال اليتامى ، فهم يأكلون نارا تقدّف في أفواههم فتندلع في بطونهم فيكونون الألم والعذاب .

وقولهم : " كما تدين تدان " أي : كما تفعل تجازي فقد غير عن الفعل بالدين والدين وهو المجازة والمكافأة مسبب عن الفعل فهو مجاز مرسل علاقته المسببة إذ أطلق لفظ المسبب وهو المجازة وأريد السبب وهو العمل والفعل . أما تدان الثاني فهو حقيقة لأن المراد به المجازة والمكافأة ..

وفي علاقة المسببة التعبير بالفعل عن إرادته فالإرادة سبب والفعل مسبب عنها وقد كثر ذلك في القرآن الكريم كما في قوله تعالى (لَوْلَا قَرأتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) (١) والمعنى إذا هممت أو عزمت أو أردت قراءته فاستعد بالله حيث علم من السنة أن الاستعاذه تسبق القراءة ، وفي الآية رتب الاستعاذه بالفاء على القراءة فكان هذا الترتيب قرينة على أن المراد بالقراءة : إرادتها والعزم عليها فهو مجاز مرسل علاقته المسببة إذ أطلق المسببة وهو الفعل وأريد السبب وهو العزم والإرادة ... وفي ذلك - كما قلنا - إبراز لقوة السبيبة بين الإرادة والفعل وتنبيه للمؤمن وحث له على أن يقرن العزم بالفعل فلا يكون هنالك مجال للأمانى الكاذبة وأحلام اليقظة والتقاعس وحياة الكسل . ومنه قوله تعالى (وَلَذَى نُوحَ رَبُّهُ فَقَالَ رَبُّ إِنَّ أَبْنَى مِنْ أَهْلَى) (٢) أريد بالنداء إرادته والعزم عليه فهو من ذكر المسبب في موضع السبب والقرينة أنه رتب بالفاء قوله " إن أبني من أهلى " على النداء مع اتحاد زمنهما في الواقع .

(١) سورة النحل الآية ٩٨ .

(٢) سورة هود آية ٤٥ .

وقوله عز وجل : (وَكُمْ مِنْ قَرِيبَةِ أَهْلَكُنَا هَا فَجَاءُهَا بِأَسْنَا يَيَّاتاً أَوْ هُمْ قَاتُلُونَ) (١)
 ذكر الإهلاك وأراد : إرادته والعزم عليه بقرينة أنه رتب بالفاء مجيء البأس على الإهلاك
 وإثبات البأس متقدم على الإهلاك فدل ذلك على أنه أراد بالفعل وهو الإهلاك إرادته
 والعزم عليه فهو من إطلاق المسبب وإرادة السبب .

وقوله جل وعلا : (مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِيبَةِ أَهْلَكُنَا هَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ) (٢) عبر
 بالإهلاك في موضع الإرادة فهو من ذكر المسبب وإرادة السبب .

علاقة الجزئية : وهي أن يذكر الجزء ويراد الكل كما في قوله تعالى : (قُمِ الظِّلَّ إِلَّا قَلِيلًا) (٣) وقوله عز وجل : (لَا تَقْنُمْ فِيهِ أَبْدًا لَمَسْجِدٌ أَسْسُهُ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ) (٤) . . . وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : من قام رمضان
 ياعنا واحتسبا غفر له ما تقدم من ذله . . . فالمراد بالقيام في هذه النصوص : الصلاة
 وهو ركن من أركانها وقد سميت الصلاة به من باب تسمية الكل باسم الجزء . . . وكذا
 قوله تعالى : (كَلَّا لَا تُطْغِي وَاسْجُدْنَ وَاقْتَرِبْ) (٥) وقوله عز وجل : (فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا) (٦) وقوله تعالى : (فَسَبِّحُ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ) (٧) فقد عبر عن
 الصلاة في هذه الآيات بالسجدة وهو ركن من أركانها وذلك عن طريق المجاز المرسل
 الذي علاقته الجزئية .

ومنه قول معن بن أوس المزنى في ابن أخته :

فلما اشتغل ساعده رهانى	أعلمك الرمادية كل يوم
فلما قال قافية هجانى	وكم علمته نظم القوافي

(١) سورة الأعراف آية ٤ .

(٢) سورة المزمل آية ٢ .

(٣) سورة العنكبوت آية ١٩ .

(٤) سورة الحجر آية ٩٨ .

(٥) سورة الأعراف آية ٧ .

(٦) سورة العنكبوت آية ١٠٨ .

(٧) سورة العنكبوت آية ٦٢ .

فقد ذكر القرافي والقافية وأراد بهما : القصائد والقصيدة مجازاً مرسلاً علاقته الجزئية حيث ذكر الجزء وأراد الكل . هذا ويشترط في الجزء الذي يراد به الكل أن يكون مما جرى العرف على استعماله في الكل ، أو يكون لهذا الجزء اتصال وثيق بالمعنى المراد . فقد وجدنا القرآن الكريم يسمى الصلاة قياماً أو سجوداً لأنهما ركناً أساسيان من أركانها . كما يسميها ذكراً أو ركوعاً قال تعالى : (يَا مَرِيْمُ اقْتُنِي لِرَبِّكَ وَاسْجُدْ لِي وَارْكُعْ مَعَ الرَّأْكِيْنَ) (١) : وكل هذه أساسيات في الصلاة . ولم نر القرآن يسمى الصلاة تشهداً أو بسملة أو جلوساً . وبهذا يتضح لنا أن الجزء المعير به عن الكل ، يجب أن يكون له اتصال وثيق ، ومزيد اختصاص بالمعنى والسياق . وقد عبر عن الإنسان بأجزاء مختلفة منه فنراه مرة رقبة ومرة عيناً ومرة وجهها ومرة كفها ومرة قدمها ومرة قلباً ولا يصلح جزء من هذه الأجزاء مكان الآخر لاختلاف السياق الذي يقتضي هذا الجزء دون ذاك . انظر إلى قوله تعالى : (وَمَا أَذْرَكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُرْبَةُ) (٢) وقوله عز وجل : (فَتَخْرِيرُ رَقْبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَعْمَلَسَا) (٣) فقد عبر عن العبد أو المولى في الآيتين بالرقبة لأنها أهم جزء في الإنسان ولأن معانى السيادة والعبودية تظهر أوضح ظهور في الأعناق . وهم يقولون : بث الأمير عيونه في المدينة . وعين العدو تتحول في البلد ويريدون بالعين الريمة أو الجاسوس فسمى الجاسوس عيناً باسم جزئه لأن عينه أبرز عضو فيه يستخدمه في التجسس .

ونقول : فلان تزاحم حوله الأقدام . أو هو خير من تسعى له قدم . في مقام المدح بالسيادة والكرم ، فقد عبرنا عن طالبي العطاء بالأقدام ، لأن بها يسعون قاصدين المدح في قضاء حروائهم .

ويقول الشاعر :

وَكُنْتَ إِذَا كَفْ أَتْكَ عَدِيْمَةَ تُرْجِي نَوَالًا مِنْ سَحَابِكَ بَلْتَ

(٢) سورة البلد الآية ١٣ .

(١) سورة آل عمران الآية ٤٣ .

(٣) سورة الجادلة الآية ٣ .

فقد عبر بالكف عن الإنسان المعدم ، لأن السياق عطاء وأخذ والمعدم يهدى
راجياً عطاء وخيراً يلقى بها ولذا عبر عنه بالكف .

ويقول أمرو القيس :
أغرك مني أن حبك قاتلي . وأنك مهما تأمرى القلب يفعل

فقد عبر عن نفسه بالقلب لأن السياق سياق حب وغزل وهياج .

ويقول ابن المعتر :
سالت عليه شعاب الحى حين دعا أنصاره بوجوه كالدنانير

عبر عن الرجال المعروفين بالشرف والسيادة والنبل بالرجوه وذلك على طريق
المحاز المرسل الذي علاقته الجزئية ، وقد آثر التعبير بالرجوه ، لأن المقام مقام شرف وسيادة
ونبل ووجهة ..

وهكذا عبر عن الإنسان بأجزاء مختلفة من أجزاء جسده وفي كل مرة رأينا الجزء
الذى عبر به عن الكل "الإنسان" له اتصال وثيق ومزيد اختصاص بالسياق والمعنى ولا
يصلح جزء من أجزاء الإنسان المذكورة مكان الآخر لاختلاف السياق كما أوضحتنا .

علاقة الكلية : وهي أن يعبر عن الجزء بلفظ الكل أي يطلق اسم الكل ببراد
جزء كقوله تعالى : (يَجْعَلُونَ أَصْبَاغَهُمْ فِي آذَالِهِمْ مِنَ الصُّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتَ) (١) و قوله
عز وجل : (وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لَتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلْتُهُمْ أَصْبَاغَهُمْ فِي آذَالِهِمْ وَاسْتَغْشَوْنَا
ثِيَابَهُمْ) (٢) فقد عبر بالأصابع في الآيتين وأراد الأنامل من باب إطلاق لفظ الكل على

(١) سورة البقرة آية ١٩ .

(٢) سورة نوح آية ٧ .

الجزء بمحازا مرسلا علاقته الكلية . . والسر البلاغى فى العدول عن الحقيقة إلى المحاز فى الآيتين هو رغبة القوم فى تعطيل حاسة السمع بأقصى ما يمكن مبالغة فيما يشعرون به من هول الصوات وفظاعتها فى سورة البقرة ، وبمبالغته فى إعراضهم عن الحق فى سورة نوح . . والقرينه استحالة وضع الإصبع كلها فى الأذن عادة . .

وفي قول السمرءل :

تسيل على حد الظبات نفوسنا . . وليست على غير الظبات تسيل^(١)

غير بالنفوس عن الدماء فهو محاز مرسلا علاقته الكلية لأن الدماء جزء من النفوس والقرينه قوله : "تسيل" ، لأن السيلان يكون للدماء . . . ومنه قوله : "قطعت السارق" يريدون : يده ، وقولنا : أكلت نبات الأرض وشربت ماء النيل وقرأت فى البلاغه ما كتب السابعون واللاحرون ، والمراد : بعض النبات وجزء من الماء وكثير مما كثروا فهو محاز مرسلا علاقته الكلية . . والقرينة استحالة أكل الكل أو شربه واستحالة الإحاطة بكل ما كتب . . .

علاقة اعتبار ما كان : وهي أن يعبر عن الشيء باسم ما كان عليه من قبل كما فى قوله عز وجل : (وَأَتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبْدِلُوا الْجَيْشَ بِالْطَّيْبِ) (٢) فاليتيم من مات أبوه ولم يبلغ سن الرشد وهو لا تسلم إليه أمره لعجزه عن التصرف فيها فى هذه السن وإنما تدفع إليه بعد أن يتجاوز سن اليتم ويصير رشيدا فتسمى لهم "يتامى" عندئذ باعتبار ما كان قبل ذلك والقرينة : الأمر بدفع أموالهم إليهم لاستحقاقهم التصرف فيها .. وإثارة التعبير عنهم بلفظ اليتامي مع أن اليتم قد زال يفيد أمرين :

(١) الظبات : جمع ظبة بضم الظاء وتحقيق الباء وهي حد السيف .

(٢) سورة النساء الآية ٢ .

أو هما : الإناء بسرعة إعطائهم أمرالمهم مجرد ذهاب اليتم عنهم فكأن صفة اليتم لا تزال عالقة بهم وقت دفع المال ، لأنه يدفع اليهم عقب زوالها مباشرة ..
وهذا واضح في قوله تعالى : (فَإِنْ آتَيْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفُوَا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ) (١)

ثانهما : التذكير بحال هؤلاء اليتامى وكيف حرموا من عطف وحنان الأبرة وأنه لا يليق بالمؤمن أن يطمع في مال من هذا شأنه .

ومنه قول تعالى : (إِنَّهُ مِنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمْتُتُ فِيهَا وَلَا يَخْتَيِ) (٢) سمي مجرما باعتبار ما كان عليه في الدنيا ، لأن المرء لا يوصف بالإجرام بعد الممات إلا باعتبار حاله التي كان عليها من قبل ، ويومئه هذا الوصف بالحال التي يكون الجرم يوم القيمة عليها حيث تبدو عليه آثار النلة والمهانة والنندم وكأن صفة الإجرام تظل لاصقة به في هذا اليوم ووراء ذلك ما وراءه من شدة العذاب والعقاب ..

ومن ذلك قولنا : أكلنا قمحا وشربنا عنباء .. أى أكلنا خبزا قد صنع من القمح وشربنا نبيذا قد عصر من العنب .. فتسمية الخبر قمحا والنبيذ عنبا باعتبار ما كان عليه من قبل والقرينة أن العنب لا يشرب والقمح لا يؤكل عادة ..

علاقة اعتبار ما يكون : وهي أن يعبر عن الشيء باسم ما يبول إليه في المستقبل كما في قوله تعالى : (فَالْأَحَدُهُمَا : إِنِّي أَرَانِي أَغْصِرُ حَمَرًا) (٣) يربد عنبا يبول عصيرا إلى حمر لأن الحمر عصير والعصير لا يضرر وإثارة لفظ الحمر بالتعبير ينبيء بالإثم الذي يرتکبه العاصر فهو لا يضرر عنبا وإنما يضرر حمرا ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : "لعن الله الحمر وعاصرها ومعتصرها" .

(١) سورة النساء الآية ٦

(٢) سورة طه الآية ٧٤

(٣) سورة يوسف الآية ٣٦

وقوله تعالى : (إِنَّكَ مَيْتٌ وَإِنَّهُمْ مَيْتُونَ) (١) يريد أن مآلهم إلى الموت وهم كذلك بقرينة الخطاب لأن من مات فعلاً لا يخاطب . . . رقوله عز وجل : (وَقَالَ نُوحٌ : رَبُّ لَا تَدْرِزْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيْرًا . إِنَّكَ إِن تَدْرِزْهُمْ يَضْلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَارًا) (٢) فالمولود يولد على الفطرة مؤمناً سواء أكان أبواه مؤمنين أم كافرين والمراد به "فاجراً كفاراً" في الآية أن ما يلد الكفرة سيتحول إلى ذلك في المستقبل . . . وقوله تعالى : (فَبَشِّرُوكَاهُ بِغَلَامٍ حَلِيمٍ) (٣) أي بمولود مآلته أن يكون غلاماً حليماً .

علاقة الخلية : وهي أن يذكر اسم الخل ويراد الحال به كما في قوله تعالى : (وَاسْأَلِ الْقَرِيْبَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا) (٤) فالمراد : أهل القرية وأصحاب العبر، فسمى الحال باسم محله بمحازا مرسلًا ، وفي العدول عن الحقيقة إلى المحاز إشارة إلى ذيরع أمر السرقة ، واشتهرارها (يا أبايا إِنْ ابْنَكَ سَرَقَ) (٥) إلى درجة أنه لو سئلت القرية وغير أي الجمادات والحيوانات لتطقت بها وأحابت .

وقوله عز وجل : (فَلَيَدْعُ نَادِيَهُ ، سَنَدْعُ الزَّيَادَيَهَ) (٦) فالمراد : أهل ناديه لاستحالة دعاء النادي الحقيقي ، تسمية للشيء باسم محله . . . ومنه قول الشاعر :

إن العدو وإن تقادم عهده فاحقد باق في الصدور مغيب

فالراد بالصدور : القلوب التي تحمل بها تسمية للشيء باسم محله .

(١) سورة الزمر الآية ٣٠ .

(٢) سورة نوح الآية ٢٧ .

(٤) سورة يوسف الآية ٨٣ .

(٦) سورة العلق الآية ٧ .

(٣) سورة العنكبوت الآية ١٠١ .

(٥) سورة يوسف الآية ٨١ .

علاقة الحالية : وهي أن يذكر اسم الحال ويراد المثل كما في قوله تعالى : (وَأَمَّا الَّذِينَ أَنْيَضُتْ وُجُوهُهُمْ فَقَى رَحْمَةُ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (١) فالمراد برحمة الله : جنته لأن الرحمة حالة فيها تسميه للشيء باسم ما يجل به ، وقوله تعالى (يَا بَنِي آدَمَ خُلُدُوا زِيَّتُكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) (٢) فالمراد بالزيمة : اللباس وكل ما تخل به ، لأن الزيمة لا توحد .

ومنه قول المتبنى يصف جيروش سيف الدولة :

والأعوجية ملء الطرق خلفهم والشرفية ملء اليوم فوقهم (٣)

المعنى : أن خيول الجيش قد ملأت الطرق وسيوفه قد سدت الفضاء .. فغيره باليوم وأراد : القضاء الذي يجل به اليوم وبأيادي عليه الليل والنهار ، فهو محاذ مرسل علاقته الحالية .

وقول الآخر :

أَلَا عَلَى مَنْ وَقَرَّ لَقْبَهِ سَقْتُكَ الْغَوَادِي مَرْبِعاً بَعْدَ مَرْبِعِ (٤)

أراد : أَلَا على قبر معن فذكر الحال وهو معن وأراد ما يجل به وهو القبر .

علاقة الآلية : وهي أن يعبر عن الشيء باسم الآله التي يحصل بها كما في قوله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) (٥) والمراد : إلا بلغة قومه

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٧ (٢) سورة الأعراف الآية ٣١

(٣) الأعرجية : الخيل المسوبة إلى أعرج وهو فرس كريم لبني هلال والشرفية : السيرف

(٤) أَلَا : أنزلا به ، والغَوَادِي : السحاب ينشأ غدوة ونفردها : غادية ، مَرْبِع : أربعة أيام متولية .

(٥) سورة إبراهيم الآية ٤

فذكر اللسان وأراد اللغة لأنه آلة للتعبير عنها .. وقوله تعالى : (وَاجْعِلْ لِي لِسَانًا صِدْقًا فِي الْأَخْرِيْنَ) (١) المراد : اجعل لي ذكرا حسنا يدور بعد مماتي ، فسمى الذكر لسانا ، لأن اللسان هو الآلة التي يوجد بها الذكر والثناء .

ومنه قوله عز وجل : (فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشَهَّدُونَ) (٢) عبر بالعين وأراد البصر والرؤية لأن العين آلة الإبصار فهو بمحاذ مرسل علاقته الآلية .

علاقة المجاورة : وهي أن يعبر عن الشيء باسم ما يجاوره ، وذلك إذا كثر اقتران الأسمين ومجاورتهما كثرة توسيع استعمال أحدهما مكان الآخر ، كما في إطلاق لفظ الرواية على المزادة أي قربة الماء من قولنا : شربنا من الرواية أو خلت الرواية من الماء ، الرواية اسم للبعير الذي يحمل عليه الماء فلما كثرت مجاورة المزادة لظهور الرواية أطلق على المزادة اسم الرواية مجازا مرسلا علاقته المجاورة .

ومنه قولنا ركب الفرسان سرو جهم ، نريد خيولهم فسميت الخيول سروحا لكثرة مجاورتها لظهور الخيل .. وقولنا أصابتنا السماء نريد الغيث المجاور عادة بجهة السماء .. وقولنا : جر الغلام الخفيف نريد البعير المزيل المخصص لحمل الأمتعة الخفيفة والخفيف : اسم للحمير النافع من متاع البيت فسمى البعير باسم ما يحمله لعلاقة المجاورة .. ومنه قول عنترة العبسي :

فشككت بالرمح الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بحرم

وقول ليلي الأخيلية :

رموها بأثواب خفاف فلا ترى لها شبهًا إلا النعام المنفرا

(٢) سورة الأنبياء الآية ٦١

(١) سورة الشعراء الآية ٨٤

ذكر عنترة الثياب وأراد الجسد ، وذكرت ليلي الأثواب وأرادت الرجال الذين ركبوا الإبل فرموها بأنفسهم ، وذلك على طريق المحاز المرسل لعلاقة المجاورة .
وقول الآخر :

إن لها أحمرة عجافاً يأكلن كل ليلة إكافاً (١)

أطلق لفظ الإكاف على العلف الذي تأكله الأحمرة للمجاورة لأن العلف يحمل على الإكاف ، ويحتمل أن تكون العلاقة السببية لأن ثمن الإكاف سبب في الحصول على العلف .

علاقات أخرى : ومن علاقات المحاز المرسل : اللزومية وهي أن يطلق اسم اللازم ويراد الملزم كقولنا . نظرت إلى الحرارة والمراد : نظرت إلى النار أو إلى مولد الحرارة ... فالحرارة يلزم لها وجود نار أو مولد لها والنظر يكون إلى النار أو إلى هذا المولد . ففي لفظ الحرارة بمحاز مرسل علاقته اللزومية حيث أطلق اللازم ويراد الملزم وقد يطلق الملزم ويراد اللازم كقولنا : دخلت الشمس في النافذة والمراد : دخل الضوء ، فالضوء لازم للشمس .

ومن ذلك قوله تعالى : (مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلَّلُوا أَلَا تَتَبَعُنِ) (٢) وقوله عز وجل : (مَا مَنَعَكَ أَلَا تَسْجُدَ إِذْ أَمْرَتُكَ) (٣) فالمعني الحقيقي للفظ : "منع" هو الصرف عن فعل الشيء والمعنى المراد منه في الآيتين هو الدعوة إلى تركه ، فيكون معنى : ما منعك .. ؟ مادعاك إلى ترك الاتباع .. والسجود ؟ من استعمال اسم الملزم وهو المفعول والصرف عن الفعل وإرادة لازمه وهو الدعوة إلى تركه .. وهذا معنى سليم لا يخرج إلى القول بزيادة " لا" في الآيتين وهو رأى الإمام السكاكي .

(١) أحمرة : جمع حمار وعجافاً : جمع عجفاء وهي المزيلة والإكاف : برذعة الحمار .

(٢) سورة طه آية ٩٣ .

وفي الآيات وجوه أخرى أهمها :

١. أن لفظ منع على معناه الحقيقي و "لا" صلة "زائدة" والمعنى : ماصرفك عن اتباعى .. وعن السجود ؟
٢. أن "منع" ليس مأخوذا من المعنى الصرف بل من المتعة والحماية فيكون المراد : ما حماك مني حين تركت السجود ؟ وما حماك حين تركت اتبعى ؟ وعندئذ لا بمحاجز في اللفظ ، لأن منع بمعنى حمى : حقيقة لغوية .. ولا يقال إن جواب "مارون" (قال يا ابن أم لا تأخذ بيختى ولا يرأسى) (١) وجواب إبليس (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقتة من طين) (٢) .. يبطلان هذا الرأى إذ الجواب الصحيح يعني أن يكون : حمانى كذا أو حمانى فلان .. لأننا نقول : الجواب لا يتحتم أن يكون على وفق السؤال بل كثيرا ما يجاب المستفهم بغير ما يتطلب استفهماه لسر بلاغي يقتضيه المقام كما في الآيات الكريمة : (أَنْعَلَمُونَ أَنْ صَاحِلًا مُرْسَلٌ مِّنْ رَبِّهِ قَالُوا : إِنَّا بِمَا أُرْسَلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ) (٣) .

(أَتَلَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَنْدَرُكُ وَآهِنَكُ ؟ قَالَ : سَنُقْتَلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ) (٤) .

(مَا هَلِيَ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ؟ قَالُوا : وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ) (٥) . إلى غير ذلك من الآيات الكريمة (٦) .

(١) سورة طه آية ٩٤

(٢) سورة الأعراف آية ١٢

(٣) سورة الأعراف الآية ٧٥

(٤) سورة الأنبياء آية ٥٣

(٥) ارجع إلى أساليب الاستفهام في القرآن الكريم ص ٢٩٤

والسر البلاغى فى العدول عما يتطلبه السؤال فى الآيتين إلى ما عليه النظم
الكريم هو التسليم بأنه لا كمالء يحرسه ولا حامى يحميه و كان المسئول قد فتش و نق卜
فلمما لم يجد منعة ولا حمامة أجاب بما أجاب .

٣ - أن تكون الآيات بتقدير "لا" من "المعنى": ما سبب امتناعك في تركك أتباعي، .. وفي تركك السجود.

ومن هذه العلاقات : التعلق الاشتقاقى وهو أن يذكر اللفظ ويراد ما اشتق منه من اسم الفاعل أو المفعول كقوله تعالى : (هذا خلق الله) (١) وقوله عز وجل : (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) (٢) حيث أطلق المصدر في الآيتين وأريد اسم المفعول .. منها العموم والخصوص ك قوله تعالى : (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) (٣) فالمراد بلفظ الناس الأول : المشطرون ، وبالثانى أبو سفيان ومن معه من المشركين .. وكقوله عز وجل : (أم يخسرون الناس على ما آتاهم الله من فضليه) (٤) فالمراد بالناس النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه رضوان الله عليهم .. فقد ذكر لفظ العموم في الآيتين وأريد به المخصوص .

ومنه قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ أَتْقِنَ اللَّهَ) (٥) ، وقوله : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ الْمُسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدْتِهِنَّ) (٦) فقد ذكر لفظ "النبي" صلى الله عليه وسلم في الآياتين وأريد به كل مكلف فهو من إطلاق لفظ الخاص وإرادة العام.

٢٢٥ - سورة البقرة (٢)

١١) سورة لقمان الآية ١١

٤٥) سورة النساء

سی و آن عینان ۱۷۳

١- الطلاق سورة

٢٠١

ومنها علاقة الضدية كقولنا : سرت في مفازة متدة والمراد : صحراء مهلكة
وقولنا : انظر أيها الأعمى ، في مقام التوبيخ فالمراد بلفظ الأعمى : البصير وكذا إطلاق
لفظ "السليم" على "اللديع" أو "الجريح" وإطلاق لفظ "الملاآن" على "الفارغ".
ومنها علاقة الإطلاق والتقييد وهي أن يكون اللفظ مقيداً فيطلق عن قيده كما
في قول رؤبة بن العجاج :

وَمَقْلَةٌ وَحَاجِاً مُزَجِّجاً وَفَاحِماً وَمَرْسَنَا مُسْرِجاً (١)

فالمرسن : اسم محل الرسن وهو أنف البعير أطلق عن قيده وأريد به : مطلق أنف
فصح إطلاقه على أنف الإنسان باعتباره أحد أفراد هذا المطلق هذا هو رأى السكاكي
ويرى عبدالقاهر أن اللفظ بعد أن يطلق يقيد ثانية فلذلك "المرسن" أطلق عن قيده وأريد
به مطلق أنف ثم قيد مرة ثانية وأريد به أنف الإنسان . فالسكاكي يرى أن المتكلم قد
تصرف تصرفار احداً وهو إطلاق اللفظ عن قيده وعبدالقاهر يرى أن المتكلم يحتاج إلى
تصرف ثان وهو التقييد بعد الإطلاق .. ومن ذلك إطلاق "المشفى" على شفة الإنسان
وهي في الأصل للبعير .. وإطلاق الخرطوم على أنفه وهو في الأصل للفيل كما في قوله
تعالى (سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ) (٢) أطلق الخرطوم على أنف الرليد بن المغيرة وهو في
الأصل للفيل .

المجاز الحالى من الفائدة والمفید: المجاز المرسل إذا كانت علاقته : الإطلاق
والتقيد فهو حال من الفائدة لأنه لا يخرج عن استعمال اللفظ في أعم ما وضع له عند
السكاكي وعن استعمال المقيد في مقيد آخر عند عبدالقاهر فكان هذا الاستعمال
كاستعمال المترادفات في أن كلاً من النقطتين لا يفيد معنى أكثر مما يفيده الآخر .

(١) القاسم : الشعر الشديد السوداء . والسرج : نسبة إلى سريح أو إلى السراج فالمراد على الأول: الدقة
والاستراء وعلى الثاني : الحسن والبهجة .

(٢) سورة القلم ١٦

أما إذا كانت علاقته غير الإطلاق والتقييد فإنه لابد أن يفيدفائدة تختلف باختلاف نوع العلاقة . . فتوجه السؤال إلى القرية وإرادة أهلها يفيد المبالغة في شروع أمر السرقة . . والتعبير بالرزق عن الماء وبأسنمة الآبال عن الغيث يفيد إبراز السببية والإشاره إلى تكفل المولى عز وجل بالأرزاق وإلى تعلق نفس العربي ولهفته إلى الغيث . . وهكذا على نحو ما مر بك في تلك العلاقات .

تحول المجاز الحالى من الفائدة إلى مفيدة : المجاز المرسل الذى علاقته "الإطلاق والتقييد" حال من الفائدة - كما ذكرنا - لأن المراد بذلك العلاقة مجرد التعبير عن هذا العضو بذلك . . التعبير مثلا عن الأنف بالمرسن وبالخرطوم ، وعن الشفة بالمشفر . . دون قصد إلى ذم أو هجاء أما إذا قصد ذلك فإنه عندئذ يصير مفيدة ويخرج من دائرة المجاز المرسل إلى دائرة الاستعارة المفيدة إذ تصبح علاقة المجاز حيثذا المشابهة .

من ذلك قول الفرزدق في الهجاء :
فلو كنت ضبيا عرفت قرابتي ولكن زنجي غليظ المشافر^(١)

شبه شفتيه بشفتي البعير في الغلظ ثم استعمل لفظ المشبه به في المشبه على طريق الاستعارة وهو يرمي بذلك إلى ذمه وتقبيح صورته .

وقول الخطية يناظب الزيرقان بن بدر :
قرروا جارك العيمان لما جفونه وقلص عن برد الشراب مشافره^(٢)

(١) اسم لكن محنوف والتقدير : ولكنك زنجي .

(٢) قروا : أضافوا من القرى . العيمان : الظمآن إلى شرب اللبن . . وقلص : انقبض وانكمش من تأثير الشراب البارد يعني أنه لم يجد عنه إلا الماء .

أراد الخطيبة أنه يبقى في جوار الزيرقان وهو ظمآن إلى اللين ولم يجد في جواره ما يسد به رمقه سوى الماء الذي أثر في تشققها فتقلصتا وصارتا كشفي البعير فلما صار إلى غيره وترك جواره أكرمه بذلك الغير .

والشاهد في البيت : استعارة المبشر للفداء تقييحاً لصورتها وتشويهاً منظرها ليتبين ذلك عن سوء معاملة الزيرقان له .

ومنه قول الآخر :

سأمنعها أو سوف أجعل أمرها إلى ملك أظلافه لم تشدق

يقول : سأمنع ناقتي أن تسير إلى أحد أو أجعل وجهة سيرها إلى ملك عظيم عريق في الملك لا إلى عبد دخيل على الملك مشقق الأظلاف . . والشاهد في البيت : استعارة الأظلاف وهي لما اجتر من الحيوان لأظافر المذكور على سبيل السخرية والتهكم فالجامع بين الأظافر والأظلاف هو تشققها وسوء منظرها والشاهد في هذا البيت يعرض بأحد الملوك .

ومن ذلك قوله عز وجل : (**سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ**) (١) أطلق لفظ الخرطوم وهو للقيل على أنف ذلك المعاند على سبيل السخرية والتهكم . . فلقد اخترط مستعار للأنف وليس بجازاً مرسلـاً .

المزايا البلاغية للمجاز المرسل : لا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز المرسل إلا لافادة

أسرار متربعة وتحقيق أغراض بلاغية متعددة أهمها ما يلى :-

(١) سورة القلم آية ١٦

- ١ - الإيجاز كما في قوله : رعينا الغيث .. فهـر أوجـز من قولـنا رعـينا الـبيـات الـذـى كانـ الغـيث سـيـبا فـي نـورـه وـاخـضـارـاه ، فـقد طـوى المـسـبـب وـذـكـر فـي مـرضـه السـبـب .. وـكـما فـي قـولـه تـعـالـى : (وـيـنـزـل لـكـم مـن السـمـاء رـزـقا) (١) آـيـه يـنـزـل الـماء الـذـى يـتـسـبـب فـي إـيجـاز الرـزـق .
- ٢ - المبالغة كما في قوله عـز وـجـل : (جـعـلـوا أـصـابـعـهـم فـي آـذـانـهـم) (٢) فـقد ذـكـرـتـ الأـصـابـع فـي مـوـضـعـ الـأـنـامـلـ مـيـالـةـ المـبـالـغـة فـي تـعـطـيلـ أـسـاعـهـم لـشـدـةـ عـتـوهـم وـنـفـرـهـم وـإـعـراضـهـم عـنـ الـحـقـ .
- ٣ - يـفـسـحـ بـمـحـالـ التـعـبـيرـ أـمـامـ الـأـدـيـبـ أـوـ الـمـتـكـلـمـ فـعـنـ طـرـيقـ المـجازـ يـسـتـطـيعـ أـنـ يـتـخـيرـ الـأـلـفـاظـ الـمـلـائـمـ لـلـقـافـيـةـ أـوـ الـفـاصـلـةـ ، وـأـنـ يـتـجـنـبـ الـأـلـفـاظـ الـشـىـخـ يـخـلـ بـفـصـاحـةـ الـكـلـامـ ، فـيـرـكـ الـحـقـاـقـ وـيـسـتـعـمـلـ المـجازـاتـ حـتـىـ يـسـلـمـ تـعـبـيرـهـ مـاـ يـخـلـ بـفـصـاحـتـهـ .
- ٤ - يـعـينـ الـمـتـكـلـمـ عـلـىـ تـحـقـيقـ مـاـ يـهـدـفـ إـلـيـهـ مـنـ أـغـرـاضـ . كـالـعـظـيمـ وـالـتـحـقـيرـ وـالـتـهـوـيلـ وـغـيـرـ ذـلـكـ ، تـقـولـ : رـأـيـتـ الـعـالـمـ ، تـقـصـدـ : رـأـيـتـ طـالـبـ الـعـلـمـ الـذـى سـيـصـيرـ عـالـمـ .. فـأـنـتـ بـذـلـكـ تـعـظـمـهـ وـتـرـفـعـ مـنـ شـانـهـ .. وـتـقـولـ: اـنـظـرـ إـلـىـ الـجـيـفـةـ كـيـفـ يـطـغـيـ وـيـتـكـبـرـ .. تـرـيدـ مـنـ سـيـمـوتـ فـيـصـبـحـ جـيـفـةـ مـنـتـهـىـ ، فـأـنـتـ بـهـذـاـ تـحـقـرـهـ وـتـنـفـعـ مـنـ شـانـهـ .. وـمـنـ ذـلـكـ قـولـهـ تـعـالـىـ : (يـجـعـلـونـ أـصـابـعـهـمـ فـيـ آـذـانـهـمـ مـنـ الصـوـاعـقـ حـلـزـ المـؤـتـ) (٣) أـفـادـتـ الـآـيـةـ شـدـةـ الـهـرـولـ وـالـرـعـبـ ، وـالـخـوفـ الـذـىـ اـتـاـهـمـ ، وـالـذـىـ مـنـ أـجـلـهـ حـارـلـواـ إـنـفـاءـ أـسـاعـهـمـ بـأـقصـىـ مـاـ يـسـتـطـيـعـونـ .
- ٥ - كـمـاـ لـاـ يـخـلـوـ المـجازـ الـمـرـسـلـ مـنـ خـيـالـ يـعـرـضـ لـلـسـامـعـ عـنـدـمـاـ تـمـ بـذـهـنـهـ الـمـعـانـىـ الـحـقـيقـيـةـ لـتـلـكـ الـأـلـفـاظـ الـذـىـ سـرـعـانـ مـاـ تـلـاـشـىـ أـمـامـ الـمـعـانـىـ الـجـازـيـةـ

(١) سـوـرـةـ غـافـرـ آـيـةـ ١٣ـ .

(٢) سـوـرـةـ نـوحـ آـيـةـ ٧ـ .

(٣) سـوـرـةـ الـبـرـةـ آـيـةـ ١٩ـ .

المقصودة ،، هذا الخيال يحقق الجمال وإمتاع النفس التي ترى النبات والرزق ب مختلف صنوفه يتذوق من السماء ، وأسممة الآبال يسعى بها السحاب ،، وهذا يأكل دما ويضيقه بأسنانه ،، وذاك يأكل ناراً فتكتوى بها أحشاؤه ،، هذه الصور تخطر في النفس فور سماع جلها وهي وإن كانت تزول سريعاً أسمام المعنى المراد بنصب القرينة إلا أنه بخطورها يتحقق إمتاع النفس وإثارة الذهن فتفتح المعانى فى النفس مرقعها ،، إلى غير ذلك من الأغراض البلاغية والأسرار واللطائف التي تكمن براء أساليب الجاز المرسل .

الاستعارة

تحتفل الاستعارة عن المجاز المرسل - كما سبق - في أن العلاقة فيها بين المعنين: الأصلي الذي وضع له المفهوم ، والمجاز الذي استعمل فيه هي علاقة المشابهة .. ولذلك أن تعرف الاستعارة بالمعنى الاسمي فتقول : هي المفهوم المستعمل في غير ما وضع له علاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي ، أو أن تعرفها بالمعنى المصدرى فتقول: هي استعمال المفهوم في غير ما وضع له علاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي .. ولذا صبح الاشتقاد فيقال : المفهوم مستعار ، ومتكلم مستعار ، ومعنى مستعار منه وهو المشبه به ، ومعنى مستعار له وهو المشبه ..

ومن شواهدنا قوله تعالى في شأن المنافقين : (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً) (١) ، حيث استعبير المفهوم من العلة الجسمانية للنفاق ، والعلاقة هي المشابهة المحاصلة بين المرض والنفاق في أن كلاً منها يفسد ما يتصل به ، المرض يفسد الأجساد والنفاق يفسد القلوب ، والقرينة المانعة من إرادة المرض الجسماني هي أن الآية الكريمة مسوقة لذم المنافقين الذين أبطنوا الكفر وأظهروا الإسلام ، ولا معنى لأن يكون الدم في رصفهم بالمرض الجسماني ، بل المراد ، ذمهم بفساد قلوبهم ، والعدول عن الحقيقة إلى المجاز في الآية الكريمة ينبيء بتمكن النفاق واستحكامه واستقراره في قلوب المنافقين ، حتى صار مرضًا مازج دماءهم واستشرى فيها .. ومنها قول زهير :

لدى أسد شاكى السلاح مقدف له لبد أظفاره لم تقلم (٢)

(١) سورة البقرة آية ١٠ .

(٢) شاكى السلاح : من الشوككة وهي القرفة وأصله : شاكك ، ففيه قلب مكانى ، والمراد أنه قوى تمام السلاح والمختلف : الذي يرمى به كثيراً في الواقع لقوته ، أو الذي قذف باللحام ، واللبد : الشعر المتجمع بين كتفى الأسد .

حيث استعار لفظ الأسد للبطل الشجاع المدجع بالسلاح وقد أضفت الصفات المذكورة : " مقدف له ليد أظفاره لم تقلم " ، أضفت على المستعار له ألوانا من القوة وصنوفا من البطولة الفائقة .. وواضح لك أن المشبه في كل من الآية والبيت قد طوى وطرح وذكر في مكانه المشبه به ..

ومنها قول أبي ذؤيب الهذلي :

إذا أنشبت أظفارها
ألفيت كل عيمة لا تنفع

فقد جعل للمنية أطفالاً تتشبهها في فريستها، حيث شبها بالسبع وطوى المشبه به راما له بشيء من لوازمه وهو الأظفار والإنشاب اللذان أثبتهما للمشبه... وهذا الإثبات قرينة الاستعارة.

هذا وقد عرف الخطيب القزويني الاستعارة بقوله : " هي ما كانت علاقته تشبيه
معناه بما وضع له " (١) فهى مبنية على التشبيه وقائمة عليه ومتضمنة له ، كما رأيت فى
الشاهد ، ولا يصرح فيها إلا بطرف واحد من طرف التشبيه ، فإن صرخ فى العبارة
بطرف التشبيه معا نحو : محمد أسد ، ورأيته بحرا ، ولكن سأله تسألن به الغيث ، فهل يعد
مثل هذا الكلام من قبيل الاستعارة أم يعد تشبيها ؟ هذا ما سنقف عليه فيما يلى إن شاء
الله .

الفرق بين الاستهارة والتشبيه البالغ

عُرِفَناً أن جملة التشبيه تتكون من مشبه ومشبه به وأداة تشبيه ووجه شبهه وأن هذه الأجزاء قد تذكر جميعها فيقال: أنت كالبَحْر عطاء، وقد يمحَّفَ الوجه فيقال: أنت

(١) الإيضاح ج ٣ ص ٤٠

كالبحر أو الأداة فيقال أنت البحر عطاء ، ولا خلاف بين العلماء في كون هذا تشبيهاً وليس استعارة . . وقد تمحف الأداه والوجه معاً فيقال : أنت الأسد أو أنتأسد أو هر بحر ويسمى هذا بالتشبيه البلبغ - كما مر بنا - وقد يلحق بالأداة والوجه المشبه فيمحف وينوى تقديره لا يطرح منسياً إذ هناك فرق بين الحذف مع نية التقدير كقوله تعالى (صُمْ بِكُمْ عَمَّى) (١) ، وقوله القائل :

أسد علىٰ وفي الحروب نعامة فتخاءٌ تفر من صغير الصافر

ويبن الحذف مع نسيان المذوف وعدم إرادته كقولنا : رأيت بحراً يخطب الناس في المسجد ، فقد حذف المشبه هنا ولا يتاتي تقديره بل إن تقديره يخل بالمعنى ويفسر الأسلوب ويتحول بمجرى الكلام . . وقد اختلف العلماء في التشبيه البلبغ وهو الذي حذفت أداته ووجهه أو لحق بهما المشبه على نية تقديره وإرادته ، فبعضهم عده تشبيهاً وبعضهم جعله استعارة وبعضهم فصل القول فجعل منه تشبيهاً في بعض السياقات واستعارة في البعض الآخر . . أما إذا حذف المشبه ولم يرد بل دخل في جنس المشبه به وعد فرداً من أفراده نحو : رأيتأسداً يحارب بسيفه . . أو حذف المشبه به ورمز له بلازم من لوازمه وأجرى هذا اللازم على المشبه فجعل له نحو : أنشبت المنية أظفارها ، فلا خلاف بين العلماء في كون هذا استعارة وليس بتشبيه . . الخلاف إذاً ينحصر في التشبيه البلبغ أتشبيه هو أم استعارة ؟ وإليك بيان آراء البلاغيين في ذلك .

رأى جمهور البلاغيين : يرى أكثر البلاغيين أن نحو قولنا : محمد أسد ، وكان خالدأسداً ، وعلمت علياً بحراً ، وفر الجبان نعامة ، ومررت بفتاة بدر . . وقول المتبي مادحاً :

أسد دم الأسد الهزير خضاشه موت فريص الموت منه يرعى(٢)

(١) سورة البقرة آية ١٨ .

(٢) المزير : أقري أنواع الأسود . والخضاش : الخناء . والفريص : جمع فريضة وهي لحمة بين الثدي والكتف أو بين المنب والكتف .

أى : أنت أسد وموت .. وقول عمران هاجيا :
أسد على وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر

أى : أنت أسد ونعامة .. يرون أن مثل هذا تشبيه بلينغ ويفرقون بينه وبين الاستعارة من عدة وجوه :

أولها : أن المشبه به في التشبيه البلينغ محکوم به على المشبه - كما في الشواهد المذكورة فقولنا : محمد أسد ، أفاد إثبات معنى الأسدية لحمد فمحمد محکوم عليه وأسد محکوم به ، وهذا لا يتأتى إلا عن طريق التشبيه ، إذ يستحيل كون محمد أسدًا على الحقيقة ، وهذه الاستحالة قرينة على أن مقصود المتكلم إثبات مشابهة محمد لحقيقة الأسد ، لا إثبات حقيقة الأسد له .. أما في الاستعارة فالمشبه به محکوم عليه بغيره فقولنا : كلمت أسدًا وعنت لنا ظبية ، المشبه به ، وهو الأسد والظبية محکوم عليه ، إذ الكلام وقع على الأسد ، والظهور وقع من الظبية ، فالسياق ليس لإثبات التشبيه كما في "محمد أسد" وإنما لإثبات الظهور - والكلام المحکوم بهما على المشبه به ..

ثانيها : أن التشبيه غرض مقصود لذاته في التشبيه البلينغ لافادة المبالغة وليس وسيلة لافادة غيره ولذا استحق اسم التشبيه ، أما في الاستعارة فالتشبيه ليس غرضنا مقصوداً لذاته ، بل هو مقصود تبعاً إذ هو وسيلة يتوصل بها إلى جعل المشبه واحداً من أفراد المشبه به ولذا لتناساه وتجاهله فيطرب المشبه ويحذف وأحياناً ترشح الاستعارة بأوصاف

لا تلائم المشبه ولا توجد فيه بل توجد في المشبه به ، كما في قوله تعالى : "أُولئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الصَّنَائِلَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحْتُ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ" (١) حيث استعير الشراء للاختيار ثم رشحت الاستعارة بذكر ما يلائم المستعار منه أى المشبه به وهو الربح والتجارة فهما بلاغاً "الشراء" المستعار منه .

ثالثها : أن المشبه في التشبيه البليغ مذكور في الكلام إما لفظاً أو تقديرًا - كما في الشواهد المذكورة - ، أما في الاستعارة فيجب حذفه وطيه وتناسبه - كما رأينا - ، ولذا كانت المبالغة في الاستعارة أقوى والخيال أشد ، فقد يقع في الوهم أن المشبه به مراد به معناه الحقيقي لا المجازي ، وذلك قبل الوقوف على القرينة ، فإذا قلنا: رأيت اسداً يخطب الناس فقد يقع في الوهم قبل أن نقف على القرينة أن المراد: الحيوان المفترس ، وسرعان ما يندفع هذا الترهم بالقرينة .. وذلك لا يتأتى في التشبيه البليغ لوجود المشبه لفظاً أو تقديرًا ..

رابعها: هناك من الأساليب ما صرخ فيها بالفظى المشبه والمشبه به وحدقت منها أداة التشبيه ووجه الشبه ، ولكن لم يقع المشبه به خيراً عن المشبه ولا في حكم المخبر .. وذلك كأسلوب التجريد في نحو: لعن سألت فلاناً لتسألن به البحر ، ولقيت بفلانأسداً وقابلت به بحراً ، فقد ذكر المشبه وهو فلان والمشبه به وهو البحر والأسد ولم يقع المشبه به خيراً عن المشبه .. ولذا لم يقل أحداً بأن هذا الأسلوب تشبيه بليغ ، وفي ذات الوقت لم يقل بأنه استعارة .. بل هو تشبيه بالاتفاق ولكن الخلاف في كونه تشبيهاً صريحاً أم تشبيهاً ضمنياً ، وأكثر البلاغيين

(١) سورة البقرة آية ١٦

على أنه تشبيه ضمنى ، فهو أسلوب مستقل يتضمن التشبيه وهذا يقع في بعض صوره ما لا يفيد التشبيه أصلا ، كقولنا : لى من فلان صديق حميم .. ولقيت به رجلا كريما .. وفى ذلك الأساليب قول الله عز وجل : "وَكُلُّوا وَاشْرُبُوا حَتَّىٰ يَتَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ" (١) فقد صرخ بالمشبه به وهو : "الخيط الأبيض" ، و "الخيط الأسود" وبالمشبه وهو "من الفجر" ودل السياق على إرادة المشبه الآخر المقابل للخيط الأسود وتقديره "من الليل" ، وحذفت الأداة ووجه الشبه ، ولم يقع المشبه به خبرا عن المشبه ولا في حكم المخبر كما هو واضح .. ولذا .. فهو ليس بتشبيه بلين وفي نفس الوقت ليس باستعارة وإنما هو تشبيه ضمنى .. يقول الزمخشرى : (إن قوله "من الفجر" آخرجه من باب الاستعارة ، كما أن قوله : رأيتأسداً بمحاز فإذا زدت من فلان

ومنها قوله : ضوء الشمس مسروق من ضوء جبيه ، وقول أبي تمام :
لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالليل حرب للمكان العالى

قول المتنبي :

من یعنی سهل الهوان علیه ماجر حبیت ایلام

فليس هنالك أداة تشبيه مذكورة ، ومع هذا أفادت تلك الأساليب التشبيهات الضمنية ، حيث استشف منها طرفا التشبيه .

رأى بعض البلاغيين : ويرى بعض العلماء أن هذا الاسلوب أى : التشبيه المذور الوجه والأداة ، والذى يقع المشبه به فيه خبرا عن المبتدأ أو فى حكم الخبر ، كما في الأمثلة التي مرت بك . . يرون أنه استعارة لتشبيها . ويحتاجون لرأيهم بما يلي:

١٧٥ ج ١ الكشاف (٢)

١٨٧ - الآية البقرة سورة

- ١ - أن فيه ما في الاستعارة من المبالغة في دعوى الاتحاد بين المشبه والمشبه به ..
- ٢ - أن حمل المشبه به على المشبه والحكم به عليه في نحو محمد أسد يرجع إلى أن لفظ "أسد" ليس مستعملاً في معناه الحقيقي الذي هو الحيوان المفترس بل هو مستعمل في معنى "الجريء" فحمله على "محمد" باعتبار أن محمدًا أحد أفراد "الجريء" ، وهذا الحمل صحيح لاتحاد الحقيقتين ومن ثم كان لفظ "أسد" استعارة لا تشبيه .

و الواقع أن الخلاف بين الرأيين لفظي - كما ذكر المخطيب - ومرجعه إلى الاختلاف في تعريف كل من التشبيه والاستعارة وإلى محاولتهم تصحيح الحمل في نحو: محمد أسد فمن عرف التشبيه بأنه الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى بأداة مذكورة أو مقدرة أخرىج التشبيه البليغ من الاستعارة وكذلك من عرف الاستعارة بأنها الجاز الذي تضمن تشبيه المعنى المراد بالمعنى الذي وضع له اللفظ أخرىج أيضًا التشبيه منها لأنه يلزم عليه تشبيه الشيء بنفسه ، وقد صحيح هؤلاء الحمل في نحو : محمد أسد بتقدير أداة التشبيه . و من عرف التشبيه بأنه الدلالة على مشاركة أمر لأمر بأداة مذكورة لا مخنوقة جعل التشبيه البليغ استعارة ، وكذا من عرف الاستعارة بأنها الكلام الذي بني التشبيه فيه على حذف الأداء ودعوى الاتحاد بدخول المشبه في جنس المشبه به . وقد صحيح هؤلاء الحمل في نحو : محمد أسد بأن محمدًا يعد أحد أفراد "الجريء" الذي استعمل فيه لفظ الأسد .

رأى عبدالقاهر : يرى الإمام عبدالقاهر أن التشبيه الذي حذفت أداته ورجمهه ورُفع المشبه به فيه خيراً عن المبتدأ أو في حكم الخبر ، يرى أن مثل هذا من التشبيه وليس استعارة ولكنه يعود فيفصل القول فيه على النحو التالي :

- ١ - بعض حمل هذا التشبيه لا يجوز تسميته استعارة وهي تلك الجمل التي يمكن دخول جميع أدوات التشبيه عليها ويكون دخولها مقبولاً ومستساغاً ،

ويتحقق ذلك إذا كان المشبه به معرفة نحو : محمد الأسد ، وهند شمس النهار فيمكنا أن نقول : محمد كالأسد وكأنه ملماً الأسد وهو مثل الأسد ويشابه الأسد وخلطه الأسد ، وكذا هند كشمس النهار وكأنها شمس النهار وحسبتها شمس النهار وهي مثل شمس النهار وتشبه شمس النهار ..

٢ - بعضها يجوز تسميتها استعارة ولكن تسميتها بالتشبيه أقرب وأفضل ، وهي تلك الجمل التي يحسن دخول بعض أدوات التشبيه عليها دون بعض وذلك إذا كان المشبه به نكرة نحو زيد أسد ، وهند بدر فيحسن أن نقول : لأن زيداً أسد وكأن هنداً بدر وخلطه أسداً وعلمتها بدر ، ولا يحسن أن نقول : هو كأسد وهي كبيرة ، ولذا صار له شبه ما بالاستعارة في عدم تقدير الأداة معها ..

٣ - بعضها يتزوج تسميتها استعارة وهي الجمل التي لا يحسن تقدير أداة من أدوات التشبيه فيها إلا بتغيير في بنائها وذلك بأن يكون المشبه به نكرة موصوفة بأوصاف لا تلائمها نحو : فلان بدر يسكن الأرض وهو شمس لاتغيب .. وقول البحترى :

شمس تالق والفرقان غروبها عنا وبدر الصدور كسوفه (١)

فلا يحسن تقدير الأداة هنا إلا بتغيير في صياغة الكلام فيقال : فلان كالبدر إلا أنه يسكن الأرض . وكالشمس إلا أنه لا يغيب وكالشمس المتألق إلا أن الفراق غروبها وكالبدر إلا أن الصدور كسوفه ، وذلك لأن دخول الأداة بدون تغيير يؤدي إلى التشبيه بشيء مجهول لا حقيقة له . ولذا غيرت النكرة إلى معرفة ليكون المشبه به هو جنس البدر لا واحداً من أفراده ، وجئ بالاستثناء لصرف الوصف بسكنى الأرض عن البدر الحقيقي إلى البدر الادعائي وهو المدوح .. وهكذا ..

(١) تالق : أي تالق يعني تلمع فحلقت الناد . والصور : الإعراض . والكسوف : قد يطلق على احتجاج القمر كما يطلق على احتجاج الشمس .

٤ - بعضها يتعمّن حمله على الاستعارة وهي تلك الجمل التي يستحيل تقدير أدوات التشبيه فيها ، لأن تقديرها يؤدى إلى التناقض وإفساد غرض المتكلم ، وذلك إذا كان المشبه به نكرة موصوفة بصفات لاترجد فيه ، ومراعاة التشبيه معها يفسد معنى الكلام . وينذهب بالغرض منه ، كقول المتنبي :

أسد دم الأسد الهزير خضابه موت فريض الموت منه يرعد

فلا يقال : هو كأسد دم الأسد الهزير خضابه . لأن مقتضى التشبيه أن يكون المشبه به أقوى من المشبه أو مثله في قوته ، قوله : "دم الأسد الهزير خضابه ، يقتضي أن يكون المدح أقوى من الأسد ، وهذا تناقض ، ولكن حمل البيت على الاستعارة يدفع هذا التناقض حيث تكون الصفات المذكورة منصبة على المدح لا على الأسد وكذا القول في تشبيهه بالموت . ومن ذلك قول البحترى :

ويذر أضاء الأرض شرقاً ومغارباً وموضع رجلٍ منه أسودٌ مظالم

فلن قلنا كأنه بدر أضاء ، أو هو كبدر أضاء الكرون إلا موضع قدمي . لأدى إلى التشبيه عجھول لا وجود له ، ولنذهب بفرض البحترى وهو أن المدح يعم الناس بغيره وبخصه بالحرمان ، وحمل البيت على الاستعارة يدفع ذلك ويتحقق غرض الشاعر ، إذ تكون هذه الصفات جاريه على المدح لا على البدر ، وبذل تتحقق المبالغة التي يقصدها البحترى . . .

أى هذه الآراء أرجح : وأرجح هذه الآراء رأى الجمهور ، وهو أن التشبيه البليغ تشبيه وليس باستعارة حيث صرخ فيه بطرف التشبيه . . وما يراه عبدالقاهر من ترجيح إطلاق اسم الاستعارة على بعض صوره وتحتيم إطلاقها على بعض ، يمكن دفعه بأن الكلام فيها مبني على الخيال ، وعلى تصور وجود أشياء خيالية وأحداث جديدة تضاف إلى الأشياء المرجودة والأماكن المألوفة . . فالتنبي يتخيلأسداً دم الأسود خضابه

ومنها فرائص الموت منه ترعد ثم يشبه بهما مدحومه .. ويدر البختى بدر متخيل يضى جميع الأرض إلا موضع قدمه، وهكذا .. فهناك بدر يسكن الأرض وشمس لا تغيب وهو ما من صنع الخيال .. والذى ينعم النظر فى كلام عبدالقاهر يجده يحوم حول هذه الفكرة (١) ..

أمجاز لغوى الاستعارة أم عقلى؟ اختلف البلاغيون فى الاستعارة ، هل تعد من قبيل المجاز اللغوى ، أم هى من قبيل المجاز العقلى ؟ ..

فيり جمهور البلاغيين أنها مجاز لغوى ، بمعنى أن التصرف الذى يحدث فيها تصرف فى دلالة اللغة ، حيث يتم بتغيير فى دلالة الألفاظ ونقلها من معانيها الأصلية إلى معانٌ أخرى ..

ودليلهم على ذلك أن لفظ المشبه به فى الاستعارة بالبدر فى قولنا : صافحت بدرًا وضع فى اللغة للكوكب المضيء ، ولم يوضع للمتشبه هو "الرجل المشرق الوجه" ولا لمعنى عام يشمل الكوكب والرجل ، وهو "مطلق مشرق" ، ولذا كانت دلالته على المتشبه عن طريق التشبيه والأدلة ونقل اللفظ من الدلالة على الكوكب المضيء اللامع: إلى الدلالة على الرجل المشرق الوجه الحسن الطلعة ، وهذا تصرف لغوى ، ولا يقال: كيف يكون هذا تصرفًا لغويًا ، ولنفتر "البدر" لم يوضع للرجل المضيء ، لأنه لو كان لفظ "البدر" موضوعاً للرجل البهى المضيء لكان هذه الدلالة عن طريق اللغة لا عن طريق التشبيه ..

والبلاغيون متفقون على أن هذه الدلالة عن طريق التشبيه والأدلة وكذا لو كان لفظ البدر موضوعاً مطلق مشرق للزم أن يكون صفة مشتقة ، لا اسم جنس واللغويون جميعاً متفقون على أنه اسم جنس .. ولذا كانت الاستعارة بمحاجة لغريا ..

(١) انظر أسرار البلاغة من ٢٦٧ وارجع إلى كتابنا دراسات بلاغية بحث الاستعارة والتشبيه البلغى ..

ويرى بعض البلاغيين أنها مجاز عقلى ، بمعنى أن التصرف الذى يحدث فيها تصرف عقلى بحت لا دخل للغة فيه ، لأن النقل فيها ليس للألفاظ فقط ، بل هو نقل للألفاظ والمعانى معاً فلفظ "الأسد" فى قوله .. رأيتأسداً يتكلّم ، لا ينقل من الأسدية إلى الرجل الشجاع مجردًا عن معناه ، بل ينقل معناه إلى المشبه ويجعل الرجل الشجاع بواسطه الادعاء واحداً من أفراد الأسد ، وإذا صار واحداً منهم كان إطلاق اسم الأسد عليه حقيقة ، فالتصرف إذاً في تحويل الرجل الشجاع من حقيقة الإنسانية إلى حقيقة الأسدية ، بواسطه أمور عقلية هي التشبيه ثم تناسيه وادعاء أنه صار واحداً من أفراد الأسد ، وكلها تصرفات عقلية ، ويريد ذلك ما يلى :-

- ١ - أن نقل الاسم لو كان مجردًا من معناه لكاتات الأعلام المنقوله نحو : يزيد ومنصور وغالد وصخر ، من قبيل الاستعارة ؛ لأنها نقلت من معانىها الأصلية وسمى بها أشخاص دون نقل معانيها معها ، ولذا لم يقل أحد بأنها استعارة ..
- ٢ - لو كان نقل الاسم في الاستعارة مجردًا عن معناه لما كانت الاستعارة أبلغ من الحقيقة ، إذ لا أبلغية في نقل اللفظ مجردًا عن معناه ..
- ٣ - لو كان نقل الاسم في الاستعارة مجردًا من معناه ، لما صر أن نقول فيمن قال: عنت لنا ظبية ، وأراد فتاه جميلة ، إنه جعلها ظبية ، أى ثبت لها معناها ، كما لا يقال فيمن سمي ابنه صحراء ، إنه جعله صحراء ، لأن الجعل تحول من جنس إلى آخر ، ولا تحويل في التسمية ، لكن من المسلم به أن من قال : عنت لنا ظبية ، وأراد فتاه جميلة ، أنه يريد أن يجعلها ظبية ، أى : ثبت لها معنى ظبية ، وهذا وبخ المشركون بجعلهم الملائكة إناثاً في قوله عز وجل : (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّا أَشَهَدُهُمْ خَلْقَهُمْ) (١) .

(١) سورة الزخرف الآية ١٩ .

٤ - لولا ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به وصيورته واحداً من أفراده ، لما صبح التعجب في قول ابن العميد يصف غلاماً جميلاً قام على رأسه يظلله من الشمس :

قامت تظللني من الشمس نفس أعز على من نفسي
قامت تظللني ومن عجب شمس تظللني من الشمس

لأن ما يوجب التعجب هو الأمر الغريب النادر كشمس حقيقة تظلل من الشمس الحقيقة . . . ولما صبح النهـى عن التعجب في قول ابن طباطبا :
لا تعجـبوا من بـلى غـلالـتـه قد زـرـ أـزـارـاهـ عـلـى القـمـرـ (١)

حيث استعار القمر لصاحبـه وأدخلـه في جنس الأقمار فـصحـ لـذـلـكـ النـهـىـ عنـ التعـجـبـ . . . ومـثـلـهـ قولـ الآـخـرـ :

ترى الشـيـابـ مـنـ الـكـتـانـ يـلمـحـهاـ نـورـ مـنـ الـبـدرـ أحـيـاناـ فـيـلـيـهـاـ
فـكـيفـ تـنـكـرـ أـنـ تـبـلىـ مـعـاجـرـهاـ الـبـدرـ فـيـ كـلـ يـوـمـ طـالـعـ فـيـهـاـ (٢)

حيث استعار البدر للمرأة . . . وأدخلـهاـ في جنس البـدرـ فـصارـتـ بـدـراـ حـقـيقـيـاـ ،
فـلـمـ يـعـدـ غـرـبيـاـ أـنـ يـبـلىـ غـطـاءـ رـأـسـهـاـ لـطـلـوعـهـاـ كـلـ يـوـمـ فـيـهـ ،ـ وـلـاـ بـحـالـ لـإـنـكـارـ هـذـاـ الـبـلـىـ . . .

رد الجمهور : وقد رد الجمهور على هذه الأدلة بأن نقل معنى المشبه به إلى المشبه وادعاء دخولـهـ في جنسـهـ وجعلـهـ واحدـاـ منـ أـفـرـادـهـ مـبـنـىـ عـلـىـ التـنـزـيلـ وـالـافـتـراضـ وـتـنـاسـىـ التـشـبـيـهـ ،ـ وـذـلـكـ بـقـصـدـ الـمـبـالـغـةـ ،ـ وـلـيـسـ تـحـويـلاـ لـلـمـشـبـهـ إـلـىـ حـقـيقـةـ المـشـبـهـ بـهـ فـيـ

(١) بـلـىـ :ـ الـفـسـادـ .ـ وـالـغـلـالـةـ :ـ ثـوبـ صـغـيرـ يـلـقـيـ الـبـدـنـ يـلـبـسـ ثـوبـ أـوـسـعـ مـنـهـ .ـ وـزـرـ :ـ شـدـ ،ـ وـهـمـ يـزـعمـونـ أـنـ ثـيـابـ الـكـتـانـ يـسـرـعـ إـلـيـهـاـ بـلـىـ عـنـ بـرـوزـهـاـ لـضـوءـ الـقـمـرـ ،ـ فـكـيفـ إـذـاـ زـرـتـ عـلـيـهـ؟ـ إـنـ بـلـىـ عـنـدـهـ يـكـونـ أـشـدـ سـرـعةـ إـلـيـهـاـ .ـ

(٢) بـلـىـ :ـ يـخـلـقـ وـيـفـسـدـ .ـ وـالـمـعـاجـرـ :ـ جـمـيعـ مـعـاجـرـ وـهـوـ ثـوبـ تـشـدـهـ الـمـرـأـةـ عـلـىـ رـأـسـهـ .ـ

الواقع . . فاللفظ المستعار لا يخرج عن كونه مستعماً في غير ما وضع له ، وصحة التعجب والتهى في الشواهد المذكورة ، لا تقتضي أنها جعلنا المشبه هو نفس المشبه به على الحقيقة ، بل جعلناه داخلاً في جنسه على طريق الادعاء لتحقيق المبالغة ، رفرق بين جعل الشيء الشيء حقيقة وبين جعله إيه ادعاء وتخيلاً .

هل قيام القرينة المانعة ينافي الادعاء ؟ : وقيام القرينة المانعة من إرادة المعنى

الأصلى للمشبه به في الاستعارة لا ينافي الادعاء ، لأن ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به وجعله واحداً من أفراده ، ليس معناه جعل حقيقة المشبه هي حقيقة المشبه به في الواقع ، بل بهذا الادعاء تصبح أفراد المشبه به نوعين : نوع يمثل الحقيقة الأصلية للمشبه به ، ونوع يمثل الحقيقة الادعائية والقرينة إنما تمنع إرادة الأصلية ، وتعين إرادة الادعائية وتربع أفراد الجنس الواحد ، ليس بداعاً في استعمالات العرب بل هو سنة معروفة فتحن نقول عن الرجل الذي تجاوز الحد في الجرأة : إنه ليس بإنسان ، وإنما هو أسد ، فنجعل أفراد الأسد نوعين ، نوع في هيكل الحيوان وجسمه ، ونوع في صورة الإنسان . . وما جاء من ذلك قول المتني :

نحن قوم م الجن في ذى ناس فوق طير لها شخوص الجمال

فقد جعل الجن نوعين : نوع هو الحقيقة الأصلية للجن وهي الأجسام النارية الخفية ، ونوع في صورة الإنسان ، كما جعل الطير نوعين : نوع هو الطير ذو الأجنحة ونوع في صورة الجمال . .

وقول عمرو بن معد يكرب :

وخييل قد دلفت لها بخييل تحية بينهم ضرب وبجع

فقد جعل التحية نوعين : نوع بالسلام ونوع بالضرب ، رفي البيست استعارة تهكمية ، حيث نزل مواجهة العدو بالأذى منزلة ملاقاته بالتحية على سبيل السخرية

والتهكم ، والضرب الرجيع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي للتحية . . . ومثله قوله : عتابك السيف جعلوا العتاب نوعين : عتاب الكلام وتعاب السيف ونزلوا إعمال السيف منزلة العتاب على سبيل الاستعارة التهمكية والسيف قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي للتعاب . . . ولا يجوز جعل التعبيرين من التشبيه البليغ لتنافي ذلك مع المقصود من الكلام؛ لأنه ليس المراد أن التحية كالضرب والتعاب كالسيف في شدة التأثير ، ولكن المراد جعل إعمال السيف مكان العتاب ، والمواجهة بالأذى مكان التحية ، قصداً للسخرية والتهكم . . . وكذا قوله : جوابك الصمم ، وأجرك المنع جعلوا الجواب نوعين : نوع بالكلام ، ونوع بالصمم والإعراض وجعلوا الأجر كذلك نوعين : نوع متعارف وهو إعطاء المال ونوع غير متعارف وهو المنع ، وعدم العطاء . . . والمراد الثاني على سبيل الاستعارة التهمكية .

ومنه قول عامر بن الحارث النميري :

إلا اليعافير وإلا العيس (١)
وبلده ليس بها أنيس

فقد جعل الأنبياء نوعين : متعارف وهو الذي يوئسكم من بني الإنسان وغير متعارف وهو اليعافير والعيس هذا على جعل الاستثناء متصلاً ، أما على جعله منقطعاً ، فلا يقدر فيه دخول المستثنى منه إلا على رأي بعضهم ،

وكذا القول في الآية الكريمة (يَوْمَ لَا يُنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونٌ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) ، (٢) حيث جعل المال والبنين نوعين : نوع هو الأمانة والنقود والرجال . . . نوع هو القلب السليم ، هذا على جعل الاستثناء متصلاً ، أما على جعله منقطعاً ، فلا تنويع في الآية إلا على رأي بعضهم - كما قلنا - وعلى كل فليس في الآية تشبيه ولا استعارة .

(١) المراد بالبلدة : المفازة . . . واليعافير : جمع يعفور وهو ولد البقرة الوحشية . . . والعيس : جمع عيسى وموئله عيساء وهي الإبل التي يختلط بياضها صفرة . . .

(٢) سورة الشعراء ، ٨٨ ، ٨٩ .

الفرق بين الاستعارة والكذب : يزعم البعض أن الاستعارة تدخل في الكذب ،

وهذا زعم خطئ لأن الاستعارة تفارق الكذب من جهتين :

الأولى : أن الاستعارة مبنية على التأويل ، وذلك بادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به وصيروته فرداً من أفراده ، فيصبح المشبه به نوعين : متعارف وغير متعارف على نحو ما مر بك . . . أما الكذب فلا تأويل فيه . . . بل إن الكاذب يتبرأ من التأويل .

الثانية : أن الاستعارة لابد فيها من قرينة تمنع إرادة المعنى الأصلي للفظ المستعار وتصرفه إلى المستعار له ، أما الكاذب فلا يقيم قرينة ولا ينصب دليلاً على إرادة غير الظاهر ، بل يجد ويبذل قصارى جهده ليحرز ويظهر صحة باطله . . .

هل تقع الاستعارة في أعلام الأشخاص ؟ : الأصل في الاستعارة ألا تقع في أعلام الأشخاص كخالد وعمرو وزيد ومكة والمدينة والقاهرة وأسيوط ، وذلك لأن هذه الأعلام وضعت للدلالة على ذوات معينة ، فهي تفيد التشخيص والتعيين ولا تفيد الجنسية المقتضية للعمر ، والاستعارة تقتضي العمر . ووجود أفراد كثيرين يدخلون تحت جنس واحد ، إذ هي تقوم على ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به وجعله فردا من أفراده ... لكن إذا اشتهر علم الشخص بوصف وعرف به صار بذلك شبيهاً بأسماء الأجانس التي تصدق على كثirين وعندئذ تجوز استعارته ، كما تستعار أسماء الأجانس ، مثل ذلك أن : " حاتماً " قد اشتهر بالكرم حتى صار إذا أطلق لفظ " حاتم " ، فهم منه معنى الكرم فأصبح بذلك عاماً وكأنه قد وضع لذى الجرود مطلقاً ، وبهذا تصح استعارة لفظ " حاتم " لكل شخص كريم ... وكذلك القاهرة قد اشتهرت بزحامها وكثرة ضوضائها فإذا رأيت مدينة مزدحمة ، كثيرة الضوضاء ، صح أن تستعير لها لفظ القاهرة فتقول لصاحبك انظر : نحن نسير في القاهرة ويزعجنا زحمتها وضوضاؤها ...

* * *

أقسام الاستعارة

الاستعارة التحقيقية : وهي الاستعارة التي يكون المعنى المراد بها وهو المستعار له أي : المشبه ، له تحقق وجود يدركه الحس أو العقل ، وليس أمراً خيالياً أو وهمياً .
ولهذا سميت تحقيقية ، وتنقسم عند الجمهور إلى قسمين :

مكية وسيأتي الحديث عنها ، وتصريحية وهي ما يصرح فيها بلفظ المشبه به المستعار ، كقولنا : رأيت أسدًا يخطب الناس ، فالمعنى المراد وهو الرجل الشجاع له تحقق وجود فهو مدرك بالحس ، وقد صرخ فيها بلفظ المشبه به كما ترى ... ومنها قول زهير بن أبي سلمى :

لدى أسد شاكي السلاح مقدف : لـه لـبـنـدـ أـظـفـارـهـ لـمـ تـقـلـمـ

فقد استعار لفظ الأسد للبطل الجسور المدجج بسلاحه الذي يفذ به في المعارك لقوته وخبرته ، وحين جعل البطل أسدًا جعل له لب الأسد وأظفاره المخيفة التي لم تقلم

...

وقول البحري :

وصاعقة في كفه ينكتفي بها على أرؤوس الأعداء حس سحائب

فقد استعار الصاعقة لنصل السيف لتشابهها فيما يوقعان من أذى ... ثم استعار لفظ السحائب لأصابع المدوح لتشابههما في الجود والخير .

وقول أبي دلامة ينم بغلته ويصور سيرها :

أرى الشهباء تعجن إذ غدونا برجليها وتختبز باليدين^(١)

(١) الشهباء ، البقلة البيضاء . غدونا : دخلنا الغداة وهي أول النهار ...

فقد شبه حركة رجليها بحركة يدي العاجن في الانزلاق وعدم الاستقرار فرجلها لا يثبتان على الأرض ، بل ينزلقان إلى الأمام وكذلك يدا العاجن لا يثبتان في مكان ، بل ينزلقان لرخاوة العجين إلى الأمام . ثم شبه حركة يديها وهما لا يتقدمان إلى الأمام ، بل يثنين إلى الخلف نحو بطنهما في تقوس واعوجاج ، بحركة يدي الحائز ، حيث يشبهما إلى صدره في تقوس ليستجمع قرته ويقذف بأقراس العجين داخل التنور ، فالشاعر قد استعار العجن لحركة الرجلين والخنزير لحركة اليدين ، ثم اشتقت منهما ، تعجن وتغزو على سبيل الاستعارة التبعية ... فالمعني المجازي المراد في هذه الشواهد وهو البطل الشجاع ونصل السيف وأصابع المدروج وحركات الدابة ، له تحقق وجود إذ هو من المشاهدات الحسية .

وما يدرك بالعقل قوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾^(١) ، أي من الضلالات إلى المدى فقد استعيرت "الظلمات" للضلال لتشابههما في عدم اهتداء صاحبتهما ، واستعير "النور" للإيمان لتشابههما في الهدى ، والمستعار لهما هما الضلال والإيمان كل منهما محقق عقلاً ... أما قوله عز وجل : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرِيرًا كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَةً يَا تَبَّاهُ رِزْقُهَا رَغْدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنَّمَا اللَّهُ لِبَاسُ الْجَنُوْمَ وَالْخَوْفَ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾^(٢) ، فيحتمل أن تكون الاستعارة تحقيقة حسية ، أو تحقيقة عقلية ، وذلك أنه صرخ بالمشبه به وهو "اللباس" ، فلو جعلنا المستعار له ما أصاب أهل القرية من هم وحزن ، وهرول رفع ، واضطرب في التفكير ، بسبب ما حل بهم من أحداث ؛ كانت الاستعارة تحقيقة عقلية ، ولو جعلناه ما أصابهم من الإعياء وصفرة الرجوه وهزال الجسم بسبب تلك الأحداث ، كانت الاستعارة حسية تحقيقة ، والجامع بين "اللباس" والمستعار له في

(١) سورة إبراهيم ١ .

(٢) سورة التحل ١١٢ .

كل هو الإحاطة والشمول فقد أحاطت هذه الأحداث بأهل القرية وتمكنت منهم وشلتهم كما يشمل اللباس صاحبه ويحيط به ...

وتنبه إلى دقة التعبير القرآني في الآية الكريمة ، فالقوم كانوا آمنين مطمئنين يأتينهم رزقهم رغداً من كل مكان ، فكفروا بأنعم الله عزّ وجلّ ، فكان مقتضى صنيعهم شدة المؤاخذة وشولها ، ولذا عبر بالإذابة ليفيد شدة الإصابة ، وباللباس ليفيد الإحاطة والشمول ، ولو قيل فكساها الله لباس الجموع والخوف لأفاد الإحاطة والشمول دون الشدة ، وكذا لو قيل فأذاقها الله طעם الجموع والخوف ، لأفاد شدة الإصابة دون الإحاطة والشمول . ولذا آثر النظم الكريم التعبير بالإذابة واللباس ، فأذاقها الله لباس الجموع والخوف ، ليفيد الأمرين معًا : شدة الإصابة وشولها وإحاطتها ...

الاستعارة المكنية والاستعارة التخييلية : والاستعارة المكنية هي التي لا يصرح فيها بلفظ المشبه به . بل يطوي ويرمز له بلازم من لوازمه . ويستند هذا اللازم إلى المشبه ... ولهذا سميت استعارة مكنية . أو استعارة بالكتابية ، لأن المشبه به يمحض ويكفي عنه بلازم من لوازمه ... وإثبات لازم المشبه به للمتشبه هو ما يسمى بالاستعارة التخييلية وهي قريبة المكنية .

ومن ذلك قول أبي ذؤيب الطنزي :
إذا المنية أنشبت أظفارها أفيت كل قيمـة لا تنفع

فقد شبه المنية بالسبع ثم طوى المشبه به ورمز له بلازم وهو الأظفار وأثبت هذا اللازم للمتشبه ، فالمنية أو السبع استعارة مكنية وإثبات الأظفار لها استعارة تخيلية .

هذا وقد اختلف البلاغيون في تحديد مفهوم الاستعاراتين : المكنية والتخييلية . فيرى جمهور البلاغيين أن المكنية هي لفظ المشبه به المستعار في النفس للمتشبه والحنوف المدلول عليه بشيء من لوازمه ... والتخيلية هي إثبات لازم المشبه به للمتشبه ، فيقال في

إجراء الاستعاراتين في البيت المذكور : شبهت المنية بالسبع بجماع الاغتيال في كل ، ثم تناصي التشبيه وادعى دخول المشبه في جنس المشبه به ثم قدر في النفس حذف المشبه به وزمر إليه بشيء من لوازمه وهو الأظفار على سبيل الاستعارة المكنية ... ثم أثبتت الأظفار للمنية على سبيل الاستعارة التخييلية ...

ويرى الخطيب أن المكنية هي التشبيه المضرر في النفس ، المدلول عليه بإثبات لازم المشبه به للمتشبه ، من غير أن يكون للمتشبه أمر ثابت حسأً أو عقلاً ، استعير له لازم المشبه به وأطلق عليه ... فيقال في البيت المذكور : شبه الشاعر في نفسه المنية بالسبع ثم تناصي التشبيه . وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ، ثم أثبت لازم المشبه به وهو "الأظفار" للمتشبه ، وليس للمتشبه وهو المنية شيء محقق حسأً أو عقلاً ، استعير له لفظ الأظفار .

ونلاحظ أنه أطلق الاستعارة المكنية على التشبيه المضرر في النفس وهو فعل من أفعال المتكلم ... وقد عرفنا أن الاستعار لفظ استعمل في غير ما وضع له علاقة المشابهة ، والألفاظ خلاف الأفعال ، فلا وجه لتسمية التشبيه المضرر في النفس استعارة .

رواضع أن الخطيب يوافق الجمهور في سبب تسمية هذه الاستعارة بالمكنية وهو عدم التصریح بالمشبه به والدلالة عليه بلازمه ، ويواافقهم أيضاً في تحديد مفهوم الاستعارة التخييلية وهي إثبات لازم المشبه به للمتشبه ، وليس للمتشبه شيء متحقق حسأً أو عقلاً استعير له هذا اللازم ، ولذا كانت هذه الاستعارة تخييلية ، وهي قرينة الاستعارة المكنية فهما متلازمان ... أما مخالفته لهم في تحديد مفهوم الاستعارة المكنية ، إذ هي عنده فعل من أفعال المتكلم فلا وجه لتسميتها استعارة وعند الجمهور من قبيل الاستعارة التحقيقية ، لأن لفظ المشبه به يستعار لشيء متحقق هو المشبه كاستعارة السبع للمنية في البيت المذكور .

ويرى السكاكي أن الاستعارة المكنية هي لفظ المشبه المستعمل في المشبه به بادعاء أن المشبه به هو عين المشبه أي من جنسه ، فيقال في بيت أبي ذؤيب : شبهت المنية بالسبع ثم تناسى التشبيه وادعى أن المنية فرد من أفراد السبع وأن السبع صار نوعين : متعارف وهو الحيوان المفترس ، وغير متعارف وهو الموت الذي ادعى له السبعية ، ثم استغير اسم المشبه وهو الموت الذي ادعى له السبعية ، فصح بهذا أنه قد أطلق اسم المشبه وهو المنية ، وأريد به المشبه به وهو السبع ... فهي من قبيل المحاز اللغوي كما عند الجمhour ويرى أن الاستعارة التخييلية ، ما كان معناها صورة وهمية لا تحقق لها حساً ولا عقلاً ، كالأظفار في البيت فإنه لم شبه المنية بالسبع في الاغتيال ،أخذ الوهم في تصويرها بصورته ، فاختبر لها صورة الأظفار ثم أطلق عليها لفظ أظفار السبع ... فالمشبه الصورة الخيالية للأظفار والمشبه الصورة الحقيقة لها والمستعار للفظ الموضوع للصورة الحقيقة ، والقرينة إضافتها إلى المكنية ... ولا تلزم عنده بين المكنية والتخييلية ، فقد توجدان معاً كما في البيت ، وقد توجد التخييلية من غير المكنية كقولهم : أظفار المنية التي كالسبع نشبت بفلان ... ففي "أظفار" استعارة تخيلية وجدت مع تشبيه صريح .

ونلاحظ أن هذه الاختلافات في تحديد مفهوم الاستعاراتتين ترجع إلى توجيه كل منها ، وكلها - كما رأينا - توجيهات محتملة قائمة على التصور والتخيل ... وإليك أمثلة متنوعة من شواهد الاستعاراتين ...

يقول لييد :

وغداً ريح قد كشفت وقرّة: *إذ أصبحت يد الشمال زمامها^(١)*

(١) الواو : وار رب . والقرة : البرد . والشمال : الريح الباردة ... يفخر بأنه يطعم الناس ويوقن لهم النار ليمنع عنهم عادية البرد .

جعل للشمال يدا وللقرة زماماً بأن شبه الشمال في تصريفها القوة والتحكم في طبيعتها بالإنسان الذي يتصرف في الأمور ... وشبه القرة بالبعير يجتمع الانقياد للغير ، ثم تناسى التشبيه ، وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ثم أثبت لازم المشبه به وهو اليد والرمام للمشبه ، ولا يخفى ما في ذلك من المبالغة في تصرف الريح تصرف الإنسان القادر، وانقياد القرة لها انقياد البعير المذلل ... ومنها قول الآخر :

وإذا العناية لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهم أمان^(١)

أثبت للعناية عيوناً بأن شبهاها بالإنسان ثم تناسى التشبيه وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ثم أثبت لازم المشبه به للمشبه قصداً إلى المبالغة ... وكذا القول في قول الحجاج : "إني أرى رعوساً قد أينعت وحان قطافها" ، أثبت للرعوس قطافاً وإنيناً أي : نضجاً وبها من خصوصيات الشمار والأزهار .

وقول المتنبي :

ولما قلت الإبل امعطينا إلى ابن أبي سليمان الخطوبا^(٢)

جعل الخطوب تتطوى ... والذى يمتطى هو الحيوان المعروف .

وقول أبي تمام :

لَا انتصريتكم للخطوب كفيفتها والسيف لا يكفيك حتى ينتصي^(٣)

جعل ممدوجه سيفاً ينتصي ويلجأ إليه عند الشدة وعند التوازن ثم طوى المشبه به ورمز له بلازمة وهو الانتصاء .

(١) لاحظ الشيء : رعاه ، والمعنى : إذا قدر لك أن تكون ملحوظاً بعناية الله فلن يمسك ضر ، وكنت بآمن من كل شر .

(٢) قلت الإبل : عزت . وامططينا : ركبنا . والخطوب : الأمور الشديدة .

(٣) انتصي السيف : جرده من غمده .

وقول الآخر :

عشتا الدهر نابا بـ^(١) ليت ما حمل بنابـه

جعل الدهر نابا بعض به ولا ناب له إنما الناب للحيوان المعروف .

وقوله :

إذا ما الدهر جر على أنسـكـلاـكـلـهـأـنـاخـبـآـخـرـينـ^(٢)

شيـهـالـدـهـرـبـالـبـعـيرـ...ـثـمـحـذـفـالـمـشـبـهـبـهـبـعـدـتـنـاسـيـالـتـشـيـهـوـجـعـلـالـمـشـبـهـفـرـدـاـ منـأـفـرـادـهـ،ـرـامـزـاـلـهـبـلـواـزـمـهـوـهـيـالـكـلـاـكـلـوـالـجـرـوـالـإـنـاحـةـ،ـوـأـثـبـتـهـذـهـالـلـوـازـمـلـلـمـشـبـهـ وـهـوـالـدـهـرـ.

وقول السري الرفاء :

وقد كتبت أيدي الريـعـصـحـائـفـاـ كان سطور السرو حسـنـاـسـطـوـرـهـ^(٣)

جعل للريـعـأـيـادـيـ يـكـتـبـبـهـصـحـائـفـذـاتـسـطـوـرـجـمـيـلـةـ،ـوـتـلـكـمـخـصـائـصـ الإنسـانـالـذـيـيـكـتـبـوـيـسـطـرـ.

وقول الآخر :

ولتنـنـنـقـبـبـشـكـرـبـرـكـمـفـصـحـاـ فـلـسـانـحـالـيـبـالـشـكـاـيـةـأـنـطـقـ

(١) بـنـابـهـ :ـالـنـابـفـيـآـخـرـالـشـطـرـأـلـأـولـنـابـالـحـيـوانـوـفـيـنـهـاـيـةـالـبـيـتـ.ـلـلـبـاءـانـ.ـحـرـفـاـجـرـوـالـهـاءـضـمـيرـ يـعـودـلـلـدـهـرـ.

(٢) الـكـلـاـكـلـ :ـجـمـعـكـلـكـلـوـهـوـالـصـدـرـ.ـوـأـنـاخـأـبـرـكـيـقـالـأـنـاخـالـإـبـلـ:ـأـبـرـكـهـاـوـمـثـلـهـتـنـوخـ،ـ وـأـسـتـنـاعـتـ:ـبـرـكـتـ.

(٣) السـرـوـ :ـشـجـرـعـالـمـلـفـالـأـغـصـانـ.

جعل للحال لسان ينطق بالشکری ، تشیبھا لها بالإنسان الناطق ويجوز أن يكون : " لسان حالي " من إضافة المشبه به إلى المشبه فيكون تشیبھا لا استعارة .

وقول زهير بن أبي سلمى :
صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله .
وَغُرْبُي أَفْرَاسِ الصُّبَّا وَرِوَاخْلَهُ^(١)

وذلك على جعل " الصبا " مأحوداً من الصبرة ، وهي الفساد والجهل والانهماك في اللذات ، فيكون قد شبه " الصبا " بجهة من الجهات التي يسافر إليها كالحجج والتجارة ، انتهت حاجته منها فعاد إلى داره ورفع عن الأفراس سروجها وعن الإبل رحالها ... ثم تناهى التشبيه وادعى دخول المشبه في أفراد المشبه به الذي طوى ورمز له بلوازمه وهي الأفراس والرواحل التي عريت ، ثم أسندة تلك اللرازم إلى المشبه وهو " الصبا " على سبيل التخييل ...

أما إذا جعل " الصبا " مأحوداً من الصباء وهو الشباب وصغر السن فيجوز جعله استعارة مكتبة أيضاً على معنى أن الشباب قد ول وانقضى ، فيكون قد شبهه بجهة لا يذهب إليها ... ثم طوى لازمه وهو الرواحل والأفراس إلى المشبه وهو " الصبا " ويجوز جعله استعارة تصريحية بتشبیه الغرائز المنطلقة في سن الشباب والتي تدفع إلى الهوى وارتكاب المفاسد ، بالأفراس والرواحل المنطلقة إلى الأماكن البعيدة ... واستعارة الرواحل والأفراس لتلك الغرائز على فراس لتلك الغرائز على سبيل الاستعارة التصريحية العقلية ، أو يكون المشبه هو الأسباب الموصولة لارتكاب المفاسد من مال وأصحاب ... واستعارة الأفراس والرواحل لهذه الأسباب المحسوسة على سبيل الاستعارة التصريحية الحسية والقرينة هي إضافة الأفراس والرواحل للصبا ...

(١) صحا : أي : أفاق من السكر وهو مستعار هنا للسلو وزوال العشق وأقصر : أي : امتنع عن قدرة وعري : عطل . والرواحل : جمع راحلة وهي الشديد من الإبل الذي يقوى على الأحمال والأسفار .

ومن شواهد الاستعارة المكتبة في النظم الكريم قوله تعالى : ﴿ وَأَنْفَضْ لَهُمَا جَنَاحَ الْذُلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾^(١) فقد شبه الذل بطائر ، ثم حذف ورمز له بلازمه وهو الجناح ، وأثبت هذا اللازم للمشبه ، ولعلك تشعر بما وراء الاستعارة في الآية الكريمة من حث للمؤمن على الخضوع لوالديه ؛ وأن يكون في خضوعه وبره كالطائر الذي يرفرف بجناحيه حنراً وحناناً ... قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيَاثِيقِهِ ﴾^(٢) ، يقول الزمخشري في بيان الاستعارة في الآية الكريمة : " فإن قلت : من أين ساغ استعمال النقض في إبطال العهد ؟ ، قلت : من حيث تسميتهم العهد بالجبل على سبيل الاستعارة ، لما فيه من إثبات الروصلة بين المتعاهدين ... وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها ، أن يسكنوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزا إليه بذكر شيء من رواده فينبهوا بذلك الرمزة على مكانه " ^(٣) ... قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا نَسِكَتَ عَنْ مُوسَى الْفَضْبُ ﴾^(٤) حيث شبه الغضب بكائن حي ، يحيث موسى عليه السلام - ويحركه ، وقد حذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو السكوت ، وأثبت هذا اللازم للغضب على سبيل الاستعارة التخييلية ...

وهذا ولازم المشبه به الذي يثبت للمشبه يتبعي أن يكون له اختصاص قوي بوجه المشبه في المشبه به حتى تتحقق المبالغة المطلوبة ... وهذا اللازم على نوعين :

الأول : ما يتحقق به كمال وجه المشبه في المشبه به كقولنا : ظهر وجه الحق ، فالم المشبه به المطوى هو الإنسان المشرق الوجه ، وقد أثبت لازمه وهو " الوجه " إلى المشبه

(١) سورة الإسراء الآية ٢٤ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٧ .

(٣) الكشاف ج ١ ص ٧٥ .

(٤) سورة الأعراف آية ١٥٤ .

وهو " الحق " وهذا اللازم يتحقق به كمال الإشراق في المشبه به ، لأن الوجه هو مظاهر الإشراق والوضوح في الإنسان ... ومن ذلك بيت الهذلي السابق :
إذا ثبّتت أظفارهـاـ الفيت كل قيمـة لا تفعـ

لأن الأظفار وهي لازم المشبه به الذي ثبّت للم المشبه ، هي التي يكمل بها الاغتيال في السبع لأن فتكها بها أقوى من فتكه بالأنىاب ...

الثاني : ما يتحقق به قoram وجه المشبه ووجوده في المشبه به ، كقولنا مشت بنا " أقدام الزمن إلى المصير المختوم ، فقد طوى المشبه به وهو الإنسان ، وأثبت لازمه وهو " الأقدام " إلى المشبه وهو " الزمن " وهذا اللازم لا يتحقق وجود وجه المشبه وهو الانتقال والذهاب إلى الغاية في المشبه به المخنوف " الإنسان " إلا بذكره وجوده ...

ولمن نطقت بشكر برك مفصحاـ فـلـسـانـ حـالـيـ بـالـشـكـاـيـةـ أـنـطـقـ
ومنه قول الشاعر :

لأن اللسان وهو لازم المشبه به الذي ثبّت للم المشبه ، لا يوحـد وجه المشـبهـ وـهـرـ
الدلالة الكاملة على الشيء " في المشبه به المطري " الإنسان " إلا بوجودـهـ وـذـكـرـهـ في
الصياغـةـ ...

الاستعارة الأصلية والاستعارة التبعية : وتنقسم الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار إلى أصلية وتبعية ، فالالأصلية : ما كان اللفظ المستعار فيها اسم جنس ، يدل على واحد غير معين من جنسه ، سواء كان اسم عين ، كالأسد والتغلب والبحر والغيث والسهم ، أو اسم معنـىـ وهو المصادر ، كالقتل والبروم واليقظة ، ويدخل في الاستعارة الأصلية ، أسماء الأعلام التي اشتهرت بصفة معينة ، لأنـهاـ صارتـ لـشـهـرـتهاـ بالـصـفـةـ كـأـسـمـ الجـنـسـ
بالتأويل وذلك نحو : " حاتم " الذي اشتهر بالكرم ، فصبح استعارته لكل رجل كريم ،

لأن شهرته بالكرم ، جعلته كالموضوع لطلق ذات متصفه بالكرم فصار بهذه الشهرة اسم جنس تأريلاً ...

تقول في استعارة اسم الذات : ضمت الأم زهرتها إلى صدرها ، تزيد طفلتها ، وتقول : أسود المعركة ، أي الشجعان ، وبجور العلم ، أي : العلماء ، وثعالبة الاستعمار: أي الماكرين ، فالمستعار في هذه الأمثلة اسم ذات ... وتقول في استعارة اسم المعنى : ألمي قتل فلان أبواه وذبحه أخاه ، تزيد : الأذى والإذلال ، وتقول : سباحة الفكر ؛ أي : تنقله في أمور شتى ، ونوم العقل ، أي : توقفه عن التفكير ، وخياطة الدرع . أي : سرده . ويقظة الضمير ، أي تبنته لأداء الواجب ، ومنه قوله عز وجل : ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾^(١) أي نفاق فالمستعار هنا اسم معنى ، ويقال في إجرء هذه الاستعارة شبه الأذى والإذلال بالقتل والذبح بجماع الإيلام الشديد في كل ، ثم ادعى أن الأذى والإذلال داخلان في جنس القتل والذبح وفردان من أفرادهما ، ثم استغير القتل والذبح للأذى والإذلال وكذا يقال في بقية الشواهد .

وقد سميت هذه الاستعارة بالاستعارة الأصلية ، لأنها أكثر وجرداً في الكلام من التبعية ، ولأن التبعية مبنية عليها وتابعة لها ، فهي لها أصل - كما سترى .

ومنها بالإضافة لما سبق قول الشاعر :
فهي كلاما فاضت عيون قبيلة دما ضحكت عنه الأحاديث والذكر

حيث استعار الدم للدموع التي تفيض من العيون وتفيد هذه الاستعارة فداحة الخطاب وشدة ما حل بالقبيلة فقد فاضت عيونها دماء لا دموعاً من هول الموقف ، وهذا بالتالي يعني بعظم المدح الذي يجدد تلك الأحوال ويغيرها بكرمه وشجاعته إلى أمن وسرور .

(١) سورة البقرة آية ١٠ .

وقول كثير عزة :

رمتني بسهم ريشه الكحل لم يضر ظواهر جلدي وهو للقلب جارح

حيث شبه النظرة الثاقبة التي رمته بها فتاته بالسهم النافذ بجماع قوة التأثير في كل ، ثم حذف المشبه وادعى أنه فرد من أفراد المشبه به فاستغير له لفظه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية ...

والاستعارة التبعية : ما كان اللفظ المستعار فيها فعلاً أو اسمًا مشتقاً أو حرفاً كقولنا : نطقت الحال بكندا ... وطار فلان إلى المعركة ... ونام عقل فلان . فالمراد : دلت الحال ، وأسرع فلان ، وغفل عقله وترقق عن الفهم ، فاللفظ المستعار هنا فعل ، وتقرير الاستعارة فيه أن يقال : شبّهت الدلالة الواضحة بالنطق في إيضاح المعنى . ثم استغير النطق للدلالة الواضحة . فصار النطق بالاستعارة معناه : الدلالة الواضحة ، ثم اشتق من النطق : نطق يعني " دل على سبيل الاستعارة التبعية : وكذا القول في " طار " و " نام " .

ومن استعارة المشتقات قولنا : فلان عقله نائم ، وفلان عقله يقطنان ، وعظيم فعالك ناطق بكل حالك ، وهذا مقتول فلان ، وقوله عزّ وجلّ : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(١) ، فالمراد : فلان عقله غافل فلان عقله متتبه وعظيم فعالك دال ، وهذا مأذى فلان ... وكل نفس تحس بشدة الموت عند الاحتضار كما يحس الذائق للشراب المر ما فيه من مرارة ... ويقال في إجراء الاستعارة في هذه المشتقات شبّهت الغفلة بالنوم بجماع عدم الإدراك في كل ثم استغير النوم للغفلة ، فصار النوم بالاستعارة معناه الغفلة ، ثم اشتق من النوم : نائم ، يعني : غافل ... وكذا القول في : " يقطنان " ، و " ناطق " ، و " مقتول " ، و " ذائقه " .

(١) سورة آل عمران . ١٨٥ .

ومن استعارة الحروف : قولنا : فلان في نعمة ، فالمراد : أنه متمنع بالنعمة تمنعًا تماماً ، كأنه في داخلها .

لماذا كانت الاستعارة في الأفعال والمشتقات والحروف تبعية ؟

وعددت الاستعارة في الأفعال والمشتقات تبعية لما يلي :

أولاً : أن الاستعارة قائمة على التشبيه ، والتشبيه يتضمن أن يكون المشبه والمشبه به موصوفين بوجه الشبه ، لأن الوجه وصف جامع بين الطرفين ، ولا يصلح للموصوفية إلا الحقائق الثابتة في الخارج كالجسم واللون والأسد ، أو في العقل كالعلم والجرود والذكاء . فيقال : جسم صغير ، وعلم واسع ، أما الأفعال والمشتقات فلا ثبوت لها لا خارجاً ولا عقلاً ، إذ هي متعددة متغيرة لدخول الزمن المتغير في مفهوم الأفعال ولزومه للمشتقات ، ولذا لا تصلح أن تكون موصوفاً ، وبالتالي لا تصلح للتشبيه ، فيتحتم أن يجري التشبيه أولاً في المعاني الثابتة القابلة للوصفيّة وهي المصادر ، ثم يستعار المصدر المشبه به للمصدر المشبه ، ويشتق منه الفعل أو اسم الفاعل أو اسم المفعول بعد أن يحمل المعنى الجديد لمصدره الذي انتقل إليه بالاستعارة ، فيكون الفعل أو المشتق حينئذ تابعاً لمصدره في حمل المعنى الجديد . كما رأينا في إجراء الاستعارة . ولا يعرض على ذلك بأن العرب قد وصفت المشتقات فقالوا : شجاع باسل وجوارد فياض ، وبأن الحركة والزمان متغيران وغير ثابتين ، وقد وصفا فقيل : حرفة بطيئة وزمان عجيب ، لأننا نقول : إن " باسل وفياض " وصفان آخران للموصوف الذي وصف بالشجاعة وبالجرود ... والحركة والزمان قد تقررا في الذهن وتخددا فيه ، فمن هنا صحة وصفهما .

ثانياً : أن جريان الاستعارة في الأفعال والمشتقات تابع لجريانها في مصادرها ، لأن الأفعال والمشتقات لا تنفك معانيها عن معاني أصولها وهي المصادر ، فإذا تغير معنى الأصل بالاستعارة تغير تبعاً لذلك معنى الفرع المشتق منه ، وقد اعتبر البلاغيون التشبيه

والاستعارة في المصدر قبل اعتبارهما في الفعل والمشتقات ، لأن المصدر هو المعنى القائم بالذات ، فهو الجدير بأن يعتبر فيه التشبيه والاستعارة قبلاً .

أما الحروف فقد عدت الاستعارة فيها تبعية ؛ لأن الحرف لا يدل على معنى مستقل بل يدل على معنى في غيره ، ولذا لا يصلح للتشبيه ولا للاستعارة ، بل يقع التشبيه والاستعارة في متعلق معناه ؛ لأنه هو الذي يستقل بالدلالة ... ومتصل معنى الحرف - عند الخطيب - هو مدخله ، وعند الجمهور ، هو المعنى العام الذي نفسر به الحرف ، ويوضح ذلك في قوله : "فلان في نعمة" ، فالخطيب يشبه مدخل الحرف وهو "النعمة" بظرف تحل فيه الأشياء بجماع مطلق ارتباط وتعلق في كل ، ويدل على التشبيه بلفظ "في" الذي هو لازم من لوازם المشبه به وهو الظرف ... والجمهور يشبه الارتباط المحاصل بين النعمة وصاحبها بالظرفية التي هي ارتباط حاصل بين الظرف والمظروف ، ثم يسري التشبيه من هذا العام إلى أفراده فيستعار اللفظ "في" من فرد من أفراد المشبه به لفرد من أفراد المشبه على سبيل الاستعارة التبعية في الحروف .

وإليك بعض شواهد هذه الاستعارة : قال عليه السلام : "خير الناس رجل عمسك بعنان فرسه كلما سمع هيبة طار إليها ... "^(١) حيث شبه العدو بالطيران بجماع قطع المسافة بسرعة في كل ، ثم استعير الطيران للعدو ، فصار العدو بالاستعارة معناه : الطيران ، ثم اشتق من الطيران : طار، يعني عدا على سبيل الاستعارة التبعية .

ومنه قول امرأة ترثي قتيلاً :

لو يشا طار به ذو ميعه لاحق الآطال نهد ذو خصل^(٢)

(١)الميعة : الصيحة المفرعة ، وأصلها من هاع يهيع إذا جن ، والمراد : أنه رجل مستعد للجهاد كلما سمع صيحة مستغاث من المسلمين أسرع إليه ليفاصل معه .

(٢)الميعة : النشاط . الآطال : جمع إطل وهو الخاصرة ولاحقها : ضامرها ، والنهد : القوي : والخصل : جمع خصلة وهي الشعر المجتمع .

أرادت : عدا به مسرعاً ... وقول الآخر :

فطرت بمنصلي في يعملات دوامي الأيد يخبطن السريحا^(١)

أراد أنه قام بسيفه مسرعاً إلى نوقة فعقرها ، وسالت الدماء على أيديها وأخذت تضرب بأقدامها القبر المقيدة بها من شدة الجراح ... فالاستعارة في البيتين تعبية كما في الحديث ولا يخفى عليك إجراؤها .

وقول البحترى :

يترآكون على الأسنة في الوعى كالفجر فاض على نحوم الغيوب^(٢)

يريد أنهم بواسل يندفعون بشدة وصبر إلى مواطن الموت كما يتبسط الفجر دفعة فينشر ضوءه على الكون ... وقد استعار الفيض لأنبساط الفجر إذ شبه انبساط الفجر وسرعة انتشار ضوءه بفيضان الماء ، ثم استعار له واشتقت منه "فاض" بمعنى . انبساط وانتشر بسرعة ...

وقول أبي الطيب يمدح أبا فراس الحمداني .

لشـرـتهم فـوقـ الأـحـيـدـبـ نـشـرةـ
كما ثارت فوق العروض الدرهم^(٣)
ومن مخطوطة

أراد أن مدحه هزم أعدائه شر هزيمة ، فشتت شملهم وفرقهم فانتشروا في غير نظام كما تشر الدرهم فرق العروض ... فقد شبه تفرق أجسامهم وتساقطها بتفرق الأجسام الصغيرة وتشرها بجماع التفرق والتساقط على غير نظام في كل ، ثم استعير النثر

(١) المنصل : السيف ، والي العملات : الترق المطبوعة على العمل جمع يعملة ، والسريع السير الذي يشد على أرجلها .

(٢) يترآكون : يجتمعون بكثرة وازدحام . والأسنة : الرماح ، والوعى : الحرب . والغيوب : الفلمة ، وجعلهم كالفجر نظراً لما عليهم من الدروع اللامعة .

(٣) الأحيدب : جبل ببلاد الروم .

من المشبه به للمشبه واشتق منه " ثر " بمعنى فرق ، على سبيل الاستعارة التبعية في الفعل

وقول القطامي :

مَا عَشِيَّةٌ يُحْرِي بِالدَّمِ السَّوَادِيِّ	لَمْ تُلْقِ قَوْمًا هُمْ شَرٌ لِأَخْرَوْهُمْ
مَا كَانَ خَاطِعًا عَلَيْهِمْ كُلُّ زَرَادٍ ^(١)	نَقْرِيهِمْ هَذِيَّاتٌ نَقْدُّبُهَا

يصف قومه بالشجاعة وأنهم أشد خطراً على الأعداء عند احتدام المعركة وشتداد القتال فهم يطعونهم سيفاً تشق دروعهم وتفرى ضلوعهم ... وقد استعار لذلك القرى للضرب بالسيف بجامع الترحيب والإكرام في كل ، واشتق منه نقرى بمعنى ضرب على سبيل الاستعارة التبعية التهكمية ، ثم استعار الخياطة للسرد بجامع ضم الأطراف في كل ، واشتق منها الفعل " خاط " بمعن : سرد على سبيل الاستعارة التبعية في الفعل .

ومن ذلك قوله الله عز وجل : ﴿فَيَشْرُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٢) ، نزل الإنذار منزلاً التبشير لقصد التهكم والسخرية ، فشبه الإنذار بالتبشير بجامع إدخال السرور في كل ، ثم استغير التبشير للإنذار واشتق منه الفعل بشر بمعنى أنذى على سبيل الاستعارة التبعية التهكمية .

وقوله تعالى : ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَمْمًا﴾^(٣) ، فقد شبه التفريق بالقطيع بجامع إزالة الاتصال في كل ، ثم استغير التقطيع للتفرق ، واشتق منه الفعل " قطع " بمعنى فرق .

(١) لآخرتهم : المراد : أعدائهم . ونقرى : نطعم والمراد هنا الضرب بالسيف ، واللهثيات : جمع طن و هو السيف القاطع والنسبة فيها للمبالغة ، والزراد : صانع الزرد وهو الدرع ، وإسناد الجري إلى الوادي بمحاذ عقلي ، ونقد : نقطع .

(٢) سورة آل عمران الآية ٢١ .

(٣) سورة الأعراف آية ١٦٨ .

وقوله تعالى : ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَنْمَطُهُ إِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾^(١)
 المراد : بل نورد الحق على الباطل فيذهبه ويمحوه فإذا هو ذاهب ، فقد استعير " القذف " للإثارة ، و " الدمع " للمحو والإزالة ، و " الزهاق " للذهاب ثم اشتق منها " نقذف " و " يدمغ " و " زاهق " ، على سبيل الاستعارة التعبية .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾^(٢) المراد : السفيه الغري حيث شبه السفة والغري بالحلم والرشد ، ثم استعير : الحلم والرشد للسفة والغري ، واشتقا منهما : حليم ورشيد . معنى : سفيه وغري على سبيل الاستعارة التعبية التهكمية .

هذا وكما تقع الاستعارة التعبية في مادة الأفعال وهي حروفها الدالة على الحدث على نحو ما رأينا - فقد تقع في صيغتها وهي هيئتها الدالة على الزمان كصيغتي الماضي والمضارع ... من ذلك قوله تعالى : ﴿أَتَى أَمْرًا لِلَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾^(٣) فأمر الله لم يأتي بعد ، بدليل قوله ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ ، فكان الأصل أن يقال : يأتي أمر الله ، ولكن عبر بالماضي بمحارزاً ليفيد أن هذا الأمر محقق الواقع ، فقد شبه الإتيان في المستقبل بالإتيان في الماضي بجماع تحقق الواقع ، ثم استعير الإتيان في الماضي للإتيان في المستقبل واشتق منه " أتى " بمعنى " يأتي " على سبيل الاستعارة التعبية في صيغة الفعل .

ومن الاستعارة التعبية في الحروف قوله تعالى : ﴿فَالْتَّقَطَةُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَذَّوْا وَحَزَّنَا﴾^(٤) ، فاللام في قوله " ليكون " لام العلة وهي موضوعة لترتبط بما بعدها على ما قبلها وقد استعملت هنا في غير ما وضعت له لأن ما بعدها ليس متزبباً على ما قبلها ، فهم لم يتقطروا ليكون لهم عذواً وحزناً بل التقطروا ليكون لهم قرة عين

(١) سورة الأنبياء آية ١٨ .

(٢) سورة هود آية ٨٧ .

(٣) سورة النحل آية ١ .

(٤) سورة القصص آية ٨ .

يفرحون به ، ففي "لام التعليل" في الآية الكريمة استعارة تبعية يقال في إجرائها على رأي الخطيب : شبهت العداوة والحزن بالفرح والسرور بجماع ترتب كل منها على الاتقاط رجاء أو واقعاً ودل على التشبيه بذكر لازم المشبه به وهو اللام للمشبه . وعلى رأي الجمهور : شبه مطلق ترتب علة واقعية انتهى إليها الاتقاط بمطلق ترتب علة رجائية غائبة ، فسرى التشبيه من هذين الكلين إلى جزئياتهما ، ثم استعيرت اللام الموضوعة بجزيء من جزئيات المشبه به وهو النقطة ليصير عدو وحزناً :

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿فَلَا قَطْعَنَّ أَيْدِيهِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا صَلْبَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾^(١)، فلفظ "في" مستعمل في غير ما وضع له ، لأن جذوع النخل لا تصلح للظرفية الحقيقة ، لكن لما كانت هذه الجذوع متمكانة منهم ، لأن مراد فرعون شدة التعذيب وإحكام الصلب ، شبهت الجذوع بالظرف الحقيقي في هذا التمكן ، واستعمل فيها لفظ "في" على سبيل الاستعارة التبعية ؛ ويقال في إجرائها على رأي الخطيب : شبهت الجذوع بالظرف بجماع التمكן ثم استعير لفظ "في" وهو جزئية من جزئيات المشبه به واستعمل في المشبه ... وعلى رأي الجمهور : شبه مطلق الارتباط بين السحرة المؤمنين وبين الجذوع بمطلق الارتباط بين الظرف والمظروف بجماع التمكן ، فسرى التشبيه من الكلين إلى الجزئيات ، ثم استعير لفظ "في" من جزئيات المشبه به بجزئي من جزئيات المشبه .

ومنها مناداة القريب بلفظ البعيد^٢ يا "لغرض بلاغي كغفلة المنادي وعدم تنبئه فتقول : "يا فلان" لمن هو قريب منا ... وكذلك ينادي الرب عزوجل^٣ بلفظ البعيد "يا" فيقال : يارب وهو أقرب إلينا من حبل الوريد ، وذلك لغرض بلاغي هو إحساسنا بالذنوب وشعورنا بالبعد عن مواطن الزلفى ... فقد شبه نداء القريب بنداء البعيد ،

(١) سورة طه آية ٧١ .

فسرى التشبيه من الكلين إلى الجزئيات ، واستعير " يا " من جزئيات المشبه به بجزئي من جزئيات المشبه على سبيل الاستعارة التبعية في الحروف ... وكذا مناداة البعيد بلفظ القريب .

الواقية والعنادية : وتنقسم الاستعارة باعتبار إمكان اجتماع الطرفين في شيء واحد وعدم اجتماعهما إلى قسمين : استعارة وفافية واستعارة عنادية .

فالفافية : هي التي يمكن اجتماع طرفيها أي : المستعار له والمستعار منه في شيء واحد لما بينهما من التوافق ... كما في قوله تعالى ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾^(١) ، و قوله جلا وعلا : ﴿ وَأَمَّا ثُمُودٌ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحْبُوا الْعُمَى عَلَى الْهُدَى ﴾^(٢) ، و قوله عز وجل : ﴿ أَوَ مَنْ كَانَ مِنَّا فَأَخْيَثَنَا ﴾^(٣) ، فقد استعير المرض للتفاق ، والعمى للكفر ، والحياة للهداية ، وبين المستعار منه والمستعار له تواافق لأنه يمكن اجتماعهما في شيء واحد ، فالمرض والتفاق يجتمعان في قلب إنسان ، والعمى والكفر يمكن اجتماعهما في شخص كافر ، والحياة والهداية يجتمعان في المؤمن ... والجامع بين المرض والتفاق أن كلا منهما يفسد ما يصاحبه ، فالمرض يفسد الأبدان والتفاق يفسد العقائد ، والجامع بين العمى والكفر أن كلا منهما يوقع صاحبه في المهالك والمخاطر ، وبين الحياة والهداية ما يترتب على كل من القائدة والتفع .

(١) سورة البقرة آية ١٠ .

(٢) سورة فصلت آية ١٧ .

(٣) سورة الأنعام آية ١٢٢ .

ومنها قول الشاعر :

طلبي المكارم بالفعال الأفضل
ولقد سوت بهمتي وسما بها

عشر الزمان بدوى الدهاء الأحوال
لأسال مكرمة الحياة ورمبا

فقد استعار "الحياة" لبقاء الذكر الطيب والأثر الحسن وهم ما متوفقان.

والعاية : ما لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد لتنافيهما ، كما في الآية السابقة : ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأُحْيِنَاهُ﴾ فقد استغير الموت للضلال بجماع ما يترب على كل من عدم الانتفاع ، ولا يمكن اجتماع الموت والضلال في شيء واحد ... ومنها قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾^(١) فقد استغير ﴿الموتى﴾ للكفرة الأحياء لعدم انتفاعهم بصفة الحياة فلم يعتد بها فيهم ... ولا يمكن اجتماع الموتى والأحياء في شيء واحد ... وقول المتني :

فلم أر بدرًا ضاحكًا قبل وجهها
ولم تر قيلى ميتا يتكلم

فقد استعار "الميت" لمن أسلمه الحب وأضنه العشق ، ولا يمكن اجتماع الحب المتي والمت في شيء واحد .

ونلاحظ في الشواهد أن الاستعارة قد بنيت على ترك الاعتداد بوجود الصفة في المشبه لفقدان ثورتها إذ إن الغرض من الاستعارة إلحاق الناقص بالكامل في وجه الشبه ... هذا وقد تبني الاستعارة على تنزيل التضاد الماصل بين الطرفين منزلة التناسب ، لقصد التملح أو التهكم وتسمى عندئذ بالاستعارة العنادية التلميحية أو العنادية التهكمية " . فمن ذلك قوله تعالى : ﴿فَبَشِّرُوهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٢) ، فقد استغير "التبشير" للإنذار بعد تنزيل التضاد الماصل بينهما منزلة التناسب لقصد السخرية والتهكم ، والجامع بين التبشير والإنذار : إحداث المسرة بكل وإن كانت المسرة في البشرة محققة وفي الإنذار متخيلة.

(١) سورة النحل آية ٨٠ .

(٢) سورة آل عمران آية ٢١ .

وقوله عز وجل : **﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾**^(١) ، فقد استعيرت " الهدية " للجر بعنف وقهر بجامع ما يترتب على كل من الخير ، وإن كان تنزيلا في المستعار له ، وقوله تعالى : **﴿هُدُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفِيرُ الْكَرِيمُ﴾**^(٢) أي : الذليل المهان ، فقد استعيرت العزة والكرامة للذلة والمهانة استعارة عنادية تهكمية ، ومنها قوله تعالى : **﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾**^(٣) أي : السفيه الغري ، وقول القطامي : " نقر لهم هذنیات ... " وقول عمر ابن معد يكتب " نحیة بينهم ضرب وجیع " وقولنا : عتابك السيف ، وقد مرت بك هذه الشواهد .

ومن العنادية التلميحة قولنا للبخيل في مقام المزاح والمداعبة : من يجهل أن جودك عم الورى ... فقد استعير " الجود " للبخل ، بجامع الإفاضة بالخير في كل ، وذلك بتتنزيل التضاد الحاصل بينهما منزلة التناصب ، فالإفاضة موجودة في المستعار منه على وجه التحقيق موجودة في المستعار له تنزيلا ...

ومن ذلك قول أبي تمام :

الله أكبر أني استأسد الأسد	أبشت عتبة يعوى كى أشاقه
حتى أرى أحداً يهجوه لأحد	ما كنت أحسب أن الدهر يهلهنى

فقد استعار الأسد للجبان استعارة عنادية تلميحة ، إذ الجامع وهو الشجاعة موجودة في الأسد حقيقة وفي الجبان تنزيلا .

وقول الآخر :

سلیمان میمون القیسیة حازم
ولکنه وقف عليه الهزائم

(١) سورة الصافات آية ٢٣ .

(٢) سورة الدخان آية ٤٩ .

(٣) سورة هود آية ٨٧ .

فقد استعار المزائم للاتصارات استعارة عنادية تلميحية ، إذ مراد الشاعر أن سليمان لا يحزم أمراً ولا يحرز نصراً ولا يتحقق على يديه خير ...

المطلقة والبجردة والمرشحة : وتنقسم الاستعارة باعتبار ذكر الملائم لأحد الطرفين
وعدم ذكره إلى ثلاثة أقسام مطلقة وبجردة ومرشحة ...

فالاستعارة المطلقة : هي التي لم تقترب بما يلائم المستعار له ولا المستعار منه ، أو اقترنت بما يلائمها معا ، كقولنا : طلع البدر من جانب الخدر ، تزيد المرأة الحسنة ، فقد استعير " البدر " هنا ولم يذكر في الجملة ملائم للمستعار له ولا للمستعار منه ، وأما قوله تعالى : **(إِنَّا لَمَا طَغَىَ الْمَأْهُلَنَا كُمْ فِي الْجَارِيَةِ)**^(١) فقد استعير الطغيان للزيادة بمحاجة الخد في كل ، ولا يوجد في الآية ملائم لأحدهما ... ونقول : رأيت بحرا يتكلم ، فاستعير البحر للعلم ولا ملائم لأحدهما في الجملة ، أما " يتكلم " فمعنى الاستعارة وليس ملائما

وَمَا افْتَنَتْ فِيْهِ الْاِسْتِعْرَافَ بِمَا لَمْ يَعْلَمْ لِكُلِّ مِنْهُمَا قَوْلٌ كَثِيرٌ عَزَّةٌ :

رمتی بسهم ریشه الکحل لم یضر

ظواهر جلدی وهو للقلب جارح^(٤)

لدى أسد شاكي السلاح مقدف له لبد أظفاره لم تقلم
للمستعار منه وهو "ريشه" وملائم للمستعار له وهو "الكحول" ... وقول زهير:
فقد استعير "السهم" للنظرية بجماع قوة التأثير ، وقد ذكر فى البيت ملائم

فقد استعير "الأسد" للبطل الشجاع وذكر ملائيم للبطل وهو حمل السلاح، ملائم للأسد وهو "اللبد والأظافر" أما مقدف فإذا أريد به : أنه يقذف به في الحروب

١١) سورة الحافظ آية ١١

(٢) ريشه : الريش ; من قوله : راش السهم إذا أقصى عليه الريش ليكون أحكم في الرماية

لخبرته وتجاربه كان من ملامحات البطل . وإذا أريد به أنه ضخم الجثة مليء باللحام فهو من ملامحات "الأسد" ... ومنه قولنا : "رأيت غيثاً غزيراً يعطى باليمن وباليسار" ، فغزيراً "يلائم" الغيث المستعار منه و "يعطى باليمن وباليسار" يلائم "الرجل الجرواد ، المستعار له" .

والاستعارة المجردة : هي التي اقتربت بما يلائم المستعار له وذلك بعد استيفاء القرينة كما في قول البحري :

يؤدون التحية من بعيد ^(١) إلى قصر من الإيوان باد

حيث استعير "القمر" للإنسان الجميل ثم وصف بما يلائم المستعار له وهو قوله من الإيوان باد "أى" : مظل ، وقد استوفت الاستعارة قريتها قبل هذا الوصف وهي قوله: "يؤدون التحية من بعيد" .

وقول الآخر :

وعد البدر بالزيارة ليسلا فإذا ما وفي قضيب تذوري

استعار "البدر" للمحبوبة ، والقرينة قوله " وعد" ثم ذكر ما يلائم المستعار له من الزيارة والوفاء بها على سبيل التجريد فهي استعارة مجردة ... ومن ذلك قولنا : "هذا عالم يستضاء برأيه في مواجهة المشكلات وحلها" فقد استعير المصباح المضيء للرأي الصائب ثم حذف المستعار منه وهو المصباح ورمز له بلازمة : "يستضاء" على سبيل الاستعارة المكنية ... وقد ذكر في العبارة ما يلائم المستعار له : "الرأي" وهو مواجهة المشكلات وحلها . وكذا قول القائل : "رحم الله امراً أجسم نفسه بإبعادها عن شهواتها" حيث استعير الجرواد للنفس استعارة مكنية والقرينة إضافة الإيجام للنفس ثم ذكر ملامح المستعار له وهو "إبعادها عن شهواتها"

(١) الإيوان : القصر . وباد : ظاهر .

و منها قول كثير :

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكه رقاب المال^(١)

استعار الرداء المعروف بجماع أن كلاً منها يصون صاحبه ، والقرينة ما ذكره من المال وتبسم المدوح عند الجود به ، وقد ذكر في البيت ملائيم المستعار له وهو إضافة " غمر " بمعنى كثير إلى الرداء ... أما إذا جعلت " غمر " بمعنى واسع ، كانت من قبيل الاستعارة المرشحة الآتية ، وذلك أن الكثرة تلائم المعروف والسبة تلائم الرداء

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿فَإِذَا هُنَّا لِبَاسٌ الجُوعُ وَالْحُقُوفُ﴾^(٢) حيث استعير "اللباس" للأحداث وال المصائب التي حلّت بأهـل القرية ، أو لما علا وجـوهـهم وأجـسادـهم من صـفـرةـ وهـزاـلـ ... وقد ذـكـرـ فـيـ الآـيـةـ "الإـذـاقـةـ"ـ بـعـنىـ "الـإـصـابـةـ"ـ وهـىـ من مـلـامـاتـ المـسـتعـارـ لهـ ، فـالـإـذـاقـةـ بـعـنىـ الـإـصـابـةـ تـلـائـمـ الـأـحـدـاثـ وـالـمـصـابـ وـماـ عـلاـ الـرـوجـوهـ من صـفـرةـ، وـلـاـ تـلـائـمـ الـلـبـاسـ ...ـ وـالـسـرـ الـبـلـاغـىـ الـكـامـنـ وـرـاءـ بـحـىـ الـآـيـةـ عـلـىـ التـجـرـيدـ هوـ أـنـ المـقـامـ اـقـتضـىـ التـعبـيرـ عـنـ أـمـرـيـنـ وـهـماـ :ـ شـدـةـ الـإـصـابـةـ ،ـ وـشـبـوـهـاـ وـإـحـاطـتهاـ بـهـمـ ،ـ فـهـؤـلـاءـ الـقـوـمـ كـانـواـ آـمـنـينـ مـطـمـئـنـينـ يـأـتـيـهـمـ الرـزـقـ رـغـداـ مـنـ كـلـ مـكـانـ فـكـفـرـوـ بـأـنـعـمـ اللـهـ فـاستـحـقـرـاـ إـحـاطـةـ الـعـقـابـ الشـدـيدـ بـهـمـ ،ـ وـلـوـ قـيلـ :ـ فـأـذـاقـهـاـ اللـهـ طـعـمـ الـجـوعـ ...ـ أوـ فـكـسـاهـاـ اللـهـ لـبـاسـ الـجـوعـ ،ـ لـيـكـونـ تـرـشـيـحاـ ،ـ لـأـفـادـ الـأـوـلـ الشـدـةـ دـوـنـ الشـمـولـ وـلـأـفـادـ الثـانـيـ الشـمـولـ دـوـنـ الشـدـةـ ،ـ فـأـثـرـ النـظـمـ الـكـرـيمـ التـعبـيرـ بـالـإـذـاقـةـ وـالـلـبـاسـ لـإـفـادـ الـأـمـرـيـنـ مـعـاـ ،ـ شـدـةـ الـإـصـابـةـ وـالـإـحـاطـةـ وـالـشـمـولـ ...ـ

والاستعارة المرشحة : هي ما قرنت بما يلائم المستعار منه بعد استيفاء

القرينة كما في قوله تعالى : «أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحتْ

(١) غمر : مأخوذ من قولهم غمر الماء إذا كثر ، وثوب غامر أي واسع ، وغلقت : تمكنت من أيدي السائلين ، يقال : غلق الرهن في يد المربحين إذا لم يقدر الراهن على فكه وفي " رقاب المال " استعارة مكتنة

٢) سورة النحل، آية ١٢٢.

تجارتهم^(١) حيث استعير الشراء للاختيار والاستبدال ، ثم ذكر الربح والتجارة وهما يلائمان المستعار منه ، وذلك مما يقوى الاستعارة ويتحقق المبالغة في التصوير والتخييل ودعوى دخول المستعار له في جنس المستعار منه وكأن الكلام على الحقيقة ، وهذا سميت بالاستعارة المرشحة إذ التشريح معناه في اللغة التقوية ... ومنها قول المتنبي :

رميهم ببحر من حديد له في البر خلفهم عباب^(٢)
استعير " البحر " للجيش القوى ، والقرينة قوله : " من حديد " . أما قوله : " رميهم " فلا تصح قرينة لأنه قد يرميهم ببحر من الكرم ، ثم ذكر ما يلائم المستعار منه وهو " العباب والبر " فتحيل للسامع أن المراد هو البحر حقيقة ...

وقول الشاعر :

إذا ما الدهر جر على أناس كلاكله أناخ باخرين^(٣)
استعار الجمل للدهر استعارة مكنية ، وتم استيفاء قريتها بإضافة لازم المستعار منه " الجر والكلاكل " إلى المستعار له " الدهر " ثم ذكر جملة " أناخ باخرين " وهي من ملائمات المستعار منه ...
ومنها قول الآخر :

رويدك يا أخي عمرو بن بكر يسازعنى ردائى عبد عمرو
ودونك فاعتجر منه بشطر^(٤) لي الشطر الذى ملكت يمينى

(١) سورة البقرة الآية ١٦.

(٢) عباب : العباب : كثرة الماء والمطر الكثير . وubar السيل معظمها وارتفاعه وكثافته ، وقيل عبابه موجه .

(٣) الكلاكل : جمع كلكل وهو الصدر ، وأناخ : أبرك ، يقال : أناخ الإبل وتتوخها أي : أبركها ، واستنادت الإبل : بركت ...

(٤) رويد : مصدر يعني تمهل ، واعتجر : من الاعتخار وهو الاعتمام ، يقال : اعتخرت المرأة أي لبست العحر وهو ثوب تشده على رأسها ، والمراد بالشطر الذي ملكت يمينه : قائم السيف ، وبالشطر الآخر : صدره ، أي : سيضر به على رأسه بصدر سيفه ..

استعار الرداء للسيف بجماعع أن كلاً منها يصون صاحبه وتم استيفاء القرينة بقوله : " لى الشطر الذى ملكت يميني " ؛ لأن ما يكون باليمين هو السيف الذى يحارب به لا الرداء ... ثم ذكر الاعتخار وهو ما يلائم المستعار منه " الرداء " .

وإذا عرفنا أن الاستعارة مبنية على تناسى التشبيه وادعاء دحول المشبه فى جنس المشبه به ، ووضح لنا أن الترشيح أبلغ من التجريد ومن الإطلاق ، لأن التناسى فيه أقوى وأتم ، ودعوى الاتخاد فيه أظهر وأوضح ، فقد صار المشبه نفس المشبه به ، وصرنا نصفه بأوصافه وتتبعه بملائمه ... فعندما يقول أبو تمام :

ل بـأـنـ لـهـ حـاجـةـ فـىـ السـمـاءـ
وـيـصـعـدـ حـتـىـ يـظـنـ الـجـهـوـ

تراه قد أمعن في تناسى المشبه ، إذ جعل الصعود المعنوى والارتفاع إلى مراتب المجد ، صعوردا حسيا ، وبالغ في ذلك بذكر ما يلائم المشبه به ، فجعل الجاهم الذى لا يعرف هم المدوح يظن أن له حاجة في السماء فهو يصعد لينال تلك الحاجة ... وعليه قول بشار :

أنتـىـ الشـمـسـ زـائـرـةـ
وـلـمـ تـكـ تـبـرـحـ الـفـلـكـ

حيث استعيرت الشمس للمجربة ثم أمعن في تناسى التشبيه وادعى أنها غادرت مكانها في السماء وأقبلت إليه زائرة ولم تك قبل ذلك تبرح الفلك ، فبني الكلام على أنها شمس حقيقة .

وـهـذـاـ صـحـ التـعـجـبـ قولـ قـولـ المـتـبـيـ :
كـبـرـتـ حـوـلـ دـيـارـهـ لـمـ اـبـدـ
مـنـهـاـ الشـمـوسـ وـلـيـسـ فـيـهاـ المـشـرقـ

وـقـرـلـهـ أـيـضـاـ :
فـلـمـ رـآـنـىـ مـقـبـلـاـ هـزـ لـفـسـهـ
إـلـىـ حـسـامـ كـلـ صـفـحـ لـهـ حـدـ
وـلـمـ أـرـ قـبـلـىـ مـنـ مـشـىـ الـبـدـرـ نـخـوـهـ
وـلـاـ رـجـلاـ قـامـتـ تـعـالـقـهـ الأـسـدـ

فقد استعار الشمس والبدر والأسد لمدحه . ثم بنى كلامه على تناصي التشبيه وأمعن في التناصي فجعل المدحدين بدوراً وشمساً وأسداً على الحقيقة وهذا ساغ التعجب .

واسع التعجب أيضاً في قول ابن العميد :
قامت تظللني ومن عجب شمس تظللنى

والنهى عنه فى قول ابن طباطبا :
لا تعجبوا من بلى غلالته
قد رز أزراره على القمر

فلولا بناء الكلام على المبالغة والإمعان في تناسي التشبيه وادعاء أنها شمس وقمر على الحقيقة لما ساغ التعجب في الأول والنهي عنه في الثاني .

هذا وكما يقع الترشيح في الاستعارة فيؤدي إلى المبالغة والإمعان في تناصي التشبيه ، فقد يقع أيضاً في التشبيه كما في قول ابن الأحنتف :
هي الشمس مسكنها في السماء فعز الفرؤاد عزاء جبلا
فلن تستطيع إليها الصعود ولسن تستطيع إليك التزو لا

شبـه مـحبـوـتـه بـالـشـمـسـ ثـم رـشـحـ التـشـيـبـهـ بـأـن جـعـلـ مـسـكـنـهـ فـيـ السـمـاءـ .

أبي أحمد الغيشن صعصعة الذي مت، تخلف الجوزاء والدلالة^(١)

شبه جده " صعصعة " بالغيث تشبيها ضمنيا بل فضل جده على الغيث ثم رشح التشبيه بقوله : " يمطر " فهو ملائم للمتشبه به .

(١) أحمد الغيثين : أحدهما بالحمد ، والمراد بالغيثين : أبوه والغيثي الحقيقي والجوزاء والدلو : برجان في السماء يكثُر فيها المطر .

وقول عدى بن الرقاع يصف حمارين وحشين :

يتعاران من الغبار ملائة بيضاء محكمة هما نسجها
تطوى إذا وردا مكانا مخزنا وإذا السنابك أسهلت نشرها^(١)

شبه الغيار المثار بالملائة ثم رشح التشبيه بذكر النسج والطى والنشر .

الاستعارة العامية المبتذلة والخاصية الغريبة : الاستعارة العامية المبتذلة هي ما

قرب فيها الجامع واتضح بحيث يدركه العامة ، كاستعارة " الأسد " للرجل الشجاع ، والبحر للكريم الجود والبدر للحسناء ... ولووضوح الجامع وقربه في الاستعارة المبتذلة لا يهتم بها البلاغ ، ولا تستحسن إلا في مقام الإرشاد والوعظ وتقرير المسائل العلمية ومخاطبة العامة .

أما الاستعارة الخاصة الغريبة: فهي ما بعد فيها الجامع ودق واحتاج في إدراكه والوقوف عليه إلى كثرة تفكير وإطالة نظر ودقة ملاحظة ... وترجع غرابة الاستعارة إلى أحد العوامل الآتية :

أولاً : كون الجامع بين المستعار له والمستعار منه أمرا عقليا كإزالته الحجاب في استعارة النور للحجۃ الواضحة والرأى الصائب في نحو قولنا : " هذا عالم يستضاء برأية وتنير حجته " .

ثانياً : أن يشتمل الجامع على شيء من التفصيل والتركيب .

ثالثاً : أن يكون المشبه به نادر الحضور في الذهن عند حضور المشبه ، ويتبين لنا ذلك في الشواهد الآتية :

يقول طفيف الغنوبي :

يجعلت كوري فوق ناجية يقتات شحم سهامها الرحل^(٢)

(١) يتعاران : يتناوبان ، تطوى : تزول ، والمكان المخزن : الذي تغليظ أرضه فلا يثار غبار ، والسنابك : أطراف الحوافر ، وأسهلها : وردا المكان السهل .

(٢) الكوري : رحل البعير ، والناجية : الناقة السريعة القوية .

استعارة الاقتباس وهو تناول الطعام بالفم لإذهاب الرحل شحم السنام وذلك لكثره احتكاكه به ، والجامع بينهما : إزالة الأثر إزالة تدريجية مع طول الرقت ، وهذا محقق في الاقتباس وفي إذهاب الرحل شحم السنام ... ومرجع الغرابة إلى التفصيل في الجامع حيث لم ينظر إلى مجرد الإزالة ، بل إلى حصولها بالتدرج شيئاً فشيئاً ، وما يحسن الاستعارة في البيت أن الشحم نفسه مما يقتات فالسامع يتخيّل أن الاقتباس حقيقة ، فإذا ما انتهى إلى آخر البيت "الرحل" وضع له المجاز ويرز له الشيء من حيث لم يتوقعه .

ومن ذلك قول ابن المعتر :

حتى إذا ما عرف الصيد الضار وأذن الصبح لنا بالإبصار^(١)

استعارة "الاذن" للتمكن من الرؤية بعد العجز عنها ... ومرجع الغرابة إلى ما في الجامع وهو "القدرة على فعل الشيء بعد زوال المانع من فعله" من تفصيل لا يدرك إلا بعد إدراك أن الليل كان مانعاً من الرؤية ، بالإضافة إلى أن هذا الجامع أمر عقلي ، والعقليات المركبة دقيقة الإدراك بالنسبة إلى المحسوسات .

وقول الآخر يصف رقة النسيم :

عرض تنورة لطريح فيها نسيم لا يروع في الزواب^(٢)

استعارة الترويع. يعني الإفلاع والإخافة لإثارة الريح الزواب بجماع الحركة الهوجاء في كل ... ومرجع الغرابة في البيت إلى كون المستعار له بعيد الحضور في الذهن عند ذكر المستعار منه . فضارب الجمجم بينهما غريباً دقيقاً .

وقول ابن المعتر :

(١) الضار : تخفيف الضار وهو الذي اعتاد الصيد ، والصيد مفهوم مقدم والضار فاعل مؤخر ، وللمعنى أنه عرف ما يصيده للنهاب الظلام ويرى : "انصار" في مكان : "الضار" أي : انضم وجمع قواه للانتصاف ، يصف بذلك بازى الصيد .

(٢) التنورة : الصحراء أو الأرض الواسعة وعرضها : جانبها .

يناجيني الإخلاف من تحت مظلته فتختصم الآمال واليأس في صدرى^(١)

استعار المناجاة للخطور في الذهن بجماع خفاء الدلالة في كل وهو جامع عقلى
لذا كانت الاستعارة غريبة ... ثم استعار الاختصاص حلول الأمل في صدره مرة ثم اليأس
مرة أخرى ، كأنهما يتنازعان ، بجماع مطلق التدافع بين شيئين متعارضين .. ولنا أن نجعل
الاستعارات في البيت من قبيل الاستعارة بالكتابية وذلك بتشبيه الإخلاف بـإنسان يتحدث
من خلف ستار ، والأمل واليأس بـمختصمين يتنازعان مكانا للإقامة فيه ، وهذا أجمل
وأكثـر إبرازا للخيال الذي يريدـه الشاعـر ...

ومنه قول الآخر يصف فرسا :

عودته فيما أزور حبائـي

إهمالـه وكـذاك كـل خـاطـر

واذـا احـتبـى قـربـوسـه بـعنـانـه

علـكـ الشـكـيمـ إلى اـنـصـرافـ الزـائـرـ^(٢)

استعار الاحتباء وهو ضم الرجل ركبته وجمعه ظهره وساقيه بثوب لضم اللجام
مقدم السرج إلى فم الفرس والجامع هو الهيئة المركبة من انضمام شيئين بواسطة شيء آخر
... وترجع غرابة الاستعارة إلى ما في هذا الجامع من التفصيل فضلا عن كون المشبه به
نادر الحضور في الذهن عند حضور المشبه لبعاداهيـتين ، هـيـةـ الفـرسـ وهـيـةـ الـإـنـسـانـ
الجالـسـ مـخـتـبـياـ .

(١) الإخـلـافـ : عـدـمـ الـوقـاءـ ، والمـطـلـ : التـأـعـيرـ فـي إـجـاهـةـ المـطلـوبـ .

(٢) القرـبـوسـ : السـرـجـ أو مـقـدـمـتـهـ ، والـعـنـانـ ، سـيـرـ اللـجـامـ . وـعلـكـ : مـضـعـ ، الشـكـيمـ الـحـدـيدـةـ الـعـرـضـةـ فـيـ فـمـ الفـرسـ .

تحول الاستعارة المبتذلة إلى غريبة : قد يتصرف المتكلم في الاستعارة المبتذلة تصرفا يحولها من الابتذال إلى الغرابة ، وذلك بأن يتضمن الكلام الذي وردت فيه مجازاً آخر ، أو تتعدد الاستعارات ، أو يتعلق بها أمر يزيد من المبالغة التي أفادتها أو يترخي في بناء الجمل وتنظم الكلام ما يؤدي إلى دقة التصوير وإبراز الخيال .

انظر إلى قول كثير :

ومسح بالأركان من هو ماسح
وشتت إلى دهم المهارى رحالنا
فلم ينظر الغادى الذى هو رانح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا
وسالت بأعناق المطى الأباطح^(١)

تجدر أن قد استعار السيلان للسير اللين السهل في قوله : " وسالت " وهي استعارة مبتذلة قرية المأخذ ، ولكنها أزالت ابتدأها بالجمع بينها وبين المجاز العقلى في إسناد السيلان إلى الأباطح ليفيد امتلاعها بالركبان حتى كأنها هي التي تسير ، ثم بإدخال حرف الجر " الباء " على الأعناق ليدل على شدة السير وسرعته فإن مظهر السرعة في الإبل حركة أعناقها وبهذا تحولت الاستعارة من عامة مبتذلة إلى خاصية غريبة .

ونحوه قول ابن المعتر :

سالت عليه شعاب الحى حين دعا
أنصاره بوجوده كالدانير^(٢)

حيث استعار " السيلان " لسرعة سير القوم إلى المدروج حين دعاهم وهي استعارة مبتذلة ، أزال الشاعر ابتدأها بأمر ثلاثة :

أو ظما : المجاز العقلى وهو إسناد السيلان إلى الشعاب ليدل على امتلائها بهم .

(١) الأباطح : جمع بطحاء وهي الصحراء .

(٢) الشعاب : جمع شعب وهو الطريق في الجبل والناحية ، والمعنى : القوم .

ثانيها : تعليق الجار والمحور " عليه " بالفعل " سال " ليدل على شدة طاعتهم له، فسيرهم كان عليه ومن أجله .

ثالثها : تشبيه وجوههم بالدناير في الإشراق والبهجة ليدل على حبهم لهم ورغبتهم في نصره وإحابته ، وبهذا تحولت الاستعارة في البيت من الابتداء إلى الغرابة .

وقول الآخر :

فرعاء إن نهضت حاجتها ^(١) عجل القضيب وأبطأ الدعص

استعار " القضيب " للقامة ، و " الدعص " للردف وهما استعاراتان ميتذاشان ، وقد أزال الشاعر ابتداهما بتلك الأمور :

أولاً : وصف القضيب بالعجلة والدعص بالإبطاء إذ أكد الوصفان رشاقة القامة وعظم الردف .

ثانياً : إسناد عجل إلى القضيب وأبطأ إلى الدعص ، أديا إلى المبالغة في رشاقة قامتها وضخامة عجزها .

ثالثاً : الطلاق بين " عجل " و " أبطأ " أبرز حسن القامة والردف فالضد يظهر حسنه الضد .

رابعاً : تعدد الاستعارة .

ومن ذلك قول أمير القيس :

فقلت له لما نطق بصلبه وأردف أعجازا وناء بكلكل ^(٢)

فقد استعار " الصلب " لوسط الليل وجعله يمتطي ليزداد طوله ، واستعار " الصدر " لأوله وجعله ثقيلا يقعده عن الحركة ، واستعار الأعجاز لآخره ، وجعلها

(١) الفرعاء : الطويلة ، والقضيب : الغصن . والدعص : كليب الرمل المجتمع .

(٢) نطق : تعدد ، والصلب : عظم الظهر ، والأعجاز : جمع عجز وهو مؤخر الشئ .

تزادف وتتوالى ليدل على طول الليل وامتداده .. فكل استعارة من هذه الاستعارات الثلاث إذا انفردت صارت عامية مبتذلة ، ولكن اجتماعها حقق غرض الشاعر وهو إبراز طول ليله ورسم صورة متكاملة بين ليله وبين الفرس ، ولذا صارت الاستعارات في البيت غريبة بعيدة .

* * *

هذا والاستعارة تجري في الكلام على التحو الآتي :

١- استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسى ، كقوله تعالى : ﴿فَاخْرَجَ لَهُمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُوازٌ﴾^(١) ، حيث استعير لفظ " العجل " من الحيوان المخصوص ، للصنم الذى صنعه السامری من الذهب بجامع الشكل والصوت ، فالمستعار له والمستعار منه ووجه الشبه من المحسوسات وقوله عز وجل : ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِلُونَ مُمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾^(٢) ، فقد استعير المرج وهو حركة ماء البحر واضطرابه لحركة الخالائق المجتمعية يوم البعث بجامع ما في كل من اضطراب وحركة مشاهدة .. وقوله تعالى : ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾^(٣) حيث استعير شواطئ النار للشيب بجامع البياض والإنارة ، ثم حذف المستعار منه ورمز له بلازم من لوازمه وهو " الاشتعال " على طريقة الاستعارة المكتنية.

أو بوجه عقلى ، كما فى الآية السابقة إذا جعلت الاستعارة تبعية فى لفظ "اشتعل" حيث استعير الاشتعال لانتشار الشيب فى الشعر بجامع سرعة الانتشار مع تعذر التلافى ، فالظرفان حسيان والجامع عقلى ، وكما فى قوله تعالى : ﴿وَآيَةً لَهُمُ الَّذِينَ نَسْلَحُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلَمُونَ﴾^(٤) ، استعير السلاح وهو : " إزالة جلد الحيوان بعد ذبحه ليظهر اللحم ، لإزالة ضوء النهار حتى يظهر الليل ويحمل الضلام ، بجامع مطلق ترتيب

(١) سورة طه آية ٨٨.

(٢) سورة الكهف آية ٩٩.

(٣) سورة مريم آية ٤.

(٤) سورة يس آية ٣٧.

أمر على أمر ، فالطرفان حسيان والجامع بينهما عقلى ... وقوله تعالى : ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾^(١) ، استعيرت المرأة العقيم " التي لا تلد " للريح التي لا تمطر بجامع عدم ظهور الأثر في كل ، ثم حذف المستعار منه ورمز له بلازم من لوازمه وهو " العقيم " على سبيل الاستعارة المكنية . فالطرفان حسيان والجامع عقلى ... ويجوز اعتبار الاستعارة تبعية بتتشبيه ما في الريح من عدم تلقيح السحاب كي يمطر بالحالة التي في المرأة المانعة من الإنجاب وهي العقم ، ثم استعير " العقم " للحالة التي في الريح واشتق منه " عقيم " بمعنى لا يتحقق أثرا .. وعندئذ يكون كل من الطرفين والجامع عقليا .

- ٢ - استعارة محسوس لمحسوس ، ولا يكون الجامع إلا عقليا ، كقوله تعالى : ﴿فَاصْدُعْ بِمَا تُؤْمِنُ وَأَغْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢) ، فالآلية خطاب للنبي - صلى الله عليه وسلم بأن يبلغ الأمانة ويوضح أمر الدين وضوها تماما لا يعود معه إلى خفاء كما لا يلتهم الزجاج بعد كسر ... فقد استعير الصدع الحسى وهو كسر الزجاج ، للتبلیغ الذي لا ينمحى أثره وهو عقلی ، بجامع قوة التأثير في كل ، ثم اشتق منه " واصدع " بمعنى بلغ تبليغا يبقى أثره ... وقوله عز وجل : ﴿ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلْلَةُ أَئِنَّ مَا تُفْقُدُوا﴾^(٣) ، فالآلية تتحدث عن اليهود ، والضرب في اللغة يستعمل للإلصاق وللإحاطة ، يقال ضرب الطين على الحائط أى : أصقه بها ، وضرب الخيمة أى : أقامها لتحوط بهم ... وعلى ذلك فقد استعير الضرب في الآية من إحاطة القبة أو الخيمة ، أو من لصرق الطين بالحائط ولزومه له لإحاطة الذلة بهم أو للصوقها ولزومها لهم ، واشتق من الضرب ضرب بمعنى أحاط أو لزم ، فالمستعار له في الآية عقلی ، والمستعار منه حسى . وقوله تعالى : ﴿وَرَأَزَلُّوا حَتَّى يَقُولُ الرَّسُولُ﴾^(٤) ، استعيرت الزلزلة وهي التحرير بشدة وعنف لشدة ما أصابهم من الألم والمشاق .. وقوله عز

(١) سورة الذاريات آية ٤١.

(٢) سورة الحجر آية ٩٤.

(٣) سورة آل عمران آية ١١٢.

(٤) سورة البقرة آية ٢١٤.

وحل : ﴿فَنَبِذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِم﴾^(١) استعير النبذ وهو الإلقاء والقذف باليد ، للتناسى والإهمال.

٣- استعارة معقول لمعقول ولا يكون الجامع إلا عقليا ، كقوله تعالى :

﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقُدِنَا﴾^(٢) استعير الرقاد للموت بجامع عدم ظهور الأفعال التي يعتد بها في كل ، والرقاد والموت وعدم الظهور من المعانى العقلية .

٤- استعارة معقول لمحسوس ... ولا يكون الجامع إلا عقليا ، كقوله عز وجل :

﴿إِنَّا لَمَا طَغَىَ الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾^(٣) ، استعير الطغيان وهو التعالي والتكبر ، لزيادة الماء وارتفاعه بجامع تجاوز الحد في كل ، واشتق منه الفعل " طغى " بمعنى زاد وارتفع على سبيل الاستعارة التبعية ... فالمستعار منه " الطغيان " أمر عقلي ... والمستعار له " الزيادة والارتفاع . أمر حسى والجامع كما ترى من الأمور العقلية ...

قرائن الاستعارة : لابد للاستعارة ، ولكل مجاز من وجوه قرينة تمنع إرادة المعنى الأصلى الذى وضع له اللفظ ، فالقرينة هي ما ينصبه المتكلم دليلا على أنه أراد باللفظ غير معناه الوضعي ، وهو إما لفظية ، كقولنا : رأيت بحراً يصدق وأسدًا يخطب وقمراً يتكلم ، فالآلفاظ " يتصدق " ويخطب ويتكلم " دلت على أن المراد بالبحر والأسد والقمر غير معانيها الأصلية . وإما غير لفظية كدلالة الحال في قولنا : " رأيت بحراً " والمخاطب يرى رجلاً كريماً مثلك ، فقد دلت الحال على إرادة الرجل الكريم ومنعت إرادة المعنى الأصلى للفظ " البحر " وكدلالة الاستحالة كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّا لَمَا طَغَىَ الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾^(٤) ، فقد استعير " الطغيان " لزيادة وارتفاع الماء ، والقرينة استحالة صدور الطغيان بمعناه الأصلى من الماء .

(١) سورة آل عمران آية ١٨٧ .

(٢) سورة يس آية ٥٢ .

(٣) سورة الحاقة آية ١١ .

(٤) سورة الحاقة آية ١١ .

هذا ويقرر البلاطغون أن القرينة في الاستعارة التصريحية شيء له علاقة بالمشبه وفي المكنية شيء له علاقة بالمشبه به ، وتأتي القرينة في الاستعارة التصريحية الأصلية على وجوهها أهمها :

- ١ - أن تكون معنى واحداً لا تعدد فيه وهذا هو الأكثر كقولنا : رأيت أسدان يقاتل وظبية تغنى وبمراً يتفق .
- ٢ - أن تكون أكثر من معنى ، وكل واحد كاف في الدلالة على الاستعارة كما في قول الشاعر :

فَيَانِ تَعَاوْفُ الْعَدْلِ وَالإِيمَانِ

فقد استعيرت النيران للسيوف ، والقرينة تعلق الفعل "تعارفاً" بكل من العدل والإيمان ، ويكتفى في الدلالة على عدم إرادة النيران تعلقه بأحد هما ، فالاستعارة لا تتوقف على الأمرين مجتمعين ولكن المعنى الذي يريد الشاعر يتوقف عليهم معاً ، فمراده أن يقول : إما أن تدفعوا الجزية وهي عدل وإما أن تومنوا بالله ورسوله فإن كرهتم العدل والإيمان حاربناكم فإن في أيدينا سيفاً تبرق كالنيران ، وبعض البلاطغون يمنع تعدد القرينة ويرى أنها لا تكون إلا معنى واحداً وما عدا ذلك يكون تجريداً أو ترشি�حاً على نحو ما رأيت في الاستعارة المجردة والاستعارة المرشحة .

- ٣ - أن تكون القرينة عدة معانٍ ملتحمة مرتبطة لا يصلح واحد منها بانفراده أن يكون قرينة ، كما في قول البحترى :

وَصَاعِقَةٌ مِّنْ نَصْلِهِ تَكْفِيْ بِهَا عَلَى أَرْؤُسِ الْأَقْرَانِ خَمْسَ سَحَابَ

فقد استعيرت "السحاب" لأصابع المدوح بجامع الجود والعطاء ، والقرينة ما ذكره من وجود صاعقة ناشئة من نصل سيده ، تنقلب على رءوس أقرانه وأن الذي يقلبها عدده خمسة ، وهي أصابع يده وهذه الأمور مجتمعة هي القرينة ولا يكتفى واحد منها ليكون قرينة مستقلة .

كما تأتي القراءة في الاستعارة التبعية على وجوهه :

أولها : أن يكون إسناد الفعل إلى الفاعل لا يأتي على الحقيقة ، كقولهم نطقت الحال بكلنا ، وكلمتني عيناه ، وأخيرتي : أساير وجهه ، فالنطق لا يأتي من الحال ، وكذا التكليم والإخبار لا يأتيان من العينين والأسارير فدل ذلك على استعارة النطق والتكليم والإخبار للدلالة الواضحة .

ثانيها : ألا يأتي إسناد الفعل إلى نائب الفاعل على الحقيقة ، كقوله تعالى : **﴿هُصِرِبَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلَلُ﴾**^(١) ، فالضرب يعني نصب الشيء أو الصك بالطين لا يأتي من الذلة فدل ذلك على استعارة الضرب للإحاطة أو الملازمة .

ثالثها : ألا يأتي تعلق الفعل بمعنىه على الحقيقة ، كقول ابن المعتز :

جمع الحق لنا فى إمام قتل البخل وأحيا السماحة

"قتل وأحيا" لا يأتي تعلقاً بالبخال أو السماحة ، وهذا دليل على استعارة القتل للإزالة والإحياء للإذاعة والنشر ... وكتابه كعب بن زهير :

صَبَخْنَا الْخَرْجِيَّةَ مَرْهَفَاتِ أَبَادَ ذُوِّي أَرْوَمَتَهَا ذُووْهَا^(٢)

استعار التصريح بالتحية للطعن بالسيوف المرهفة بعد تنزيل الطعن منزلة التحية على طريقة الاستعارة التهكمية ، والقراءة أن الفعل "صبح" لا يأتي تعلقاً بالمفعول الثاني "مرهفات" على الحقيقة ، ومثله قول القطامي السابق :

نَقْرِيهِمْ هَذِمِيَّابْ نَقْدُهَا ما كَانَ خَاطِعَهُمْ كُلَّ زَرَاد

رابعها : ألا يأتي تعلق الفعل بكل من مفعوليه على الحقيقة كقول الحريري :

(١) سورة آل عمران آية ١١٢ .

(٢) الخزرجية : الخرّاج من الأنصار ، ومرهفات : السيوف المرهفة أى المرققة ، والأرومة : الأصل ، والضمير المضاف إليه يعود إلى الخزرجية ، والضمير في "ذووها" يعود إلى مرهفات .

وأقرى المسامع إما نطق
بياناً يقود الخرون الشمومسا^(١)

استعارة القرى للإلقاء على المسابع بياناً مؤثراً ساحراً والقرينة أن الفعل "أقرى" لا يتأتى تعلقه بالسماع والبيان على الحقيقة ، وهذه الاستعارة توحى بعذب حديثه وحلاؤه منطقه وفصاحة كلامه فهو يغذى المسابع كما يقرى الطعام.

خامسهاً : ألا يتأتى تعلق الحار والمحرر بالفعل على الحقيقة ، كما في قوله تعالى : **فَبَشِّرُهُمْ بِعِذَابٍ أَلِيمٍ**^(٢) ، فالحار والمحرر " بعذاب " لا يتأتى تعلقه بالفعل " بشر " على الحقيقة فدل ذلك على استعارة التبشير للإنذار بعد تنزيل التضاد بينهما منزلة التناسب على سبيل الاستعارة التبعية التهكمية .

سادسها : امتناع تعلق الفعل بكل ما تقدم على الحقيقة كما في قول الشاعر :

تقریب ریاضی الحزن مزهّرہ

إذا سرى النوم في الأجهان إيقاظاً^(٣)

استعارة الإقراء لفعل الرياح وتأثيرها على الرياض فتفتح أزهارها والقريبة أن الفعل " تقرى " لا يتأتى إسناده إلى الرياح ولا يتأتى تعلقه بالرياض ولا بالإيقاظ .. وفي هذه الاستعارة إيحاء بحسن الرياح ورقتها وجمال أثرها في الرياض ، ففعلاها إقراء للرياض وإطعام

وأما القرينة في الاستعارة المكية فهي إثبات لازم المشبه به للم المشبه وهو ما يسمى بالاستعارة التخييلية ، ففي قوله عز وجل : «**وَأَشْتَعِلُ الرَّأْسُ شَيْئًا**»^(٤) مشبه الشيب

(١) أقرى : مأتعوذ من القرى وهو طعام الصيف ، والحررون والشجوس : بمعنى واحد وهو الذي لا ينقدر لك .

٣٤ آية التويبة سورة .

(٣) **الحزن : الأرض الغليظة ، وإيقاظها** : مفعول ثان للتقرى وهي استعارة تصير بمحنة لفتح الأزهار .

٤) سورة مریم آیة ٤.

بشرط النار ثم حذف المشبه به ورمز له بلازم من لرازمه وهو "اشتعل" ، والقرينة هي إثبات اشتعل للشيب "المشبه" وهذا الإثبات يسمى استعارة تخيلية ... وفي قوله : "نطقت الحال" شبيه الحال بسان وحذف المشبه به ورمز له بلازم "نطق" والقرينة إثبات هذا اللازم للمشبه "الحال" وقول أبي ذرٍي :

وإذا المنية أنشبت أظفارها الفيت كل قيمـة لا تنفع

فقد شبيه المنية بالسبع بجامع الاغتيال في كل وحذف المشبه به ورمز له بلازم وهو "الأظفار" . والقرينة هي إثبات "الأظفار" للمنية وينسى هذا الإثبات استعارة تخيلية .

* * *

المجاز المركب

المجاز المركب هو التركيب المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة بين المعنى الموضوع له التركيب و المعنى المستعمل فيه ، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي . فإذا كانت العلاقة المشابهة ، سمي المجاز استعارة تمثيلية ، وإن كانت غير المشابهة سمي بمحازاً مركباً مرسلأ .. والمراد بالوضع هنا ما تعرف على فهمه من التركيب .

ويتبين من هذا أن المعنين في المجاز المركب وهما المعنى الأصلي الذي دل عليه التركيب دلالة حقيقة ، والمعنى المجازي الذي استعمل فيه وأريد منه ، كلامهما يكون هيئة متزعة من أمرین أو من أمرور عدة ، وهذا هو الفرق بينه وبين المجاز المفرد ؛ إذا المجاز المفرد يكون في الكلمة المفردة ، فمعنياه الأصلي والمجازي مفردان ، كما أن اللفظ الذي تجوز فيه مفرد .

الاستعارة التمثيلية : هي اللفظ المركب المستعمل في غير ما وضع له لعامة المشابهة مع قرينة مانعة . كقولك للرجل يتشدد في الأمر الصغير ، ويتسامح في الأمر الخطير : " أراك تنفق الدينار وتحرص على الدرهم " ، شبّهت حاله في تمسكه بصغرائير الأمور وتسامحه في جسامها بحال من يحدد الدينار ويحرض على الدرهم بجماع أن كلاماً منها يتزكى ما ينفع إلى ما هو قليل النفع ، ثم استعيير التركيب الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية ، والقرينة حالية تفهم من سياق الكلام ... ومن ذلك قوله لمن يتزدد في الأمر : " مالى أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى " شبّهت صورة المتزدد في الأمر بصورة تردد من قام ليذهب في أمر ، فهو تارة يريد الذهاب فيقدم رجلاً ، وتارة لا يريد فيحجم ويتأنّر ، ثم استعيير التركيب الدال على المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية التمثيلية ... والاستعارة التمثيلية كثيرة الاستعمال في كلام العرب لثره وشعره ، وفي القرآن الكريم ، وفي الحديث الشريف ... فمن ذلك قوله للرجل يبذل جهده في عمل لا يشر شيناً ، " أراك تنفح في رماد ... وتضرب في حديد

بارد ... وتحنط على الماء " . مثلوا حاله بحال من ينفع في الرماد ، " فلا يخرج ناراً ، ومن يضرب في حديد بارد فلا يتشكل بالشكل الذي يريد ، ومن ينخنط على الماء فلا يترك أثراً ... ومنها قولهم للرجل يحتال على صاحبه حتى يصرفه عن الأمر الذي يتمسك به " ما زال يقتل له في الذروة والغارب حتى لان .. وما زال ينزع القراد من البعير حتى سكن "(١) ، مثلوا حاله مع صاحبه بحال من يحتال على البعير الهائج بحلك شعر سنامه وما يليه إلى العنق حتى يهدأ ... وبحال من ظل ينزع القراد من البعير حتى سكن ... ومنها قولهم لمن يقدم النصح للذى لا يفهمه أو للذى لا يعمل به : " لا تنشر الدر أمام الخنازير " ... مثلوا حاله بحال من يضع الدر أمام الخنازير بجماع أن كليهما لا ينتفع بالشئ النفيس الذى ألقى إليه .. ومنها قول المتبنى يمثل حال من عابروا شعره لأنهم لم يرزقوا الذوق السليم لفهم الشعر الرائع والنظم العجيب .

ومن يك ذا فم مر مريض بجد فرا به الماء الزلا

وقوله يمثل حال من لا يحسن اختيار العامل فيجعل غير الثقة على أمر الله فيعشرها
ويضيعها :

ومن يجعل الضراغام للصيد بازه تصيده الضراغام فيما تصيدها (٢)

وقول الآخر يمثل حال من يضيع الأموال التي ورثها ؛ لأنها آلت إليه بلا تعب :
ومن ملك البلاد بغير حرب يهون عليه تسليم البلاد

ومنها قول ابن ميادة يمثل حال إكرام المدوح له ، وحال إهانته إيه :
ألم تك فى يمنى بديك جعلتني فلا تجعلنى بعدها فى شالك

وقول الآخر يمثل حال الرجل الذى لا يقول إلا حقا ولا يخدر إلا بالصدق :

(١) الذورة : السنام ، والغارب : العنق.

(٢) الضراغام : الأسد ، والباز : ضرب من الصقور التي تصيد ، يقال : باز وبازى وباز وباز وجمعه :
بزة ... انظر لسان العرب مادة : بزا .

**إذا قالت حذام فصدقوها
فبان القول ما قالت حذام**

ومنها قول الشماخ يمثل حال " عراة " في حرصه على الحمد " واعتزازه به ،
وإقدامه عليه " وسمره إليه ، واقتداره على نيله :

**رأيت عراة الأوسى يسمو
إلى الخيرات منقطع القرىن
إذا ما رأيته عراة باليمن**

ولا يخفى عليك أن الشبه مأخوذ من جموع التلقى واليمين على حد قوله :
تلقيته بكلتا اليدين ، وهذا لا تصلح " اليمين " أو اليد أو الكف حيث يقصد التجوز فيها
وحدها ، فلا يقال : هو عظيم اليد أو عظيم اليمين ، بمعنى عظيم القدرة ، ولا يقال
عرفت بيتك على هذا ، بمعنى عرفت قدرتك عليه ..

ومنها قول الآخر يمثل حال المصلح الذي يفسد الغير ما يصلحه :
**متى يبلغ البيان يوماً تامة
إذا كنتم تبنيه وغيرك يهدم؟**

وما جاء من ذلك في القرآن الكريم قول تعالى : **«وَمَا أَقْدَرُوا اللَّهُ حَقًّا قَدْرَهُ
وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَاتٌ بِيَمِينِهِ»**^(١) . مثلت الآية
الكريمة حال الأرض يوم القيمة والله عز وجل يتصرف فيها بأمره وقدرته تغييراً وتبديلاً
بحال الشيء يكون في قبضة الإنسان يتصرف فيه كيف يشاء ... ومثلت حال السموات
وقد طواها الله بقدرته بحال الكتاب المطوى في يمين صاحبه ... والجامع فيهما وقوع
كل تحت قدرة صاحبه وإرادته ...

وقوله عز وجل : **«هُوَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ»**^(٢) ،
مثلت الآية حال المتعجل بالحكم قبل إذن الله به بحال المتقدم بين يدي متبعه حين المشي
بجماع عدم المتابعة في كل ..

(١) سورة الزمر الآية ٦٧.

(٢) سورة الحجرات الآية ١.

يقول المخترى " وحقيقة قوله : جلست بين يدى فلان أن مجلس بين الجهتين المسامتين ليمينه وشماله قريبا منه ، فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسع ، كما يسمى الشئ باسم غيره إذا حاوره وداناه فى غير موضع ، . وقد جرت هذه العبارة ههنا على سنن ضرب من المجاز وهو الذى يسمى أهل البيان غالبا ، وجريها هكذا فائدة جليلة ليست فى الكلام العريان ، وهى تصريح المجندة والشناعة ، فيما نهوا عنه من الإقدام على أمر من الأمور دون الاختلاء على أمثلة الكتاب والسنة ، والمعنى : ألا تقطعوا امرا إلا بعدما يحكمان به ويذنان فيه ، ف تكونوا إما عاملين بالروحى المنزلى ، وإما مقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم ... " ^(١) .

ومنها قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ ﴾ ^(٢) فقد عدما البعض من قبيل الاستعارة التمثيلية . حيث شبهت حال الغضب الذى أثار موسى بعض الوقت ثم هدا بحال رجل غيره ثم سكت بجامع التحول من حال إلى حال ... والأولى حمل الآية على الاستعارة المكتبة ، حيث شبه الغضب بإنسان يثير غيره ثم حذف المشبه به ورمز له بلازمه وهو السكوت ويقوى ذلك أن المذكور في الآية الكريمة لفظ " الغضب " وهو مشبه وليس مشبهها به .

وعد بعض البلاغيين الآية من قبيل التبعية فى الفعل ، بأن استعير السكوت للسكنون ، واشتق منه سكت بمعنى : سكن ... وبعضهم يجعلها من قبيل القلب ، وأن الأصل : ولما سكت موسى عن الغضب ، كما نقول : خرق الثوب المسamar والأصل : خرق المسamar الثوب ... وهناك قراءتان آخرتان للأية الكريمة : إدحهها ولما سكن عن موسى الغضب ، والثانية ولما سكت بالبناء للمفعول والأولى - كما قلت - أن تعدد الآية من قبيل الاستعارة المكتبة لأن ذلك يصور مدى تمكן الغضب من موسى - عليه السلام

(١) الكشاف ج ٣ ص ٥٥٢.

(٢) سورة الأعراف آية ١٥٤.

- وكانه كان يغريه على ما فعل ، ويقول له : قل لقومك كذا ، وألق الألواح ، وجر برأس أخيك إليك ، ولا تجد هذا المعنى في حمل الآية على الاستعارة التبعية ولا في القراءتين الآخرين^(١).

وتأمل قوله تعالى : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قُلْبٌ﴾^(٢) ، تجد أن المقام يقتضي حمل الآية الكريمة على الاستعارة التمثيلية ، إذ المراد : الحث على النظر والتقرير على تركه ، وقد ذكر بعض المفسرين أن المراد بالقلب العقل ، ولكن البلاغيين لم يرتكروا هذا التفسير وإن كان المرجع عند التحصيل إليه ، وذلك لإخلاله بالمراد ، وبينوا أن الكلام مبني على تخيل أن من لا يتفق بقلبه فلا ينظر ولا يعي يكون معنزة من عدم قلبه جملة ، وهذا يتفق مع ما تريده الآية من الحث على النظر والتقرير على تركه^(٣).

ومنها قوله تعالى : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾^(٤) ، حيث مثلت حال المتمسك بدين الله وعهده بحال المعتمد على حبل قرى يمنعه من السقوط ، ويجوز جعل الاستعارة في الآية مفردة حيث شبه دين الله بالحبل القوي بجامع الحفظ من الضرر في كل واستعير لفظ الحبل للدين ... ويكون قوله تعالى " واعتصموا " ترشيحًا للاستعارة لأنه من ملائمات المشبه به ...

ومما جاء من الاستعارة التمثيلية في الحديث البروى قوله عليه الصلاة والسلام : (إن أحدكم إذا تصدق بالتمرة من الطيب ، ولا يقبل الله إلا الطيب جعل الله ذلك في كفه فيربيها كما يربى أحدكم فلوة)^(٥) ، مثلت حال الصدقة القليلة من الكسب الطيب عند الله تعالى ، فيحبه لها ورضاه عنها ، بالشيء المحبوب يوضع في اليد اعتزازا به وحرضا عليه .

(١) ارجع إلى الكشاف ج ٢ ص ١٢٠ .

(٢) سورة ق آية ٣٧ .

(٣) انظر الإيضاح ج ٣ ص ١٥١ .

(٤) سورة آل عمران آية ١٠٣ .

(٥) الفلو : المهر أو الجحش بعد الفطام .

ومن الاستعارة التمثيلية : الأمثال السائرة ، الواردة عن العرب فيستعار موردها لمضريها ، ومعلوم أن الأمثال لا تغير ، فيستعار موردها الذي قيلت فيه لمضريها الذي تضرب فيه بلا تغيير ولا تبدل ، من ذلك قولهم : " أحسفا وسوء كيلة " ، يضرب لمن يظلم من جهتين ، وأصل مورده أن رجلا اشتري من آخر ثيرا ، فرجده رديباً وناقص الكيل فقال : " أحسفا وسوء كيلة " ، فصار يضرب لمن ظلم من جهتين .

ومن أمثلهم أيضاً : " رمى عصفورين بحجر " ، يضرب لمن يختال فيدرك أمررين بتدبير واحد ... ومنها : " الصيف ضيغت اللبن " ، ويضرب لمن يطلب أمراً بعد فوات الأوان ... ومنها : " عند جهينة الخبر اليقين " ، ويضرب لمن يعرف الشيء على حقيقته ووجهه ، ومنها : " إنك لا تجني من الشنك العنبر " ويضرب لمن يفعل الشر ويتظاهر بمحاراته بالخير ... ومنها : " قطعت جهيزه قول كل خطيب " . ويضرب لمن يأتي بالقول الفصل في مواطن النزاع .

المجاز المركب المرسل : والمجاز المركب المرسل هو اللفظ المركب المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة .

من ذلك قوله تعالى : ﴿رَبُّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُلْثَى﴾^(١) فـالله عز وجل يعلم ما وضعت وامرأة عمران تعرف أنه تعالى لا يخفى عليه شيء فهى لم ترد الإخبار بما وضعت وإنما أرادت أن تبدي حزنها وتحسرها لعدم مجده ذكرأ حيث كانت قد وبهته ونذرته لخدمة بيت الله ... فهو مجاز علاقة اللزومية إذ يلزم من إعبارها بوضع الأنثى أنها حزينة متحسسة ...

ومنه قوله تعالى : ﴿رَبُّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظَمُ مِنِي وَاشْتَغَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا﴾^(٢) أراد - عليه السلام - إظهار ضعفة وإبراز ونه ، إذ يلزم من إعباره بأنه قد وهن عظمة واشتعل

(١) سورة آل عمران آية ٣٦.

(٢) سورة مريم آية ٤ .

رأسه شيئاً ، إبراز ضعفه وإظهار ونه ... والقرينة مقام الخطاب ، حيث يعلم زكريا عليه السلام أن الله لا تخفي عليه خافية ، فليس في حاجة إلى إخبار

وقوله عز وجل : **﴿رَبُّ قَدْ أَتَيْتِي مِنَ الْمُلْكٍ وَعَلِمْتِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾**^(١) ، أراد - عليه السلام إظهار الغبطة والسرور ، فهو مجاز مركب علاقته اللزومية إذ يلزم من إخباره بأن الله قد آتاه من الملك وعلمه من تأويل الأحاديث ، إبداء سروره وإظهار غبطته ، والقرينة أن الله عز وجل عليم بذات الصدور ، ويوسف - عليه السلام - يعرف أنه تعالى في غنى عن إخباره ، ولا تخفي عليه خافية

وأرى أن المعانى المشار إليها فى الآيات الكريمة ونحوها ، قد فهمت من السياق وقرائن الأحوال ، فهي من مستبعات التراكيب^(٢) ، ولذا لا أجد داعياً للقول بالمجاز المرسل المركب ، وأرى أن يقصر المجاز فى التركيب على الاستعارة التمثيلية .

(١) سورة يوسف آية ١٠١ .

(٢) انظر كتابنا : "علم المعانى" ج ١ ص ٣٨ ، ٣٩ -

خصائص الاستعارة ومزاياها البلاغية

من أهم خصائص الاستعارة تجسيد المعنيات وتشخيص المجردات ، وخلع الحياة على مala حياة فيه ، فتصبح المعنيات والأمور المجردة شاخصة أمام الأعين ، ويصير فاقد الحياة بالاستعارة حيا متجركا ... ولننظر في قول الله عز وجل : ﴿وَاللَّيلُ إِذَا عَسْنَسَ وَالصُّبْحُ إِذَا تَفَسَ﴾^(١) ، فقد استعير التنفس لظهور الصبح وانتشار ضوئه ، وفرق بين الظهور وانتشار الضوء وبين التنفس ، إن الاستعارة بثت في الصبح الحياة وأضفت عليه صفات الكائن الحي ، وفيها بالإضافة إلى ذلك إيحاء بفشل الليل وكربه وهمرمه ، وكأن في ظهور ضوء الصبح إزاحة لهذه الكلمات وإزالة لتلك المهموم ، وكأن الصبح يلتقط أنفاسه بزوال ظلمات الليل . وفي قوله تعالى : ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَيُفْسَدُ الصَّبَرُ﴾^(٢) ، استعير الشهيد للصور الفظيع ، وقوله عز وجل : ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾^(٣) ، استعير القذف للإيراد ، والدمغ للإذهاب ، ولا يخفى ما في الاستعارات من بث الحياة في جهنم ومن تجسيد الحق والباطل ، حتى كان الحق قذيفة أصابت الباطل فقضت عليه ومحنته ... ولننظر في قول أبي العاتية مهتماً المهدى بالخلافة :

أنتَ الْخَلَافَةُ مُنْقَادَةٌ إِلَيْهِ تَجُرُّ أَذِيَاهَا

وفي قول البارودي :

إِذَا اسْتَلَّ مِنْهُمْ سَيْدُ غَرْبِ سِيفِهِ تَفَزَّعَتُ الْأَفْلَاكُ وَالتَّفَتَ الدَّهْرُ^(٤)

نبذ أن الخلافة والأفلاك والدهر ، قد تحولت بالاستعارة إلى كائنات حية تفرع وتتلفت وتعشى في عجب وحياة ، وقد صار للخلافة المنقادة أذیال تجررها

(١) سورة التكوير آية ١٨.

(٢) سورة الملك آية آية ٦، ٧.

(٣) سورة الآتبااء آية ١٨.

(٤) غرب السيف : حده . واستل : انزع.

وتأمل قول أبي ذؤيب :
إذا المنية أنشبت أظفارها الفيت كل قيمة لا تنفع

تجده قد أبرز المنية في صورة محسوسة مشاهدة إذ جعلها سبعا يفتلك وينشب
أظفاره .

ومن خصائص الاستعارة : الإيجاز ، فهى تعطى المعانى الكثيرة بالفاظ قليلة
يسيرة ، على نحو ما نرى في قول ابن المعتز :
أثمرت أغصان راحته بجان الحسن عنابا

فقد استعيرت الأغصان للأصابع والعناب للأنامل والمعنى أثمرت أصابع يده
الشبيهة بالأغصان ببناء مخصوصة كالعناب ... ولا ينفي عليك ما أحدثته الاستعارة من
إيجاز مع حسن بيان وجمال تصوير ...

ومنها المبالغة في تأكيد المعنى وتفحيمه ، لأنها قائمة على تناسى التشبيه وادعاء
أن المشبه صار فردا من أفراد المشبه به ، ولذا كان قوله : رأيت بدرأ ، وأضاء محمد
الأرض شرقا وغربا ، أبلغ من قوله : محمد كالبدر ، وهو التشبيه الذي بنيت عليه
الاستعارة ، وذلك أن الاستعارة قد صيرت محمدآ فردا من أفراد البدور ، مبالغة وادعاء
وتأمل قول الله عز وجل : **إِنَّمَا طَغَى الْمَاءَ حَمْلُنَاكُمْ فِي الْجَهَارِيَّةِ**^(١) ، قوله تعالى : **وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلَكُوا بِرِيعِ صَرْصَرِ عَاتِيَّةِ**^(٢) ، فقد
استعير الطغيان لزيادة الماء وارتفاعه ، واستعير العتو للشدة ، والاستعارة فيها أبلغ لأن
في الطغيان دلالة على الغلبة والقهر ، والعتو شدة فيها ترد ... وقد يتبع المستعار
بعلامات المستعار منه ويبلغ في ذلك حتى ينزل منزلة الحقيقة على نحو ما مر بـك في
الاستعارة المرشحة ...

(١) سورة الحاقة آية ١١.

(٢) سورة الحاقة آية ٦.

ومن خصائصها : حسن البيان وتحريك المشاعر وتتبه العقول وتنشيط الأذهان ، ولا يخفى عليك إدراك ذلك فيما مر بك من شواهد ... ففى قوله تعالى : ﴿هَرَبْ إِنِي وَهُنَّ الْعَظَمُ مِنِي وَأَشَتَّعَلَ الرَّأْسُ شَيْئاً﴾^(١) ، تجد أن التعبير عن ظهور الشيب وانتشاره بالاشتعال ، قد أبرز الشيب فى صورة واضحة بينة ، بتجذب المشاعر وتتبه العقول إلى أن انتشار الشيب لا يمكن تلافيه ودفعه كما أن شواطئ النار لا يتلافي .

هذا والاستعارة - كما رأينا - مبنية على التشبيه ، فيشتهر لحسنها أن يكون التشبيه حسنا . وحسن التشبيه - كما مر بنا - يحصل بكلون وجه الشبه كثير التفصيل ، وكون المشبه به نادر الحضور في الذهن عند حضور المشبه فيه ، وأن يتحقق الغرض منه ، فكذلك الاستعارة تحسن إذا كان الجامع بين المستعار له والمستعار منه مفصلا ، كاستعارة الاحتباء لصورة ضم اللجام مقدم السرج إلى فم الفرس واستعارة الاقتباس لإذهاب الرجل شحم السنام على نحو ما رأيت في الاستعارة الغريبة .. وإذا كان المستعار منه نادر الحضور في الذهن عند حضور المستعار له ، كاستعارة الطغيان لارتفاع الماء في قوله تعالى : ﴿إِنَّا لَمَا طَغَى الْمَاءُ﴾ ... وتحسين كذلك إذا كان الغرض منها محققا ، كاستعارة قوله " أراك تنفس في رماد ، وتضرب في حديد بارد " . لمن يجهد نفسه في عمل لفائدة فيه ...

وعلم أن الاستعارة قائمة على تناسى التشبيه وادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به ، ولذا فهي تحسن عندما لا يذكر في الكلام سوى المشبه به نحو : رأيت قمرا يتحدث ، أما إذا ذكر في الكلام ما يشم منه رائحة التشبيه ، بأن يذكر المشبه بوجه يبني عن الاستعارة لا عن التشبيه ، فإن ذلك يقلل من حسنها كما في قول الشاعر :

لا تعجبوا من بلسي غلاتي
قد زر أزراه على القمر

(١) سورة مريم آية ٤.

فقد استعير القمر للممدوح ، وذكر في البيت الضمير العائد على المشبه وهو الضمير المضاف إليه في " غالاته " و " أزراره " ، ولكن ذكره - كما ترى - يوجه لا يبني عن التشبيه ، بل يبني بالاستعارة ، فقلل ذلك من حسنها ... أما إذا ذكر بوجه يبني بالتشبيه كقولنا : محمد أسد ، ورأيت رجلاً مثل الأسد ، وهذا رجل أسد ، فإن هذا يبطل الاستعارة على أرجح الأقوال ويعود بالكلام إلى التشبيه ...

هذا في الاستعارة التصريحية ، أما في المكينة ، فمن الواضح أنه يصرح فيها بلفظ المشبه ويستند إليه لازم المشبه به ...

وما يقلل من حسن الاستعارة أيضاً غموض وجه الشبه الجسام بين المستعار له والمستعار منه لأن الاستعارة مبنية على تناصي التشبيه ، فإذا أضيف إلى هذا التناصي غموض وجه الشبه ، تضاعف الخفاء ، وصارت الاستعارة أغمازاً وتممية ، أما التشبيه فيحسن فيه خفاء وجه الشبه - كما مر بـك - لإمكان تفرييه بذكر المشبه ، أو إزالة الخفاء بذكر الوجه والتصریح به

فيجوز أن نقول : هذا الرجل كالأسد في نعن الفم لزوال الخفاء بذكر وجه الشبه ... ولا يجوز أن نقول : رأيتأسدا ، ونريد رجلاً أبخر نعن الفم . ونقول : " الناس كثيرون مائة لا تجد فيها راحلة " ... ولا نقول : رأيت إبلاً مائة لا أحد فيها راحلة ، ونريد رجالاً كثيرين ليس بينهم إلا رجل واحد متميز بصفة الكمال ، وذلك لخفاء وجه الشبه في الاستعارة ، وزوال هذا الخفاء بذكر المشبه في التشبيه .

وإذا قوى وجه الشبه ووضح وضوها تماماً بين المشبه والمشبه به كتشبيه العلم بالنور في البياض والإشراق ، وتشبيه الشبهة والبدعة بالظلمام في السواد ، فعندئذ تحسن الاستعارة ولا يحسن التشبيه لأنه يصبح تشبيه الشيء بنفسه ... فيحسن أن نقول : " امتلاً قلبي نوراً " ونريد : علماً ومعرفة ، و " صار فلان في قلبه ظلمة " .

ونريد : شبهة وشكّاً ولا يحسن أن نقول "امتلاً قلبي علماً وإيماناً كالنور" وصار في قلب
فلان شكّ وشبهة كالظلمة ...

الاستعارة المعيبة : مما تقدم يتضح لنا أن حسن الاستعارة يتوقف على عدة أمور
أهمها : حسن التشبيه الذي بنيت عليه ، وقرب وجه الشبه ووضوحه ، وألا يذكر في
الكلام ما يشم منه رائحة التشبيه ، فإن فقد أمر من هذه الأمور قلل فقدانه من حسن
الاستعارة وروعتها ...

وقد حاول النقاد وضع ضوابط للاستعارة بحيث يعد الخروج عن تلك الضوابط
عيها وقبحا ، وأهم تلك الضوابط :

- ١ - أن تكون هناك مناسبة في العرف والعادة بين المستعار له والمستعار منه .
- ٢ - أن يكون هناك وجه جامع بين المستعار له والمستعار منه ، وكلما قرب هذا
الوجه حسنت الاستعارة ، وكلما بعد وغمض قلل ذلك من حسنها ، فإن أشتد غموض
الوجه وبعد جداً عد ذلك عيما ...
- ٣ - مدى قبول النفس والأذواق للاستعارة أو نفورها منها ...

وبناءً على اختلاف العادات والأعراف ، واختلاف الأذواق التي تقبل الاستعارة أو
ترفضها ، فقد اختلف العلماء والنقاد في قبولها وردها ، وفي استحسانها وعيها ، فما
يرفضه أحدهم يقبله الآخر ، وما يعييه هذا يستحسننه ذاك . وإليك نماذج متعددة يتضح
للك من خلالها ما ذكرنا ...

يقول المتنبي متغزاً :

مسرة في قلوب الطيب مفترقها
وحسرة في قلوب البهض واليلب^(١)

ويقول مادحا :

(١) البهض : السيف . واليلب : الدروع تتخذ من الجلد .

تجمعـت فـي فـؤاد هـمـم مـلـء فـؤـاد الزـمـان إـحـدـاهـا

عاب النقاد عليه جعله للطيب والبيض واليلب قلوبنا ، وللزمان فؤادا ، وقالوا :
هذه استعارة لم تجر على وجه شبه قريب ولا بعيد ... وإنما تصح الاستعارة وتحسن إذا
جرت على وجه من المناسبة ، وطرف من الشبه والمقاربة .

وقد قبل صاحب الوساطة هذه الاستعارات ، وأحاب بأن لما قاله المتنبي نظيراً في
أشعارهم ، كقول أبي رميله :
هم ساعد الدهر الذي يُتقى به وما خير كف لا تنسوه بساعد

وقول ابن أحمر :
وَهُنَّ عَلَيْهِ كَا مَعْصِفَةٍ

وقول الكميٰت :
ولما رأيت الدهر يقلب ظهيره
عليٰ بطيء فعل المعاك بالرمل (٢)

فهؤلاء قد جعلوا للريح لبا ، وللدهر ساعدا وظهرها وبطنا ولم ينكر عليهم ،
فكيف ينكر على المتتبّي ما صنع ؟ ...

ويمكن أن نضيف إلى ما ذكره القاضي المجرجاني من الاستشهاد بتلك الآيات ، وقياسه عليها قبوله الاستعارة في بيتها المتبع ، يمكن أن نضيف إليه أن الاستعارة في الآيات المذكورة من قبيل الاستعارة المكتبة التي تبني - غالبا - على التشخيص والتجميد ونقل عناصر الطبيعة والمعنويات من عالمها إلى العالم الذي المتحرك بغض

(١) الزير : أصله طي البتر وإذا طرحت تماسكـت واستحـكمـت وقد استـغـيرـتـ هـنـا لـلـرـيـحـ وـالـمـرـادـ : الـخـراـفـهاـ وـهـبـوـهاـ وـأـنـهـاـ لـاـ تـسـتـقـيمـ عـلـىـ مـهـبـ وـاحـدـ فـهـيـ كـالـنـاقـةـ الـمـوـجـاءـ وـهـيـ التـيـ كـانـ بـهـاـ هـوـجـاـ مـنـ سـرـعـتهاـ.

٢) المعك : التمرغ في الرمل أو التراب .

النظر عن التدقيق ومحاولة التماس وجه شبه ، أو إدناء وتقريب المستعار له من المستعار منه ...

ومن ذلك قول امرئ القيس عن الليل :

فقلت له لما نظرني بصلبه وأرداف أعجازا وناء بكلكل

فقد استحسنـه الآمـى وجعلـه من أجـود الاستـعـارـات ، لأنـ اـمـرـئـ الـقـيـسـ وـصـفـ أحـوالـ اللـلـلـلـ الطـرـيلـ ، فـذـكـرـ اـمـتـادـ وـسـطـهـ وـتـاقـلـ صـدـرـهـ وـتـرـادـفـ أـعـجـازـهـ ، فـلـمـ جـعـلـ لـهـ وـسـطـاـ مـمـتـداـ وـصـدـرـاـ ثـقـيلاـ وـأـعـجـازـاـ مـرـادـفـةـ لـرـسـطـهـ ، استـعـارـ لـهـ اـسـمـ "ـالـصـلـبـ" ، وـجـعـلـهـ مـتـمـطـياـ مـنـ أـجـلـ اـمـتـادـهـ ، وـاسـمـ "ـالـكـلـكـلـ" وـجـعـلـهـ نـائـيـاـ لـشـاقـلـهـ ، وـاسـمـ "ـالـعـجـزـ" مـنـ أـجـلـ نـهـوـضـهـ ... وـماـ استـحـسـنـهـ الآـمـىـ جـعـلـهـ اـبـنـ سـنـانـ وـسـطـاـ ، فـذـكـرـ أـنـ بـيـتـ اـمـرـئـ الـقـيـسـ لـيـسـ مـنـ جـيـدـ الـاستـعـارـةـ وـلـاـ رـدـيـعـهـ ، بلـ هوـ الـوـسـطـ بـيـنـهـمـ ، لأنـهـ استـعـارـاتـ مـبـنـيةـ عـلـىـ بـعـضـهـاـ ، إـنـاـ تـحـمـدـ الـاستـعـارـةـ وـتـسـجـاحـ إـذـاـ كـانـ غـيـرـةـ بـنـفـسـهـاـ غـيـرـ مـفـقـرـةـ إـلـىـ غـيـرـهـاـ .. وـقـدـ رـدـ ضـيـاءـ الدـيـنـ بـنـ الـأـثـيـرـ رـأـيـ اـبـنـ سـنـانـ وـرـفـضـ تـعـلـيـلـهـ وـنـفـضـهـ ، فـذـكـرـ أـنـ الـاستـعـارـةـ الـمـبـنـيةـ عـلـىـ اـسـتـعـارـةـ أـخـرـىـ مـنـ أـبـعـدـ الـاستـعـارـاتـ وـأـجـرـدـهـاـ طـلـلـاـ وـجـدـتـ الـمـنـاسـبـةـ الـمـطـلـوـبةـ ، وـقـدـ وـرـدـ ذـلـكـ فـيـ النـظـمـ الـكـرـيمـ . انـظـرـ فـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ : ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرِيْبَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِالْأَنْعَمِ اللَّهُ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُحُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(۱) ، فـهـذـهـ ثـلـاثـةـ بـحـازـاتـ يـبـنـىـ بـعـضـهـاـ عـلـىـ بـعـضـ ، الـأـوـلـ : التـعـبـيرـ بـالـقـرـيـةـ عـنـ الـأـهـلـ بـمـاـ مـجـازـاـ مـرـسـلاـ عـلـاـقـهـ الـخـلـيـةـ ، وـالـثـانـىـ : استـعـارـةـ الـذـوقـ لـلـإـصـابـةـ ، وـالـثـالـثـ : استـعـارـةـ الـلـبـاسـ لـمـاـ أـحـاطـ بـهـمـ وـعـلـاـ وـجـوـهـمـ مـنـ صـفـرـةـ وـهـرـالـ ، وـقـدـ وـجـدـ بـيـنـهـاـ التـنـاسـبـ التـامـ كـمـاـ لـاـ يـمـغـيـ ...

ويـعـيـبـ أـبـوـ هـلـالـ الـعـسـكـرـيـ وـيـسـتـقـبـحـ الـاستـعـارـةـ فـيـ قـوـلـ الـخـطـيـةـ :

(۱) سـوـرـةـ التـحـلـ آيـةـ ۱۱۲ـ .

سقوا جارك العيمان لما جفوته
وقلص عن برد الشراب مشافره^(١)

وفي قول مزرد :

فما رقد الولدان حتى رأيه
على البكر يغريه بساق وحافر^(٢)

ولعل سبب عيده واستقباحه يرجع إلى إطلاق لفظ "المشر" ، الخاص بالبعير على شفة الإنسان ، وللظف "الحافر" ، الخاص بنواع الأربع على قدم الإنسان ، دون أن يكون لهذا الإطلاق غرض أو فائدة ...

ولكن عبد القاهر يخالف العسكري في ذلك ، على نحو ما مر بنا في المجاز المرسل الذي علاقته "الإطلاق والتقييد" حيث يرى أنه حال من الفائدة ، إذ يطلق المقييد عن قيده ويقيد بقييد آخر كاستعمال المحسن الموضوع للدلالة على "أنف البعير" في الدلالة على أنف الإنسان في قول رؤبة :

ومقلبة وحاجبا مرججا
واهاما ومرسنا مسرجا

ولكنه قد يتحول إلى مجاز مفيد وعندئذ يخرج من دائرة المجاز المرسل إلى دائرة الاستعارة كما في بيته الخطية ومزرد ، فالخطية أراد أن يصف نفسه بسوء الحال وقبح المال الذي آتى إليه بمعاهدة الزبرقان بن بدر ، فاستعار من أجل هذا مشفري البعير لشفيته تهكمًا بالزبرقان الذي أضاع ضيفه ، وإذا رجعنا إلى شعر الخطية وجدنا أن ذمه وتقييده لنفسه ليس بمستبعد عليه ... وكذلك لا يستبعد عبد القاهر أن يكون مزرد أراد باستعارة الحافر للقدم أن يصف ضيفه بسوء الحال في مسيره وتقاذف نراحى الأرض به . وأن يبالغ في شدة حرشه على تحريك بكره واستخراج كل طاقته ومجهوده ... ونظير ذلك قوله الفرزدق في المجاء :

(١) العيمان : شديد العطش إلى اللبن .

(٢) البكر : الفتى من الإبل ، وغريه : يستخرج ما عنده من الجرث .

فَلَوْ كُنْتَ ضَبِيباً عَرَفْتَ قَرَابَتِي
وَلَكِنْ زَجْبِي غَلِيظَ الْمَشَافِر

وقول الآخر :

سَامِنْهَا أَوْ سُوفَ أَجْعَلُ أَمْرَهَا
إِلَى مَلْكِ الْأَظْلَافِ هَمْ لَمْ تَشَقِّ

وقول الله عز وجل : ﴿سَنَسِمَةٌ عَلَى الْخُرُوطُوم﴾^(۱) ، فقد استعيرت المشافر
للشفاه ، والأظلاف للأظافر والخرطوم للأذن بهدف النم والتقييع على نحر ما رأينا في
البazar المرسل ...

وعاب كثير من النقاد قول أبي تمام .

صَبَ قَدْ اسْتَعْدَبْتَ مَاءَ بَكَائِي
لَا تَسْقِنِي مَاءُ الْمَلَامِ فَإِنِّي

قوله :

مَنْ مَاءَ قَافِيَةً يَسْقِيَكَهُ فَهُمْ
لَمْ تَسْقِ بَعْدَ الْهُوَى مَاءَ أَقْلَى قَلْدَى

حيث جعل لكل من " الملام " و " القافية " ماء على سبيل الاستعارة المكنية ،
وهو مما لا يستساغ ، لأن للاستعارة حدا تصلح فيه فإذا جاوزته فسدت وقبحت ،
وليس الاستعارة في البيتين كقوطم : هذا ثوب له ماء ... ولفظ له ماء .. وفلان حلوا
الكلام ... وعذب المنطق ... وحلو المنظر ، لأنهم لم يجعلوا الماء مشروبا بالاستعارة كما
في البيتين ولم يريدوا حلواته على اللسان ولا عنوبته في الفم ، بل يريدون عذبا في
النفوس وحلوا في القلوب والأعين

ويرى الآمدي أن الاستعارة في البيتين مقبولة ومستساغة ، ويوضح ذلك بأن
الشاعر قصد إلى المشاكلة بين الماءين : " ماء أقل قذى وماء قافية " ... و " ماء الملام "

(۱) سورة القلم آية ۱۶.

وماء البكاء " ... على نهر قوله عز وجل : **﴿وَجَرَاءُ سَيْئَةٍ سَيْئَةً مِثْلُهَا﴾**^(١) ، فقد أطلقـت السـيـئـةـ الثـانـيـةـ عـلـىـ الـمـحـازـةـ وـالـعـقـابـ مـنـ بـاـبـ الـمـشـاكـلـةـ .ـ كـمـاـ أـنـهـ يـجـزـزـ أـنـ يـسـقـىـ الـقـوـلـ وـأـنـ يـشـرـبـ الـكـلـامـ عـلـىـ سـبـيـلـ الـاسـتـعـارـةـ فـلـاـ يـكـوـنـ ذـلـكـ شـرـبـاـ بـالـفـمـ ،ـ بـلـ بـالـنـفـسـ وـالـقـلـبـ وـعـنـدـئـذـ نـكـونـ قـدـ اـسـتـعـرـنـاـ السـقـىـ وـالـشـرـبـ لـقـبـوـلـ الـنـفـسـ وـاـسـتـسـاغـتـهاـ أـوـ عـدـمـ اـسـتـسـاغـتـهاـ عـلـىـ حـدـ قـوـلـهـ :ـ أـغـلـظـتـ لـفـلـانـ الـقـوـلـ وـجـرـعـتـهـ مـنـ كـأـسـمـرـةـ ،ـ وـسـقـيـتـهـ مـنـهـ أـمـرـ مـنـ الـعـلـقـ .ـ

وـمـنـ الـاسـتـعـارـاتـ التـىـ اـتـقـنـ كـثـيرـ مـنـ النـقـادـ عـلـىـ عـيـنـهـاـ وـرـفـضـهـاـ ،ـ قـولـ أـبـيـ تـمـامـ :

فـضـرـبـتـ الشـتـاءـ فـىـ أـخـدـعـيـهـ ضـرـبةـ غـادـرـكـهـ عـوـدـاـ رـكـوبـاـ^(٢)

ذـ وـقـولـهـ :

يـادـهـرـ قـوـمـ مـنـ أـخـدـعـيـكـ لـقـدـ أـضـجـجـتـ هـلـاـ الـآـلـامـ مـنـ خـرـقـكـ

فـقـدـ جـعـلـ لـكـلـ مـنـ "ـ الشـتـاءـ "ـ وـ "ـ الـدـهـرـ "ـ أـخـدـعـيـنـ وـهـوـ مـاـ لـاـ يـسـتـسـاغـ وـلـاـ تـقـبـلـهـ
الـأـذـرـاقـ ...ـ وـكـذـاـ جـعـلـهـ لـلـمـعـرـفـ كـبـداـ فـىـ قـوـلـهـ :

إـلـىـ مـلـكـ فـىـ أـيـكـةـ الـمـجـدـ لـمـ يـزـلـ عـلـىـ كـبـدـ الـمـعـرـفـ مـنـ نـيلـهـ بـرـدـ

وـجـعـلـهـ لـلـعـرـضـ كـعـبـاـ وـلـلـمـالـ خـلـدـاـ فـىـ قـوـلـهـ :

بـلـوـنـاكـ أـمـاـكـعـبـ عـرـضـكـ فـىـ فـعـالـ وـلـكـنـ خـدـ مـالـكـ أـسـفـ

الـعـلـاـ

وـجـعـلـ ذـيـ الرـمـةـ لـلـدـجـيـ يـافـرـخـاـ فـىـ قـوـلـهـ :

تـيـمـمـنـ يـاـ فـوـخـ الدـجـيـ فـصـدـعـهـ وـجـوزـ الـفـلاـصـدـعـ السـيـوـفـ

لـلـقـواـطـعـ

وـجـعـلـ العـبـاسـ بـنـ الـأـحـنـفـ لـلـدـمـعـ أـعـجـازـاـ وـلـلـدـمـ أـعـنـاـقـاـ فـىـ قـوـلـهـ :

(١) سورة الشورى آية ٤٠.

(٢) عـوـدـاـ :ـ الـجـمـلـ الـمـسـنـ ...ـ وـالـأـمـدـعـانـ :ـ عـرـقـانـ فـىـ الـعـنـقـ.

أعجاز دمع بأعنق الدم السرب

ولى جفون جفاه النوم فاتصلت

وجعل الرضى للزمان عرنينا فى قوله :

وأذل عرنين الزمان السامي^(١)

ملك سما حتى تخلق فى العلا

وجعل تأبط شرا للمرت أننا ومنخر رثيما أى : داميا فى قوله :

نحر رقابهم حتى صدعنا

وأنف الموت منخره رثيم

وجعل أبي نواس للمال رجال و صوتا قدبج فى قوله :

تشتكى منك المال أمست

ما لرجل المال كلاما

وقوله :

منك يشكو ويصيح

بح صوت المال ما

و مراده من ذلك أن المال يتظلم من إهانته إيه بالاضاعة وكثرة الإنفاق ، فالمعنى

حسن والتعبير عنه قبيح .. و الجيد في هذا المعنى قول مسلم بن الوليد :

تظلم المال والأعداء من يده

لا زال للمال والأعداء ظلاما

ومن الملاحظ في هذه الشواهد ، أن الاستعارة فيها من قبيل الاستعارة

المكية ، وأن ما عابه النقاد واستقبحوه هو الاستعارة التخييلية أى : إثبات لازم

المشبه به للمشبه ، وكأنهم رأوا في هذا الإثبات خروجا عن المألوف والمعهود

الذى اعتاده العرب ، فقد اعتادوا جعل الدهر إنسانا ، ووصفوه بالرفقاء والغدر ،

و جعلوا له ساعدا ، وألفوا جعل المنية سبعا ، و تخيلوا لها أظفارا ... ولكنهم لم

يجعلوا للدهر أخدعا ولم يتكلموا عن استه ، ولم يجعلوا للمعروف كبدا ولا

للدجى يافرخا ، ولا للعرض كعبا ولا للمال رجالا ... وقد أدرك النقاد ذلك

(١) العرنين : الأنف أو ما صلب منه ...

فأرادوا ألا يشتبط الأدباء فى تصوراتهم وتخيلهم ، ويتجاوزا حدود التصورات
المألوفة والمعهودة لدى العرب ...

ولا يعني ذلك أن ما عابه النقاد مقصور على الاستعارات المكثفة ، بل تجاوزها
إلى الاستعارات التصريحية إذا ما جاءت بمحاجة للأدوات السليمة والطبع القرئية ونفرت
عنها النفوس الزكية .

ومن ذلك قول زيد بن مفرغ يهجو عبيدا الله بن زياد :

أضعت وكل أمرك للضياع
ويوم فتحت سيفك من بعيد

فقد عاب النقاد استعارة "الفتح" لسل السيف ...

ومنه ما ورد أن المهلب قال لرجل من الأزد : متى أنت ؟ قال : "أكلت مر
حياة رسول الله صلى عليه وسلم شتتين " فقال له : "أطعمك الله لحمك " ، فـ
ـ عاب عليه استعارة الأكل للإدراك ، لأنها استعارة تنفر منها النفوس ولا تقبلها
الأدراق ...

الفصل الثالث

الكنية

الكنية في اللغة أن تتكلم بالشىء وتريد غيره ، يقال : كنیت بکذا عن کذا إذا تركت التصريح به ، فباه : کنی یکنی کرمی یرمی ، وقد ورد : کنا یکنوا کدعا یدعو ... أنشد الجوهري .

وإنی لاکنو عن قدور بغیرها وأعرب أحیانا بها وأصارح^(۱)

أما المصدر فهو : " کنایة " ، ولم يسمع " کنارہ " ، ولذا فإن " کنیت " أفصح من " کنوت " ...

والكنية في اصطلاح علماء البيان : لفظ أطلق وأريد به لازم معناه ، مع جواز إرادة المعنى الأصلي ...

فالمتكلم يترك اللفظ الموصوع للمعنى الذي يريد التحدث عنه ويلجأ إلى لفظ آخر موصوع لمعنى آخر تابع للمعنى الذي يريد فيه غير به عنه ...

يقول عبد القاهر : " الكنية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعانى ، فلا يذكره باللفظ الموصوع له في اللغة ، ولكن يجيئ إلى معنى هو تاليه ورده في الروحود ، فيومئ به إليه ، و يجعله دليلا عليه "^(۲) ... وليس هنالك ما يمنع من إرادة المعنى الأصلي للفظ مع المعنى الكنائي المراد ... مثال ذلك قوله : " هو طوبل التجاد "^(۳) يريدون : طويل القامة ، " وكثير رماد القدر " ، يريدون : كثير القرى " وهي نسوم الضحى " ، يريدون أنها مخدومة مترفة ، وقولنا : " قابلت فلانا فلزى عنقه " ، أى : أعرض ، " وواجهته بالحق فاحمر وجهه ، أى : أصابه الخجل ... ففي هذه الأمثلة ، أطلق لفظ الملازم ، وأريد

(۱) قدور : اسم امرأة .

(۲) دلائل الإعجاز ص ۱۰۵ .

(۳) التجاد : حمالة السيف .

به لازمه ، فطول النجاد يستلزم طول القامة ويدل عليها ، وكثرة الرماد ، تستلزم كثرة الطهى وكثرة الطهى تستلزم كثرة القرى وتدل على الكرم ، وكثرة النوم فى الضحى تستلزم الترف والرفاهية ، ولـ العنق يستلزم الإعراض ويدل عليه ، وحمرة الوجه عند المواجهة تستلزم الخجل .. وإرادة اللازم فى هذه الأمثلة لا يمتنع معها إرادة الملزم وحصوله ، فطول القامة لا يمتنع معه طول النجاد وإرادة الكرم والضيافة لا يمتنع معهما كثرة الرماد وكون المرأة متوفـة مخدومة لا يمتنع معها حتى الضحى ، ولـ العنق لا يمتنع إرادته مع الإعراض ، وكذا حمرة الوجه يجوز إرادتها مع إرادة الخجل ...

علاقة الكناية : واستخدام اللفظ فى غير معناه الذى وضع له لا يتم إلا عند وجود علاقة تربط بين المعنين : المعنى الكنائى الذى استخدم فيه اللفظ ، والمعنى الأصلى الذى كنى به ، كما هو الحال فى الجاز ، والعلاقة هنا فى الكناية هى علاقـه الردف والتبعـه ، أو بمعنى آخر التلازم بين المعنى الذى يدل عليه ظاهر اللـفـظ و المعنى المراد منه فـى قول الله عز وجل : «**وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدِيهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي أَتَحَدَّثُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا**»^(١) ، غير عن الشعور بالتحسر والنـدم على ما فات ، بالـبعـض على الـيـديـن ، وكذا فى قوله تعالـى : «**وَأَحِيطَ بِشَمْرِهِ فَأَصْبَحَ يَقْلُبُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا**»^(٢) ، غير عن نفس المعنى وهو " النـدم والـتحـسـر " بتـقلـيب الإـنسـان كـفيـه .. والعـلاقـه بين " النـدم والـتحـسـر " وبين " عـض الـيـديـن " أو " تـقلـيب الـكـفـين " هـى التـلاـزم الـذـى يـرجع إـلـى ما عـرـفـ عنـ الإـنسـان وـطـبـاعـه ؛ فقد عـرـفـ عنهـ أنهـ إذا نـدـمـ عـضـ علىـ يـديـهـ أو قـلـبـ كـفـيهـ متـحـسـراـ علىـ ماـ فـاتـ ، كـماـ أـنـ مـنـ طـبـاعـهـ ، حـمـرـةـ الـوـجـهـ عـنـدـ الخـجلـ ، وـتـقطـيـهـ عـنـدـ الغـضـبـ .

وفي قول الشاعر :

يلقى بها المندى شاهقة يذكون نار القرى في كل شاهقة

(١) سورة الفرقان آية ٢٧.

(٢) سورة الكهف آية ٤٢.

(٣) المندى الهندى : عود طيب الرائحة يستحلب من الهند ... والمخطوم : المكسر.

كثي عن الكرم بإذكاء النيران في الأماكن العالية لإرشاد الضيف ، والعلاقة بين المعينين : التلازم الذي يرجع إلى ما عرف عن العرب ، فمن عاداتهم ، إيقاد النيران في الأماكن المرتفعة يرشدون بها القادم إليهم .. وفي قول النبي مدح سيف الدولة ويشيد بشجاعته :

فمساهم وبسطهم حرير وصيّب لهم تراب
ومن في كفه منهم قناء كمن في كفه منهم خضاب

كثي عن ثراء العدو وسيادته قبل أن يلقاه سيف الدولة ، بأنه يفترش الحرير " وبسطهم حرير " ، وكثي عن إذلاله وحضوره ، بقوله : " وبسطهم تراب " ، كما كثي عن الرجل في البيت الثاني بقوله : " ومن في كفه منهم قناء " ، وعن المرأة بقوله : " من في كفه منهم خضاب " ، والعلاقة بين المكى به والمكى عنه : التلازم الذي يرجع في البيت الأول إلى العرف والعادات والتقاليد ، فمن عادة الثرى أن يفترش الحرير ومن عادة الذليل أن يفترش التراب ... ويرجع في البيت الثاني بالإضافة إلى العرف والعادات إلى خصوصيات الأفعال ، فحمل السلاح يختص بالرجل ، وخضاب الكف يختص بالمرأة ... وبهذا يتضح لنا أن التلازم القائم بين المعينين : المكى به والمكى عنه . يرجع في الغالب إلى العرف الذي تعارف عليه القوم ، وإلى طباع الإنسان والحيوان وطبائع الأشياء الأخرى . وإلى خصائص الأفعال ، ثم إلى عادات العرب وتقاليدهم التي ألغوها ...

ما الفرق بين الكنية والمجاز ؟ ... ويختلف أسلوب المجاز عن أسلوب الكنية في أن أسلوب المجاز يشتمل على قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي للفظ ، فقولنا : " عجبت من الجيفة كيف يطغى " بجاز مرسل علاقته : اعتبار ما سيقول إليه الإنسان بعد موته حيث أطلق لفظ " الجيفة " وأريد بها الإنسان الحي ، والقرينة أن الجيفة يستحيل أن تطغى ، وتلك القريئة تمنع إرادة المعنى الأصلي للجيفة .. وكذلك الاستعارة في قوله تعالى : «إِنَّا لَمَا طَغَىَ الْمَاءَ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ»^(١) ... رفي قوله عز

(١) سورة الحاقة الآية ١١

وحل : **هُوَ أَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الدُّلْ مِنَ الرَّحْمَةِ**^(١) القرينة فيهما تمنع إرادة المعنى الأصلي "للطغيان" وتنع إرادة المعنى الحقيقي للدل ... أما القرينة في أسلوب الكناية فإنها لا تمنع إرادة المعنى الأصلي للفظ ففي الشواهد المتقدمة لا تمنع القرينة من أن بعض الظالم المتندم على يديه يوم القيمة وأن يقلب صاحب الجنة التي صارت خاوية كفيه حال ندمه ... وأن تجتمع الحمرة والخجل ، وكثرة الرماد والكرم ... إلا إذا عرض عارض خارجي يمنع إرادة المعنى الأصلي في الكناية فعندئذ يمتنع إرادته بسبب هذا العارض . كما في قوله تعالى : **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**^(٢) ، وذلك على القول بأن الكاف أصليه وأن الآية تقيد نفي المثلية عن الله عز وجل بطريقة الكناية ، إذ نفي مثل المثل يستلزم نفي المثل ، ويكتنف في الآية إرادة المعنى الأصلي ، وهذا الامتناع ليس بسبب القرينة ، بل بسبب عارض خارجي وهو إفاده ثبوت المثل لله عز وجل وذلك محال... ويجوز جعل "الكاف" صلة "زاده" فلا يكون في الآية كناية عندئذ .

أقسام الكناية : وتنقسم الكناية باعتبار المعنى المكتن عنده وهو المعنى المراد إلى

ثلاثة أقسام :

١- كناية عن موصوف ... وذلك بأن يذكر في الكلام صفة أو عدة صفات لها اختصاص ظاهر بموصوف معين ، ويقصد بذلك الدلالة على هذا الموصوف كما في قوله عز وجل : **أَوَ مَنْ يَنْشَا فِي الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ**^(٣) . حيث كنى عن المرأة بصفتين تختصان بها اختصاصاً بينا وهما التنشئة في الخلية وعدم الإبارة في الخصام ...

وكقول المتنبي في الكناية عن المرأة وعن الرجل :

(١) سورة الإسراء الآية ٢٤.

(٢) سورة الشورى الآية ١١.

(٣) سورة الزخرف آية ١١.

ومن فى كفه منهم فناة كمن فى كفه منهم خضاب

فحمل القناة من خصائص الرجل وغضاب الكف من خصائص المرأة .

وقول عمرو بن معد يكرب :

الضارين بكل أبيض مخنث والطاغين مجتمع الأضغان^(١)

كنى بمجتمع الأضغان عن القلب ويكتنى عنه أيضاً بمواطن الأسرار ، وبمكان اللب ، ومكان الحقد ومكان الرعب .. انظر إلى قول أبي نواس يصف الخمر :

فلما شربنا ودب ديبها إلى موطن الأسرار قلت لها قفي

وقول البحترى في وصف طعنة أصاب بها ذئباً :

فأتبعتها أخرى فأضلتك نصلها

بحيث يكون اللب والرعب والحقد^(٢)

ومن ذلك قولهم في الكنية عن الخمر "أم المصائب" لشهرة الخمر عند العقلاء بجلب المصائب وتوليد الكوارث ... وفي الكنية عن النساء "ذرات الخلاخل" وفي الكنية عن الديبار : "الأصفر الرنان" . وفي الكنية عن الصدر : "موطن الحلم" وعن اللغة العربية بأنها "لغة الضاد" يقول شوقى :

إن الذى ملأ اللغات محاسنا جعل الجمال وسره فى الضاد

وقولهم في الكنية عن السفينة : "ابنة اليم" للازم منها ماء البحر .. كما يكتنى عنها بذات الألواح والدسر ، قال عز وجل : ﴿ وَحَمَلْنَا عَلَى ذَاتِ الْوَاحِدِ وَدُسُرٍ ﴾^(٣) ، كنى عن السفينة بذات الألواح والدسر ... ونلاحظ في الشواهد والأمثلة المذكورة أن

(١) المخنث : القاطع من السيف ... والأضغان : جمع ضعن وهو الحقد ...

(٢) أضللت : غييت ... والنصل : حديدة الرمح والسهم .

(٣) سورة القمر : الآية ١٣ .

الصفة أو الصفات التي صرخ بها لها مزيد اختصاص بالوصف الذي كنى بها عنه
ولازمة لمعناه ، وواضحة الدلالة عليه ولذا ساغ الكناية بها عنه ...

- ٢ - كناية عن صفة : وذلك بأن يذكر في الكلام صفة أو عدة صفات بينها وبين صفة أخرى تلازم وارتباط ، بحيث يتنتقل الذهن يادراك الصفة أو الصفات المذكورة إلى الصفة المكنى عنها المراد .. كما في قوله : " فلان طاهر الذيل ، ونقى الشوب " ،
كناية عن العفاف والطهر ، فظهور الذيل ونقاء الشوب ، صفتان يلازمهما عادة صفة العفاف وصفة الطهر ... وقولهم : " فلان شب عن الطوق " ، كناية عن اجتيازه مرحلة الطفولة إلى مرحلة اليقاعة والشباب ، فالشب عن الطوق صفة تلازمها عادة صفة اجتياز مرحلة الطفولة .. وكذا قوله : " ضرب فلان كفا بكف " كناية عن الندم والتحسر و " أصبح فلان يمشي على عكاز " كناية عن ضعفه وكير سنه و " فلان كثير الرماد ... وجبان الكلب ... ومهزول الفصيل " كناية عن الكرم والجحود و " فلان طويل النجاد " كناية عن طول القامة " و " قطب وجهه وانتفخت أورادجه " كناية عن الغضب و " أحمر وجهه " كناية عن الحجل و " حدثى بلغة المدفع " كناية عن القوة " ونظر إلى الدنيا بانتظار أسود " كناية عن التشاؤم و " فلان ناعم الأظفار " كناية عن قلة الخبرة والتجربة ... ومن شواهدنا في النظم الكريم قوله تعالى : ﴿فَوَلَا تُصْرِفْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحَّاً﴾^(١) ، كنى عن صفاتي التكبر والفخر بتصغير الخد والمرح في الأرض لما بين الصفتين المذكورتين والمكتنى عنهما من تلازم وارتباط .. وقوله تعالى : ﴿فَوَلَمَّا سُقطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأُوا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلَّلُوا﴾^(٢) ، كنى عن ندمهم على ما فعلوه من عبادة العجل بالسقوط في الأيدي وهو عرض الأصابع ، لأن هذا من شأن الندم عند شعوره بخطئه ، وتلاحظ مدى دقة النظم الكريم في التعبير عن شدة الندم ، فالرعوس هي التي سقطت على الأيدي لتعرض الأصابع والشأن في ذلك أن الأصابع هي التي ترتفع إلى الأفواه ..

(١) سورة لقمان آية ١٨ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٤٩ .

وفي هذا إنباء بشدة شعورهم بالندم فقد خارت قواهم ومالت رؤوسهم وهوت ..
ونظير الآية في التعبير عن الندم قوله تعالى : **﴿وَيَوْمَ يَعْصُمُ الظَّالِمُونَ عَلَىٰ يَدِيهِ﴾**^(١) ، قوله
عز وجل : **﴿وَأَحِيطَ بِشَمْرِهِ فَأَصْبَحَ يُقْلِبُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَارِبَةٌ عَلَىٰ
غَرْوِشَهَا ...﴾**^(٢).

وافرًا قوله تعالى : **﴿وَإِذْ يَعْدُكُمُ اللَّهُ إِخْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُونَ أَنَّ غَيْرَ
ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَتَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾**^(٣)
نجد في الآية كتابتين ، الأولى كتابة عن موصوف في قوله : (ذات الشوكة) فقد كنى
به عن الحرب والنفير ، والثانية كتابة عن صفة في قوله (ويقطع دابر الكافرين) فقد
كنى به عن صفة الاستئصال والإبادة ..

ومن شواهد الكتابة عن صفة في أشعارهم قول الحماسى في الكتابة عن ضخامة
الأرداف وعظم الثدى وضمور الخصر والبطن :

أَبْتَ الرَّوَادِفَ وَالثَّدِيَ لِقَمْصَهَا مَسْ الظَّهُورَ وَأَنْ قَسْ بَطْوَنَا

وقول المتنبي في الكتابة عن صفاتي " العز والسيادة " و " الفقر وال الحاجة " :
فَمَسَاهِمْ وَبِسْطَهِمْ حَرِيرٌ وَصَبَحَهِمْ وَبِسْطَهِمْ تَرَابٌ

وقول الآخر في الكتابة عن صفة الكرم :
وَمَا يَكُنْ فِي مِنْ عِيبٍ فَبَانِي جَانِ الْكَلْبِ مَهْزُولُ الْفَصِيلِ^(٤)

(١) سورة الفرقان آية ٢٧.

(٢) سورة الكهف آية ٤٢.

(٣) سورة الأنفال آية ٧.

(٤) الفصيل : ولد النقا ، وهزاله بحرمانه من لبنتها لتحرها للضيوف أو إطعامهم لبنتها وإثارتهم به ..

وقول عمر بن أبي ربيعة في الكناية عن طول الجيد :

بعيدة مهوى القرط إما لتوغيل أبوها وإنما عبد شمس وهاشم^(١)

وقول النابغة الذبياني في مدح الغساسنة :

رِقَاقُ النَّعَالِ طَيْبٌ حَجَزَاتُهُمْ يُحَيِّنُونَ بِالرِّيَاحَانِ يَوْمَ السِّبَاسِبِ^(٢)

ففي البيت ثلاث كنایات ، الأولى : الكناية عن الترف والسيادة برقة النعال ،
فهم لا يمشون حتى يخصفوا تعالم ويعملوها سميكة ، وإنما يركبون الخيل ، ويلزم من ذلك
الترف والسيادة ، والثانية : الكناية بطيب حجزاتهم عن صفة العفة والطهارة ،
والثالثة : الكناية عن رقة أمرتهم وحسن أذواقهم ومحافظتهم على التقاليد المرعية ، بقوله
: " يحيون بالريحان يوم السباسب " ...

وقول طرفة بن العبد في الكناية بصغر الرأس عن الذكاء :

أَنَا الرَّجُلُ الظَّرِيفُ الَّذِي تَعْرَفُونَهُ خَشَاشٌ كَرَأْسٌ حَيَّةٌ مُتَوَقَّدٌ^(٣)

فهم يكتنون بصغر الرأس عن الذكاء كما يكتنون بعظمها وضخامتها عن الغباء
والبلادة ، وبعرض القفا عن صفة البلة ..

- ٣ - كناية عن نسبة : وذلك بأن يريد المتكلم إثبات صفة لم يصرف معين أو
نفيها عنه ، فيترك إثبات هذه الصفة لم يصوفها ، ويثبتها لشيء آخر شديد الصلة
ووثيق الارتباط به ، فيكون ثبوتها لما يتصل به دليلاً على ثبوتها له .. كفراهم في مقام

(١) القرط : ما تزين به المرأة بلبسه في الأذن ومهراه : المسافة من شحمة الأذن إلى الكتف .

(٢) حجزة الإزار : موضع شده من الوسط ، والريحان : الزهر الطيب الرائحة ، والسباسب : يوم عيد
عند النصارى يسمى يوم الشعانين وكان الغساسنة يديرون بالنصرانية .

(٣) الضرب : الخفيف للرحم .. والخشاس : الصغير الرأس ، والمتقد : سريع الحركة .

المدح : " المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه " أرادوا نسبة المجد والكرم له ، فعدلوا عن التصريح بذلك إلى جعل المجد بين ثوبيه ، والكرم بين برديه ، ليفهم المخاطب إثباتهما للمدح ، إذ ليس بين البردين أو الثوبين سواه ، فالتعبير كناية عن نسبة المجد والكرم إلى المدح ...

ومن ذلك قول زياد الأعجم :

إن السماحة والمرؤة والسلوى
لـى قبة ضربت على ابن الحشـرـج^(١)

كـنى عن نسبة هذه الصـفات إـلى ابن الحـشـرـج يجعلـها فى قـبة مـضـرـوبـة عـلـيـه ، لأنـه إذا أثـبـتـ الشـئـ فى مـكـانـ الرـجـلـ وـحـيـزـهـ فقدـ أثـبـتـ لـهـ ، وـذـلـكـ لـاستـحـالـةـ قـيـامـ الـوـصـفـ بـنـفـسـهـ وـوـجـوبـ قـيـامـهـ بمـصـوـفـ صـالـحـ لـالـاتـصـافـ بـهـ ...

وقـولـ أبيـ نـوـاـسـ :

فـمـاـ جـازـهـ جـودـ وـلـاحـلـ دـوـهـ
وـلـكـنـ يـسـرـ الجـودـ حـيـثـ يـسـرـ

كـنى عن نسبة الجـودـ إـلـىـ المـدـحـ بـإـثـبـاتـهـ لـمـكـانـ الذـىـ يـوـجـدـ بـهـ وـيـخـلـ فـيـهـ ، فـلـاـ
يـتـجـاـزـهـ وـلـاـ يـخـلـ دـوـنـهـ ... وـيـلـاحـظـ ماـ فـيـ الـبـيـتـ مـنـ خـيـالـ بـدـيـعـ ، حـيـثـ صـورـ لـنـاـ الجـودـ
فـيـ صـورـةـ حـىـ مـتـحـرـكـ يـسـرـ لـسـيـرـ المـدـحـ ، وـيـسـكـنـ لـسـكـونـهـ ...

وـقـولـ الآـخـرـ يـمـدـحـ اـبـنـ العـمـيدـ :

وـالـجـدـ يـدـعـوـ أـنـ يـدـوـمـ جـيـدـهـ
عـقـدـ مـسـاعـيـ اـبـنـ العـمـيدـ نـظـامـهـ^(٢)

صـورـ الجـدـ غـادـةـ حـسـنـاءـ ، قـدـ تـخلـىـ جـيـدـهـ بـعـقـدـ ، حـبـاتـهـ مـسـاعـيـ اـبـنـ العـمـيدـ وـهـرـ
يـدـعـرـ اللهـ أـنـ يـدـوـمـ هـذـاـ عـقـدـ وـيـقـىـ فـيـ جـيـدـهـ ... فـكـنىـ عنـ نـسـبـةـ الجـدـ وـثـبـوـتـهـ لـابـنـ

(١) القـبةـ : ماـ كـانـتـ فـوـقـ الخـيـمةـ فـيـ الـعـظـمـ وـالـاتـسـاعـ وـهـيـ خـاصـيـةـ بـالـرـؤـسـاءـ وـالـسـادـةـ . وـابـنـ الحـشـرـجـ :

هوـ عـبدـ اللهـ بنـ الحـشـرـجـ أمـيرـ نـيـساـبـورـ ...

(٢) المسـاعـيـ : الـمـكـارـمـ مـفـرـدـهـ : مـسـعـةـ وـنـظـامـ الـعـقـدـ : مـاـ بـهـ يـكـونـ مـنـظـماـ ...

العميد: بكون مساعيه حبات قد انتظم بها عقد الجد ، وكني عن الدعاء بدوام بقاء ابن العميد ، بدعاة الجد أن يدوم العقد ويقى في جيده.. ومنها قوله : العرب لا تخفر الذم يريدون نفى ذلك عن العربي ، لأنه إذا نفى عن العرب نقض العهد ، فقد نفى عنه إذ هو واحد منهم . وقولهم : "أيفعت لِدَائِهُ وبلغت أَرَابِهِ" ، كانوا عن نسبة اليفاعة والبلوغ إليه بنسبيهما إلى أقرانه ونظرائه ..

وقولهم : " مثلك لا يدخل " ، كانوا عن نفى البخل عنه وتأكيد هذا النفي بنيه عن نظيره المشارك له في أخوص صفاتة ، لأن نفى البخل عن هذا الممايل يستلزم تأكيد نفيه عن المحاطب .. ومن ذلك قوله عز وجل : ﴿هَلْيَسْ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(١) ، على أن الكاف أصلية ، فقد كني عن نفى وجود المثل لله عز وجل ببني ووجود مثل المثل ، لأن نفي مثل المثل يستلزم نفي المثل .
ومنها قول الشنفري :

إذا ما بيوت باللامنة حلت
بييت بمنجا من اللوم بيتها

ففي البيت أربع كنایات ، أولاهما عن صفة العفة وقد كني عنها بالنجاة من اللوم إذا النجاة من اللوم تستلزم النجاة من موجباته ، كالزنا والفواحش ، وذلك يستلزم العفة . والثانية : عن نفي العفة في الشرط الثاني وكني عن ذلك بحلول الملامة ، والثالثة : عن نسبة العفة إلى فتاته ، وقد كني عنها بنسبيتها إلى بيتها . والرابعة : عن نفي العفة عن أصحاب تلك البيوت بنيتها عن بيوتهم ... ففي كل شطر من شطري البيت كنایتان قد جعلت إحداهما طرفا للثانية ، النجاة من اللوم طرف لإثبات النجاة منه إلى البيت المستلزم لإثبات العفة ، وحلول الملامة طرف لإثبات الحلول إلى البيت المستلزم نفي العفة عنها ، ونظير ذلك وهو اجتماع كنایتين في جملة واحدة قولنا : "كثر الرماد في ساحة عمرو" فكثر الرماد كنایة عن صفة الكرم ، وإثبات الكرم في ساحة عمرو - المعبر عنه بكثرة

(١) سورة الشورى آية ١١.

الرماد - كنایة عن نسبة الكرم إليه ، فقد اجتمعت كنایات في جملة واحدة ، وجعلت إحداها وهي كثرة الرماد طرفاً للثانية وهي إثبات كثرة الرماد في ساحة عمرو... وما من شك في أن وجود نوعين من الكنایة في جملة واحدة مما يزيد الكلام حسناً ويضفي عليه جمالاً.

الكنایة القریبة والکنایة البعيدة : وتنقسم الکنایة باعتبار القرب والبعد بين المعینين : المکنی عنه والمکنی به إلى فسمین : قریبة وبعیدة .

فالکنایة القریبة : هي ما تقارب فيها المعینان بحيث يكون الاتصال من المعنى المکنی به إلى المعنى المکنی عنه بلا واسطة ، كالاتصال من عض الإصبع أو تقليل الكفين إلى الندم ، ومن طول التجاذب إلى طول القامة ، ومن بعد مهوى القرط إلى طول الجيد ، ومن التنشئه في الخلية إلى المرأة في قوله عز وجل : ﴿أَوَ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْخَلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مَبِينٍ﴾^(۱) . وكالاتصال من منع الروادف والشذى فمیص المرأة من أن يمس ظهرها وبطئها إلى ضخامة الأرداف وعظم الثدي في قول الحماسي :

أبٰت الرّوادف والثدِي لقمصيها مِن الظَّهُورِ وَأَنْ تَمَسْ بَطْوَنَا

وكالاتصال من كون السماحة والمرءة والندى في قبة مضروبة على ابن الحشرج إلى نسبة هذه الصفات إليه في قوله زيادة الأعجم :

إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالْمَرْءَةَ وَالنَّدَى فِي قَبَّةٍ ضَرَبَتْ عَلَى ابْنِ الْحَشْرَجَ

وهذه الکنایة القریبة ، قد تكون واضحة لا تحتاج في إدراکها إلى نظر وتفكير ، كما في الشواهد المذكورة ، وقد تكون خفية تحتاج في إدراکها إلى شئ من التأمل والنظر ، لكون التلازم بين المعینين المکنی به والمکنی عنه مبنياً على عرف لم يبلغ حد الشهرة العامة .. وذلك كالاتصال من عرض القفا إلى صفة البله ، فیإن تجاوز الحد في

(۱) سورة الزعرف آية ۱۸.

عرض القفا من لوازم البلة ، وكالاتصال من ضخامة الرأس إلى الغباء ، ومن صغراها إلى الذكاء ... وكالاتصال من أداء التحية بالريحان يوم السادس إلى رقة الأمزحة وحسن النطق والمحافظة على التقاليد في قول النابغة يمدح الغساسنة :

رقاء النعال طيب حجزاتهم يحيون بالريحان يوم السادس

أما الاتصال من رقة النعال إلى الترف والسيادة ، ومن طيب الحجزات إلى العفة، فمن الكناية البعيدة لاحتياج هذا الاتصال إلى وسائل ، فرقة النعال تستلزم عدم المشي بها، وعدم مشيهم بها ، يستلزم ركرب الخيل ، وركوبهم الخيل ، يستلزم الشرف والسيادة وطيب الحجزات يستلزم ابعادهم عن الفواحش والموبقات وابعادهم عنها يستلزم العفة " ... فهما كنایتان بعيدتان .

الكنية البعيدة : فالكنية البعيدة هي ما تباعد فيها المعاني بحيث يصير الاتصال من المعنى المكتنى به إلى المعنى المكتنى عنه لا يتم إلا بواسطة أو بعده وسائل ، كالكنایتان المذكورتان في الشطر الأول من بيت النابغة السابق .. وكالاتصال من النجا من اللوم إلى العفة بواسطة النجا من موجبات اللوم ، أي الابتعاد عن الفواحش والموبقات في قول الشنفرى :

بيت منجا من اللوم بيته إذا ما بيوت باللامنة حللت

فالنجا من اللوم تستلزم النجا من موجباته والنجا من موجباته تستلزم العفة ... وكالاتصال من كثرة الرماد إلى صفة الكرم في قولنا : فلان كثير الرماد : إذ يتنتقل من كثرة الرماد إلى صفة الكرم بعلة وسائل ، فكثرة الرماد تستلزم كثرة إيقاد النار تحت القدور ، وتلك تستلزم كثرة الطبخ ، وهذه تستلزم كثرة الأكلة ، وكثريتهم تستلزم كثرة الضيوف ، وهذا دليل الكرم .

ومن الكنایات البعيدة عن صفة الكرم قول الشاعر :

وما يك فى من عيب فلاني جبان الكلب مهزول الفضيل

فقد انتقل من جبن الكلب إلى الكرم بواسطه عده ، إذ جبن الكلب عن النباح يستلزم استمرار تأدبه ، وهذا يستلزم دوام مشاهدته وجرها غريبة في بيت صاحبه ، وذلك يدل على أن صاحبه مقصد الدانى والقاصى ، وهذا يدل على اتصافه بالجحود والكرم وكذا يتقل من هزال الفضيل إلى الكرم بعدة وسائط ، فهو له دليل على فقد أنه أو فقد لبنيها ، وهذا دليل على نحرها للضيوف أو إشارهم ببنيها وذلك دليل الكرم والجحود ...

وقول نصيب في مدح عبد العزيز بن مروان :

لعبد العزيز على قومه	وغيرهم من ظاهرة
في بابك أسهل أبوابهم	ودارك مأهولة عامرة
وكلبك آنس بالزائرين	من الأم بالابنة الزائرة ^(١)

فأنس الكلب بالزائرين دليل على أنه يعرفهم لكثرة ترددتهم على الدار وإقامتهم فيها لقضاء حرائجهم وهذا يدل على كرم صاحبه وكثرة إحسانه .. وفي جعل أبوابه أسهل أبواب القوم ، وداره مأهولة عامرة كنياتان أيضاً عن الكرم ، فسهولة الأبواب تستلزم أنها مقصد الكثيرين ، وعمارة الدار تستلزم كثرة المترددين ، فالبعض يذهب البعض يأتي والدار تظل عامرة بهم ، وهذا دليل الكرم وكثرة الجحود . وفي قوله "مأهولة" إيهاء بكثرة الكرم وحسن الضيافة للذالات على أن من يحمل بالدار يصير أهلاً لها فلا يشعر بغريبة ولا حفوة ...

ونظير قول نصب ، قول ابن هرمة في أنس الكلب بالضيوف :

يكاد إذا ما أبصر الضيف مقبلاً يكلمه من حبه وهو أعمّ^(٢)

(١) المتن : النعم مفردها منه ... ومأهولة : أي فيها أهلها .

(٢) أعمّ : لا يتكلّم والضمير في يكاد يعود إلى الكلب في الآيات المتقدمة .

فقد بالغ فى أنسه بالضيوف وجعله يكاد ينطق فيرحب بهم وذلك من فرط حبه
الناجم عن كثرة مشاهدته للضيوف حتى الفهم .

ونلاحظ مدى التفاوت فى الدلالة على الكرم باستخدام الكلب واستغلال ما
عرف عن طباعة وخصوصياته ، فقد عرف عنه أنه ينبع عند مشاهدة الغريب ويطارده
بنباحه ، فإذا ما كف عن النباح وجبن أمام الغرباء دل هذا على كرم صاحبه ، وهذا ما
نراه في البيت الأول ، أما إذا ما تحول جنبه إلى إله الزائر وأنسه به ، فهذا يدل على
المبالغة في كرم صاحبه ، وهذا ما نراه في أبيات نصيف ، أما كلب ابن هرمة فقد تحول
أنسه إلى حب مفرط يكاد معه أن ينطق مرحبا بالضيوف .

ومن الكناية البعيدة قول ابن هرمة في الكناية عن الكرم أيضا.

لا أفتَعُ العوذَ بالفصَالِ ولا أبْتَاعُ إِلَى قرِيبَةِ الأَجْلِ^(١)

يريد أن يقول : إنه يذبح العوذ ولا يتركها تتمتع بفضالها ، أو أنه يذبح الفصال فيحرم
العوذ من التمتع بها أو أنه يذبحهما معا قبل أن تتمتع العوذ بفضالها وذلك كى يقدم
لحومها للضيوف .. كما أنه إذا ابتاع نرقا لا تبقى عنده طريرا ، إذ سرعان ما يذبحها
ويقدمها طعاما لضيوفه .. ففى كل شطر من شطري البيت كناية عن كرمه وجوده ،
انتقل فى الشطر الأول من عدم إمتاع العوذ بالفضال إلى ذبحها أو ذبح فصالها أو ذبحهما
معا ، ومن الذبح إلى تقديم لحمهما للضيوف ، وهذا يستلزم كثرة الضيوف وكثرة تمثيم
تدل على الكرم ... وما يوحى بكثرة هؤلاء الضيوف ، إيشاره التعبير بلفظ
الجمع : "عوذ" و "فضال" ، فهو لا يذبح فضيلا واحدا أو عائدا واحدة ، بل عوذ
وفصالا عديدة ... وفي الشطر الثاني : انتقل من ابتعاده قربة الأجل ، إلى أنه لا يقيها
حياة بل يذبحها لضيوفه ، وهذا يستلزم كثرة ترددتهم عليه الدالة على كرمه وسخائه .

ومنها قول المتنبي في مدح سيف الدولة ، مكيما عن شجاعته وكرمه :

(١) العوذ : جمع عائد وهي الناقة حديثة النتاج ... والفضال جمع فضيل وهو ولد الناقة .

إلى كم ترد الرسل عما أتوا له كأنهم فيما وهم ملام^(١)

كى عن شجاعته ، برد رسل العدو ، لأن يستلزم عدم اهتمامه بقوته ، وهذا دليل الشجاعة ، وكى عن كرمه ، برد ملام الائمه له فى كثرة هباته وعطياته وهذا يستلزم حرصه على العطاء وهو دليل الجود والكرم.

ومنها قول النساء فى صخر :

طويل النجاد رفيع العماد كثير الرماد إذا ما شتا

كنت بطول النجاد عن شجاعته ، لأن طول النجاد يستلزم طول القامة ، وطول القامة يستلزم الشجاعة عادة ، وكنت برفع العماد عن كرمه سيداً عظيماً القادر ، ورفع الع المكانة فى قومه ، وبكثرة الرماد عن الكرم والجود ، وفي إشارتها وقت الشتاء دلالة على المبالغة فى الكرم ، لأنه وقت تشتتد فيه حاجة المحتاجين .

وقول الآخر فى الفخر بقومه :
للسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامها تقطر الدما^(٢)

كى عن شجاعتهم وإقدامهم بنفى الدماء عن الأعقاب وإثباتها للأقدام ، لأن ذلك يستلزم التقدم للاقتلاعة العدو ومواجهته والتبرت فى المعركة وعدم الفرار ، إذ الفار يتلقى ضربات العدو من الخلف فتدمى أعقابه ، والثابت المتقدم يتلقاها من الأمام فتدمى قدمه ، وهذا دليل الشجاعة والجرأة ... وفي إشار التعبير بكلمة " تقطر " فى الشطر

(١) الرسل : المراد بهم رسول الروم فى طلب الصلح .. وملام : مصدر : " لام " يقال : لام يلوم لوما، وملاماً وملامة .

(٢) كلوم : جمع كلم وهو الجرح ... والدما : مخضف الدماء .

الثانى دون " تدمى " ، دلالة على قوتهم وتغلبهم على الأعداء فما يصيهم ليس سوى جروح طفيفة تقطر قطرات يسيرة .

وقول امرئ القيس :

وتحضى فبيت المسك فوق فراشها

نوم الضحى لم تنتطق عن تفضل^(١)

فالبيت كناية عن حياة الرزف والنعم ، لأن نومها وقت الضحى ، وتعطير فراشها بالمسك الذي يبقى فيه حتى ذلك الوقت ، وعدم ارتدائها ملابس الخدمة كل هذا يستلزم أن لديها من يخدمها ويقضى حاجتها ويكتفيها شتون بيتهما ، وذلك دليل الرزف والنعيم والرفاهية .

وقول أبي تمام :

فإن أنا لم يحمدك عنى صاغراً **عدوك فأعلم أننى غير حامد^(٢)**

كتنى عن جودة شعره وبلغه الغاية في المديح ، بحفظ الأعداء له مكرهين حيث بهرتهم بلاغته ، وسحرهم جماله ، فحفظ لهم له وهم لا يحبون الثناء به على المدح يستلزم بلوغه في البلاغة والحسن أبعد الغايات .

ومن لطيف الكتايات البعيدة قول الشاعر في وصف الراعي :

ضعيف العصا بادى العروق ترى له

عليها إذا ما أجدب الناس إصبعاً^(٣)

(١) تنتطق : ترتدى ملابس الخدمة ... تفضل : زيادة وعدم احتياج .

(٢) صاغرا : ذليلا ، اسم فاعل من الصغار وهو الذلة ، ويحمدك عنى : أى يحفظون مدحى فيك وينشدونه مرغمين .. وحامد : مادح

فقد كنى عن رقة الراعي ولينه المثمر في إصلاح شأن ما يرعاه من إبل أو غنم ،
بضعف العصا ، لأن ضعف العصا يستلزم عدم إرادة الإيذاء ، وهذا يستلزم الرفق
واللين .

وقول الآخر في وصف الراعي أيضا :

صلب العصا بالضرب قد دماها تود أن الله قد أفانها^(١)

كى عن شدته المثمرة في إصلاح شأن ما يرعاه ، بصلابة العصا ، لأن صلابة
عصا الراعي ، تستلزم الشدة في زجر ما يرعاه عما يضره وتؤديه ، وهذا يستلزم حسن
الرعاية ... فالغاية في البيتين واحدة وإن اختلفت الرسالة ، فالرسالة في البيت
الأول : الرفق واللين ، وفي الثاني : الشدة وقوه الزجر عن ارتياح المداعي الرديئة التي
تؤدي ... والغاية من الكتاين : الدلالة على حسن الرعاية ... وما لطف الكناية وحسنها
في البيتين ، أنه قد ضم إلى كل منهما ، ضرب من ضروب الجمال في التعبير ، فضم إلى
الأول المحاز المرسل في قوله : " ترى له غليها إصبعا " وقد أفاد هذا المحاز الأثر
الحسن الذي يبدو على أجسام النوق أو الغنم ، وفي هذا دلالة على المبالغة في حسن
رعاية الراعي ... وضم إلى الثانية التورية الحسنة في قوله : " بالضرب قد دماها "
أى : صيرها كالدمى^(٢) حسنا ، بسيرها في ضروب الأرض ، فالضرب له معنيان ،
قريب وهو الضرب بالعصا ، وبعيد وهو السير في الأرض ، وكذلك " دماها " لها معنيان
، قريب وهو أسال دمها ، وبعيد وهو صيرها كالدمى في الحسن والجمال ... والمراد :
المعنيان البعيدان ، وقد رشحت التورية بقوله : " صلب العصا " ملامته للمعنيين
القريين : الضرب وإسالة الدماء ... وسبب تلطيف هذه التورية للكناية أن المعنى القريب

(٣) بادي العروق : ظاهرها لقلة اللحم في جسمه ونحوه .

(١) الضرب : يطلق على الضرب بالعصا وعلى السير في الأرض ... وأفانها : أى أهلكها فهى من
شدته عليها تمنى أن يكون الله قد أهلكها .

(٢) الدمى : مفردتها دمية وهى الصورة الحسنة المزينة .

للفظين يوهم الإيذاء والإيلام ، ولكن بالتأمل والوقوف على المعنى بعيد المراد من كل منها ، يندفع هذا التوهم ، فيتأكد بذلك المعنى المراد من الكناية وهو حسن رعاية الراعي.

ما الفرق بين الكناية والتعریض ؟ ينفق التعریض والكناية في أن كلاً منها معنى يفهم من الكلام ولا تدل عليه الألفاظ دلالة حقيقة ، فقولنا : فلان كثير الرماد ، دل على معنى الكرم بطريق الكناية والتلازم بين معنى الكرم ، وكثرة الرماد ، وليس دلالة كثرة الرماد على الكرم دلالة حقيقة ، وقول المحتاج في خطاب الغنى : " والله إنني محتاج ، وليس في يدي شيء وأنا عريان والبرد قد آذاني " دل على الطلب بطريق "التعریض" فقد فهم من كلامه التعریض بطلبه ، وليس دلالة كلامه على الطلب دلالة حقيقة .

ويختلف التعریض عن الكناية من جهتين :

الأولى : أن التعریض معنى يفهم من عرض الكلام وجانبة ، وسياقاته وقراءاته أحواله ، فالالتزام بين المعنى التعریضي والمعنى الحقيقى للألفاظ يرجع إلى المراقيف الخاصة التي يقال فيها الكلام كما في المثال السابق أما التلازم بين المعنى المكتنى به والمعنى المكتنى عنه فمرجعه إلى العرف والعادات وطبع الأشياء وخصوصيات الأفعال على نحو ما عرفت .

الثانية : أن التعریض لا يأتي إلا في التراكيب ، ولا يمكن أن يدل عليه اللفظ المفرد ، وذلك لاحتياجه في الدلالة عليه إلى اللفظ المركب .. أما الكناية فتأتي في المفرد وفي المركب .

فمن الكنایات المفردة : " مواطن الأسرار " ، " مواضع الأضغان " ، " موطن الحلم " ، و " صلب العصا " ، " ضعيف العصا " ... ومن المركبة : " الجد بين ثوبيه

والكرم بين بردية " ... هُوَ مَنْ يُنشِأُ فِي الْخَلْقَةِ " ، " بيت منحاجة من اللوم يتها... " إلى آخر ما مر من شواهد الكتابة .

ومن أمثلة التعریض ما روى أن عمرو بن مساعدة كتب إلى " المأمون " في أمر بعض أصحابه : " أما بعد فقد استشفع بي فلان إلى أمير المؤمنين ليتطلّل في إلحاده بانتظاره من الخاصة ، فأعلمه أن أمير المؤمنين لم يجعلني في مراتب المستشفعين ، وفي ابتدائي بذلك تعدى طاعته " ، فوقع المأمون في ظهر كتابه ، قد عرّفنا تصريحك له وتعريضك لنفسك ، وقد أجبناك إليهما .

وقول على كرم الله وجهه : " إن الموت طالب حيث لا يفوته المقيم ، وإن أكرم الموت القتل ، والذى نفس ابن أبي طالب يده لضربة السيف أهون على من ميتة على فراش ... " ، فهذا كلام قاله على جهة التعریض بأصحابه لتأخرهم عن الجهاد ومقاتلة الأعداء .

ومنه التعریض بخطبة المرأة ، كأن يقول الرجل لها : " والله إنك بجميلة . ولعل الله أن يرزقك بعلا صالحها ، وإني لفسي حاجة إلى امرأة صالحة ... " ، وقد جعل الله التعریض بخطبة المرأة حائزاً في عدتها ، دون التصریح ، قال عز وجل : ﴿وَلَا جِنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْتَسْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾^(١)

ومنه قول الله عز وجل : ﴿قَالَ بْنُ فَعَلَةَ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطَقُونَ﴾^(٢) ، ففيه تعریض بخطأ القرم وتعامیهم عن الحق وتسفیه أحلامهم حيث عبدوا هذه الأصنام التي لا تنفع ولا تضر ، ولا تعرّفهم حوابا إذا سئلت .

(١) سورة البقرة آية ٢٣٥.

(٢) سورة الأنبياء ٦٣.

الكتابية التعرصية : وقد يجتمع التعرص والكتابية في التعبير الواحد مترافقاً . الكتابية عندئذ بالكتابية التعرصية أو العُوْضِيَّة ، ومن ذلك قول الرسول صلى الله - وسلم : " المسلم من سلم المسلمين من لسانه ويده " ، أفاد الحديث الشريف ، حفظه الله ، أن الإسلام في من سلم المسلمين من أذاه ، وهذا يستلزم نفي الإسلام عن كل من يسب المسلمين ، وهو المعنى المكتن عنده ، فإذا قيل الحديث في مقام يوجد به من يعرف ب المسلمين ، فهم من عرض الكلام وجانب التعرص بذلك المؤذى ... ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : ﴿فَذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَبِّ يَفِيهُ هُدًى لِّمَتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾^(١) فإذا ، وجل : " الغيب " في الآية ، بالغيبة عن حضرة الرسول عليه الصلاة والسلام ، يكون ادلة المتصدق به : ثبوت الهدایة للمتقين الذين آمنوا بالله ورسوله وقت حضورهم وغيابهم عنه ، وهذا يستلزم إخلاصهم في العقيدة والعبادة ، وهو المعنى المكتن به ... الآية مع ذلك تعرص بهؤلاء المنافقين الذي أظهروا الإسلام وقت حضورهم فإذا ما خلوا إلى شياطينهم قالوا : إنما معكم إنما نحن مستهزرون .

ومنه قول المتن في التعريف بضم الصدق عن فتاته :

تشتكى ما اشتكيت من ألم الشو

التحول حيث الشوق والهوى

فقوله : " والشوق حيث التحول " يفيد حصر الشوق في الجسم النحيل ، يستلزم نفي الشوق عن الجسم السمين المتليع ، لأن سمن الجسم في عرف أهل العشق ، يستلزم الخلو من الشوق ، فالمعنى المكتن عنده هو نفي نسبة الشوق إلى صاحب الجسم السمين ، وفي هذا تعریض بنفي الشوق عن قاتاته حيث تدعیه وقد سمن بـ امتلاً لحما ، فهو ، كاذبة في ادعائهما .

ومثله قول الآخر :

(١) أول سورة البقرة .

يلوم في الحب من لم يدر طغم هوى

إنما يعذر العشاق من عشقا

فهو يفيد أن اللوم يقع على العشاق من الذين لم يعرفوا الموى ، ولم يذوقوا طعم الحب ، ولم يكتروا بنار العشق ، وهذا يستلزم نفي اللوم عن أهل الموى فالمعنى المكنى عنه هو نفي نسبة اللوم إلى العشاق وأصحاب الغرام ، كما يؤكد ذلك الشطر الثاني : "إنما يعذر العشاق من عشقا" ، فإذا ما ووجه هذا البيت إلى من عرف باللوم أو قيل في مجلس يحضره من عرف بلومه أهل الموى ، كان الكلام تعريضاً به .

وكما يجتمع التعريض والكتابية في التعبير الواحد ، فقد يجتمع والمجاز ، كقولك : "أنا لا أطعن في أعراض الناس ، ولست من يطعن في الأعراض" فقد استعير "الطعن" للإيذاء ، واشتقت منه طعن بمعنى آذى على سبيل الاستعارة التبعية في الفعل ، فإذا ما قيل هذا القول أمام أناس قد عرّفوا واشتهروا بالإيذاء أو أشاروا السياق إلى كون من تكلمت عنه مؤذيا ، كان الكلام تعريضاً به .

وبهذا يتضح أن التعريض كما يفهم من عرض التركيب الحقيقة التي لا يجاز بها ولا كتابة ، فقد يجتمع وأسلوب الكتابة أو المجاز وهذا يوضح ما قررناه من أن التعرض يفهم من التركيب ، ولا يمكن أن يدل عليها اللفظ المفرد ، فهو بمعنى يفهم من جوانب الكلام وسياقاته الخاصة وموافقه ومقاماته المعينة .

التلويح والرمز والإشارة : ترددت في كتب البلاغيين أسماء عدة تطلق على

مفهوم الكتابية أو التعريض ، منها : الإرداد والتلميل والتلويح والرمز والإشارة واللحن ، وقد أخذ الأخير من قوله عز وجل : ﴿وَلَعِرْفُنُهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾^(١) ، فاللحن في الآية مراد به : التعريض بالشيء من غير تصريح به ، أو الكتابية عنه بغيرة ... يقول الشاعر .

(١) سورة محمد الآية ٢٠

ولقد لحت لكم لكيما تفهوا والحن يعرفه ذوو الألباب^(١)
ولا يتسع المقام هنا لنفصيل القول في هذه المصطلحات وتبعها في كتب
البالغين ، ولكننا نكتفي بالحديث عن ثلاثة فقط منها حديثاً موجزاً ، ليبرز أن مفهومها
لم يختلف عن مفهوم الكناية التي فصلنا القول فيه .

فالتلويح معناه في اللغة : الإشارة إلى الغير من بعيد ، ولذا أطلقه على الكناية
التي تعددت وسائطها نحو : كثير الرماد ... وجبان الكلب ...

والرمز في اللغة أن تشير إلى قريب منك على سبيل الخفية ، ولذا أطلقه على
الكناية التي قلت وسائطها أو انعدمت وكان بها نوع من خفاء التلازم بين
المعنىين : المكتنى به والمكتنى عنه ، نحو : عريض القفا ، وعربيض المتكفين ، وصغير الرأس
، وطيب الحجازات ... والإشارة أو الإيماء ، يكون من قرب جداً ووضحاً ، ولذا أطلقها
على الكناية التي انعدمت وسائطها أو قلبت ، ووضحة فيها التلازم بين المعنىين نحو الكناية
عن المرأة بالتعجة أو خضاب البنان ، أو التنشئة في الخلية ، وعن الرجل بحمل السلاح ،
وعن الصدر بموطن الحلم وعن الفقر بقلة الفأر في البيت ...

ومنها قول أبي تمام :

أبین فما يزرن سوى كريم وحسبك أن يزرن أبا سعيد
كنى عن نسبة الكرم إلى أبي سعيد بزيارتـهن له وقد أبین زيارة غير الكريم ،
فاللازم واضح بين المكتنى به والمكتنى عنه وليس هنالك وسائط

وقول البحترى :

أو ما رأيت الجهد ألقى رحله في آل طلحة ثم لم يتحول ؟

(١) انظر الكشاف ج ٣ ص ٥٣٨ .

كنت عن نسبة المجد إلى آل طلحة ، بالقاء المجد رحله فيهم ، فالالتزام واضح ،
ولا يخفى ما في البيت من خيال رائع حيث صور المجد حيا متحركا يلقى رحله في ساحة
هولاء الأبعاد ، ثم يستقر فيهم فلا يتتحول عنهم
وقول الآخر :

متى تخلو قيم من كريسم مسلمـة بن عمـرو من ثـيم

كى بعدم خلوهم من الكـريم عن نسبة الـكرم إـلى مـسلـمة بن عـمـرو ..

وقول أبي نواس :
تقول التي من بيتها خف محـملـي عـزيـزـ عـلـيـنـاـ أـنـ لـرـاكـ تـسـيرـ

فقد كـنتـ عن اـمرـأـتهـ بـقـولـهـ : "ـ التـيـ منـ بـيـتهاـ خـفـ مـحـمـلـيـ"ـ ،ـ وـالـلـازـمـ وـاضـحـ بـيـنـ
المـكـنـىـ بـهـ وـالـمـكـنـىـ عـنـهـ

بلاغة الـكتـنـايـةـ وـسـرـ جـاهـاـ : الـكتـنـايـةـ منـ التـعـبـيرـاتـ الـبـيـانـيـةـ الـغـيـرـةـ باـالـعـتـبـارـاتـ وـالـمـزـاياـ
وـالـمـلاـحظـاتـ الـبـلـاغـيـةـ ،ـ فـهـىـ تـضـفـىـ عـلـىـ الـمـعـنـىـ جـمـالـاـ ،ـ وـتـزـيـدـهـ قـوـةـ ،ـ وـيـسـطـعـ الـأـدـيـبـ
الـمـتـمـكـنـ ،ـ وـالـبـلـيـغـ الـمـتـمـرسـ أـنـ يـجـعـلـ بـأـسـلـوبـ الـكـتـنـايـةـ الـعـدـيدـ مـنـ الـمـقـاصـدـ وـالـأـهـدـافـ
الـبـلـاغـيـةـ ،ـ وـأـهـمـ تـلـكـ الـمـقـاصـدـ:

١ـ إـفادـةـ الـمـبـالـغـةـ فـيـ الـمـعـنـىـ ،ـ لـأـنـ التـعـبـيرـ عـنـ الـمـعـنـىـ الـكـتـنـايـ بـرـوـادـفـهـ وـتـوـابـعـهـ لـهـ مـنـ
الـقـوـةـ وـالـتـأـكـيدـ مـاـ لـيـسـ فـيـ التـعـبـيرـ عـنـهـ بـالـلـفـظـ الـمـرـضـوـعـ لـهـ ،ـ وـذـلـكـ لـأـنـهـ يـصـبـحـ كـيـاـبـراـزـ
الـدـعـرـىـ بـدـلـيلـهـاـ وـكـيـاثـيـاتـ الـحـجـةـ بـيـتـهـاـ...ـ وـهـذـاـ وـاضـحـ فـيـ التـعـبـيرـ عـنـ "ـ الـكـرـمـ"ـ بـكـثـرـةـ
الـرـمـادـ وـهـرـالـ الـفـصـيـلـ وـجـبـنـ الـكـلـبـ ،ـ وـعـنـ طـولـ الـجـيـدـ بـيـعـدـ مـهـرـىـ الـقـرـطـ فـيـ قـوـلـ
الـخـامـسـىـ :

أـكـلـتـ دـمـاـ إـنـ لـمـ أـرـعـكـ بـضـيـرةـ بـعـيـدةـ مـهـوـىـ الـقـرـطـ طـيـةـ النـشـرـ

وـعـنـ الـتـرـفـ وـالـتـنـعـ بـقـولـ اـمـرـيـ الـقـيـسـ :

وتصحى فتبت المسك فوق فراشها

نوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

وترجع إفادة المبالغة في التعبير الكنائي إلى هذه اللوزام والتواتر التي عبر بها عن المكى عنده ، فهي بمثابة الأدلة والبراهين على تحقيق المعنى وإثباته .

٢ - بمحسدة المعانى وإبرازها فى صور محسوسة تزخر بالحياة والحركة ، فيكون ذلك أدعى لتأكيدها ورسوخها فى النفس ، ويتضح ذلك فى التعبير عن معنى الشيخوخة وكسر السن بقولك : "الخنجر ظهره وصار يمشى على عكاز" ، فقد حسد أسلوب الكنائية معنى الضعف والكثير وأبرزه فى صورة حية مائلة أمام الأعين ، وفى النظم الكريم : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عَنْقِكَ وَلَا تُبْسِطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾^(١) ، أبرزت الآية معنى البخل فى صورة اليد المشدودة إلى العنق ، المقيدة به وهى صورة قبيحة تنشر منها النفوس فقبل على البذر والعطاء ... ويقول عز وجل : ﴿وَيَوْمَ يَعْصُمُ الظَّالِمُ عَلَى يَدِيهِ﴾^(٢) ... ﴿وَلَمَّا سُقطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾^(٣) .. ﴿وَأَحْيِطَ بِشَمْرِهِ فَأَضْبَخَ يَقْلُبَ كَفَنِهِ عَلَى مَا أَفْقَقَ فِيهَا﴾^(٤) ، أبرزت الآيات الكريمة معنى "الندم" فى هذه الصور المحسوسة المشاهدة ..

ومن أشعارهم قول ليلى الأنجلية :

مخرق عن القميص تخالسه
بين البيوت من الحياة سقيما

أبرزت المعنى المعنوى وهى نسبة الكرم إلى المدرج فى صورة مشاهدة محسوسة: "مخرق عن القميص" ، لأن العفة تجذبه فتخرق قميصه من مواصلة جذبها

(١) سورة الإسراء آية ٢٩ .

(٢) سورة الفرقان آية ٢٧ .

(٣) سورة الأعراف آية ١٤٩ .

(٤) سورة الكهف آية ٤٢ .

إياه ... كما أبرزت وصفه بالحياة في صورة مرئية حسية وهي صورة الإنسان السقير

:

وقول الآخر في الكناية عن كبره وضعفه :

قد كان يعجب بعضهن براعته حتى سمعن تتحنحني وسعالي

أبرز معنى الضعف والكثير في صورة كريهة مسموعة تعافها الآذن فتنفر منها
النفوس وهي : صورة الذي لا يكفي عن التتحنخ والسعال ..

وقول أبي فراس الحمداني وهو أسير في بلاد الروم يخاطب ابن عميه سيف
الدولة :

وقد كنت أخشى المجر والشبل جامع

وفى كل يوم لقيمة وخطاب

فكيف وفيما ينتسا ملك قيسر

واللبحر حسوى زخرة وعباب *

كتى عن "البعد الشاسع بينهما" بقوله "يتنا ملك قيسر وللبحر حول زخرة
وعباب" ، فأبرز معنى "البعد" في صورة مشاهدة محسوسة ...

٣ - يستطيع بأسلوب الكناية التعبير عن المعانى غير المستحسنة ، بالألفاظ لا
تعافها الأذواق ولا تتجها الآذان ... وشواهد هذا كثيراً في النظم الكريم الذى لا يحوى
إلا التعبير الحسن والكلام العذب السائغ ... من ذلك قوله عز وجل فى الكناية عن
الجماع : ﴿أَوْلَئِكُمْ لَمْ يَلِلُوا الصِّيَامَ الرَّئَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾^(١) .

(١) سورة النساء آية ٤٣.

(٢) سورة البقرة آية ١٨٧.

وفي الكناية عن الفرج : ﴿نَسَاوْكُمْ حَرَثَ لَكُمْ فَأَتُوا حَرَثَكُمْ أَنِي شَتّمْ﴾^(١) وفي الكناية عن النكاح : ﴿وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًا﴾^(٢) ، وفي الكناية عن قضاء الحاجة : ﴿هُوَ جَاءَ أَحَدًا مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ...﴾^(٣) .. ﴿هُمَا الْمُسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَقَ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمَّةٌ صِدِيقَةٌ كَانَا يَا كُلَّا نِعْلَامَ﴾^(٤) .. ومن أشعارهم في الكناية عن فرج المرأة قول المتنبي :

أَنِي عَلَى شَفْفِي بِمَا فِي حُرْهَا لَأَعْفُ عَمَّا فِي سِرَاوِي لَهَا

وقول الشريفي الرضي :

أَحْنَ إِلَى مَا يَضْمِنُ الْخَمْرَ وَالْخَلْيَ وَاصْدُفْ عَمَّا فِي ضَمَانِ الْمَازِرِ

٤- يستطيع بأسلوب الكناية التعمية والتغطية وإخفاء ما يود المتكلم إخفاءه حرصا على المكى عنه ورغبة في عدم تردداته على الألسنة ، كما في الكناية عن أسماء النساء .. أو خروفا من الإفصاح بالمعنى عنه ، كما في الكناية عن أسماء الأعداء ... من ذلك قول عمر بن أبي ربيعة :

إِذَا نَامَ حَرَاسُ التَّخِيلِ جَنَّاكُمَا أَيَا لَخَلَّاتِي وَادِي بُوَانَةَ حَبَّدَا
وَزَادَ عَلَى طَولِ الْفَتَاءِ فَتَاكُمَا^(٥) فَطَبِيكُمَا أَرْبَى عَلَى النَّخْلِ بِهَجَةِ

فقد كنى "بنخلتي وادي بوانة" عن الثنتين من صوريجاته، رغبة منه في إخفاء اسميهما ، وحرصا على حسن سمعتهما بين الناس ، كما كنى "بحراس الخيل" عن ذويهما خروفا منهم وتحاشيا لإثارة غضبهم وحياتهم ...

(١) سورة البقرة آية ٢٢٣.

(٢) سورة البقرة آية ٢٣٥.

(٣) سورة النساء آية ٤٣.

(٤) سورة المائدة آية ٧٥.

(٥) بوانة : اسم موضع ... جناكما : حسنكمـا ... أربـى : زاد عليه ... الفتـاء : الشباب ..

ومنه قول الآخر :

الْمَا بِذَاتِ الْخَالِ فَأَسْتَطَلَّ عَنْهَا
عَلَى الْمَهْدِ يَاقُ وَدَهَا أَمْ تَصْرُّمَا^(١)

كنتى "بذات الحال" عن صاحبته حرصا على سمعتها وصوناً لاسمها عن الابتذال
بتزديد شعره وسماعه ..

وقول أبي نواس :

تقول التي من بيتها خف محملى عزيز علينا أن نراك تسير
كنتى عن امرأته يقول : "التي من بيتها خف محملى" حرصا على إخفاء اسمها
وصيانتها ..

ومن ذلك قول الله عز وجل : ﴿وَرَأَوْدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾^(٢) فقد
كنتى عن امرأة العزيز بقوله تعالى : "التي هو في بيتها" رغبة عن ذكر اسمها أو نسبتها
إلى "العزيز" ، وحرصا على جملة الصلة : "هو في بيتها" ، ليبرز عفة يوسف عليه
السلام ، وإعراضه عن الفاحشة ، فهو في بيتها ، وهي متمكنة منه ، وقد غلقت الأبراب
وتزييت وعرضت نفسها : "هيت لك" وعلى الرغم من كل ذلك تعفف عليه السلام
وأعرض وقال : ﴿مَعَادَ اللَّهُ إِلَهُ رَبِّي أَخْسَنَ مُثْوَى إِلَهٌ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونُ .﴾ ...
ونلاحظ فرق ما بين المكنتى به في الآية الكريمة : "التي هو في بيتها" وفي البيت المذكور
"التي من بيتها خف محملى" ، فما في الآية يفيد استقراره - عليه السلام - في البيت
وتمكنها منه بدلاً من الحرف "في" ، وما في البيت يفيد النهاية والابتعاد : "من بيتها خف.." .
هذا وقد جرت عادة الشعراء أن يكتوا عن أسماء فتياتهم ، أو يطرحوها تلك
الأسماء ، ويطروها من اللفظ سيراً لها ، وصوناً لها عن التبدل بغير أنها على الآلسنة ،
وترددها على الأسماع ، ولذا أحبو الأماكن النائية المنعزلة حيث يمكنهم التمتع والتلذذ
بتزديد تلك الأسماء والتغنى بها ، يقول ذو الرمة :

(١) ألمًا : انلا .. الحال ، الشامة في معد الحسناء ... تصرم : زال وقطع ...

(٢) سورة يوسف آية ٢٣

أحب المكان القفر من أجل أنتي
به أنتي باسمها غير معجم ...

٥- ومن مخاسن الكناية ، تفحيم المعنى في نفوس السامعين ، ويتصحّر لنا ذلك في الآيات الكريمة التي عبرت عن يوم القيمة وبوصف ما فيه من أهوال ... من ذلك قول الله عز وجل : ﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ . وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ . يَوْمٌ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمُبْثُوثِ . وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِينِ الْمُنْقُوشِ ...﴾^(١) وقول تعالى : ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ ...﴾^(٢) ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامِةُ الْكُبْرَى﴾^(٣) ﴿إِذَا زُلِّزَتِ الْأَرْضُ زُلْزَلَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا ...﴾^(٤) ... إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي كني فيها عن يوم القيمة بوصف ما يكتون فيه من أحداث وأهوال تفرز القلوب وتزعج الفرس ، فليس المراد بتلك الكناية ، معرفة المكنى عنه والوقوف عليه ، ولكن المراد تنبيه العقول وإيقاظ النفوس بعرض هذه الأوصاف وذكر تلك الأحداث والأهوال ، ردعًا للكافر وزحرا وتنبيها للمؤمن وتحذيرًا . وصدق الله العظيم : ﴿إِنَّمَا أَيَّهَا النَّاسُ آتَوْا رِبَّهُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ... يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَدْهَلُ كُلُّ مُرْضِعٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُّ كُلُّ ذَاتٍ حَمَلَ حَمْلَهَا ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾^(٥) ... وقانا الله وإياكم نار عذابه ومتعبنا جميعا بنعم الله حتى لا يسمع الدعاء .

* * *

..

(١) أول سورة القارعة .

(٢) سورة عبس آية ٣٣ .

(٣) سورة النازعات آية ٣٤ .

(٤) أول سورة الزلزلة .

(٥) أول سورة الحج .

خاتمة

ما من ريب فسى أن فنون البيان تتفاوت فى رسم الصورة البينية ،
وتحديد معالها ، وإبرازها ، فما يرسمه التشبيه غير ما تصوره الاستعارة ، وما
تفيده الكناية غير ما يعززه المجاز

وقد اتفق البلاغيون على أن المجاز أبلغ من الحقيقة ، وأن الاستعارة أبلغ
من التشبيه ، والكناية أبلغ من التصریح ... واحتلوا في الميزنة بين المجاز
والكناية ؛ فقيل إن الكناية أبلغ من المجاز ب نوعيه : المجاز المرسل والاستعارة ،
وقيل الاستعارة أبلغ من الكناية ، لأنها كالجامعة بين الاستعارة والكناية ، وقيل
إن الاستعارة المكنية أبلغ من الكناية ، والكناية أبلغ من التصریح ،
وقيل : الاستعارة التمثيلية أبلغ أنواع الاستعارات ، لأنها تكون في الميئات
المرکبة المتزرعة من أمور متعددة ، فهى كثيرة الاعتبارات واللاحظات ...
والسؤال الآن : ما معنى الأبلغية التي بنيت عليها هذه الميزنة ؟ وهل هذه
الميزنة واحتلال البلاغيين فيها أثر فيما تفیده تلك الفنون البينية ؟ .

والجواب : أن المراد بالأبلغية : زيادة تأكيد المعنى وتقريره وإثباته ،
وليس المراد بها زيادة في حقيقة المعنى الذي يراد أداؤه ، فالتشبيه في قولنا :
محمد أسد ، يفيد زيادة تأكيد لإثبات الشجاعة لـ محمد ، لا تفیدها المبالغة بغير
التشبيه نحو : محمد أكثر الناس شجاعة ، ولا يفيد التشبيه أنها أضفتنا إلى شجاعة
محمد قدر آخر لم يكن موجودا فيه ، وكذلك الكناية في قولنا : زيد كثير
الرماد ، تفید زيادة تأكيد في إثبات الكرم لـ زيد ، لا تفیدها المبالغة بغير الكناية

نحو : كرم زيد لا يبارى ، ولا تقييد الكناية أنتا أضفنا إلى كرمه قدرأ لم يكن موجودا فيه ... والاستعارة كذلك ، فقولنا : رأيتأسدا يقاتل في الميدان ، يفيد زيادة تأكيد في معنى الشجاعة ، لا تقييدها الحقيقة في نحو : "رأيت شجاعا في الميدان لم أر مثل شجاعته" ولا يفيدها التشبيه في نحو : "شجاع كالأسد" ، ولا يعني هذا أن الاستعارة أضافت إلى شجاعة الشجاع قدرأ ليس موجودا فيه .

فالألبغاية إذا تعنى زيادة تأكيد المعنى وتقريره ، وزيادة قوة تأثير هذه الفنون البيانية في النفوس ، وفيما تولده من شعور بشدة المعانى التي يراد التعبير عنها وتأكيدها.

وأرى أن اختلاف البلاغيين في الموازنة بين هذه الفنون لا أثر له فيما تصوره ، إذ المرجع في ذلك لما يقتضيه المقام فإذا اقتضى المقام الإفصاح كان بلا ريب أبلغ من الكناية ... وإذا اقتضى التشبيه كان أبلغ من الاستعارة ولا يعني ذلك أن هذه الفنون سواء في إفاده المعانى وتحديد معالم الصور ، بل تتفاوت في ذلك كما قلنا ، وكما وضح لنا في خلال هذه الدراسة ، فقد وقفت على مفهوم كل فن من تلك الفنون وعلى أوجه التفاوت والاختلاف بينها ، بل على أوجه الاختلاف بين صور الفن الواحد ، فمثلاً إذا أردنا أن نصف محمدًا بالكرم ، لنا أن نقول : محمد كريم ... محمد كالبحر في الجود محمد كالبحر ... محمد بحر في الجود محمد بحر ... شاهدت بحراً يتصدق ويفيض على الناس ... محمد جبان الكلب مهزول الفصيل ... وليس نسبة الكرم إلى محمد سواء في هذه الصور ... بل تتفاوت وتختلف ، والمقام هو الذي يحدد ويقتضى استخدام هذه الصورة أو تلك ، وعليك أن ترجع إلى فصول هذا الكتاب ليتبين لك أوجه التفاوت والاختلاف بينها ... والله المهدى إلى سواء السبيل ، وهو مولانا ونعم النصير ... نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزينا خيراً الحسزاء وأن ينفع بهذا الكتاب ،

وأن يغفر لنا ولوالدينا وإنحرافنا ومشائخنا ولمن سبقنا بالإيمان ، وأن يعفو عنا وعنهم . ولا يواحدنا بما يكرهون قد جرى به القلم من زلات غفل عنها العقل ، إنه سبع قريب بمحب الدعوات ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين ، وأآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

تم محمد الله تعالى في الزمان
والمكان : حي المطار بعنيزة القصيم
المملكة العربية السعودية
٢٩ ربيع الآخر سنة ١٤٠٦ هـ .
الموافق
د. بسيونى عبد الفتاح
١٠ يناير سنة ١٩٨٦ م

أهم مراجع الكتاب

- (١) الإنقاذ في علوم القرآن للسيرطي طبعة الحلبى سنة ١٣٩٨ هـ.
- (٢) أسرار البلاغة لعبد القاهر ط دار الطياعة الحمدية سنة ١٣٩٢ هـ ، ص: محمد عبدالمنعم خفاجى .
- (٣) الأسلوب للدكتور أحمد الشايب ط السعادة .
- (٤) إعجاز القرآن للباقلانى ط دار المعارف سنة ١٩٧٧ م . ت : السيد صقر .
- (٥) إعجاز القرآن للرافعى ط المقتطف سنة ١٣٤٦ هـ.
- (٦) الأقصى القريب للشوحى ط السعادة سنة ١٣٢٧ هـ .
- (٧) أمال المرتضى ط الحلبى سنة ١٣٧٣ هـ . ت : محمد أبو الفضل إبراهيم .
- (٨) الإيضاح للقرزونى وبهامشه البغية ط صبيح سنة ١٣٩٢ هـ .
- (٩) البرهان فى وجوه البيان [فقد النثر] لابن وهب ط مطبعة مصر سنة ١٩٣٩ م.
- (١٠) البلاغة القرآنية فى تفسير الكشاف للدكتور محمد أبو موسى ط دار الفكر العربى .
- (١١) البيان القرآنى للدكتور محمد رجب البيومى ط دار النصر سنة ١٩٧١ م.
- (١٢) البيان والتبيين للجاحظ ط الخانجى ت : عبد السلام هارون .
- (١٣) البيان العربى للدكتور بدوى طباعة ط الرسالة سنة ١٩٥٥ .
- (١٤) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ط الحلبى سنة ١٣٧٣ هـ .
- (١٥) تحرير التحبير لابن أبي الأصبع ط المجلس الأعلى سنة ١٣٨٣ هـ ، ت : حنفى شرف .
- (١٦) التصوير البيانى للدكتور محمد أبو موسى ط دار التضامن سنة ١٤٠٠ هـ .

- (١٧) تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي ط الحلبي سنة ١٣٧٣ هـ ، ت : محمد عبد الغنى حسن .
- (١٨) تنزية القرآن عن المطاعن لعبد الجبار ط دار النهضة بيروت .
- (١٩) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن . ط : دار المعارف سنة ١٩٧٦ م .
- (٢٠) الجمان في تشبيهات القرآن لابن ناقيا . ط : منشأة المعارف . ت : مصطفى الجوني .
- (٢١) جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشى . ط : جامعة الإمام : محمد ابن سعد الإسلامية ت : محمد الهاشمى .
- (٢٢) حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى ط : دار الطباعة الخديوية .
- (٢٣) الحيوان للحاجظ . ط : الساسى سنة ١٩٥٠ م
- (٢٤) الخصائص لابن جنى . ط دار المدى بيروت . ت : محمد على النجار .
- (٢٥) دلائل الإعجاز لعبد القاهر . ط : الفجالة . ت : الدكتور : محمد عبد المنعم خفاجى .
- (٢٦) الرسالة البيانية للصبان على هامش حاشية الإنباى المطبعة الأميرية سنة ١٣١٥ هـ .
- (٢٧) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى . ط : الخفاجى ت : على فردة .
- (٢٨) شرح المعلقات للزروزنى المطبعة التجارية سنة ١٩٧١ م .
- (٢٩) شروح التلخيص .
- (٣٠) الشعر والشعراء لابن قتيبة . ط : دار المعارف سنة ١٩٦٧ م . ت : الأستاذ أحمد شاكر .
- (٣١) الصاحبى لأحمد بن فارس . ط : الويد سنة ١٣١٨ هـ .
- (٣٢) الصناعتين لأبي هلال العسكري . ط : الحلبي سنة ١٩٧١ هـ .
- (٣٣) طبقات فحول الشعراء لابن سلام . ط : المدى . ت : محمد شاكر .
- (٣٤) الطراز ليحيى بن حمزة العلوى . ط المقتطف سنة ١٣٣٣ هـ .

- (٣٥) عقود الجمان للسيوطى المطبعة الشرقية سنة ١٣٥٥ هـ .
- (٣٦) علم البيان للدكتور : بدوى طبانة . ط : المطبعة الفنية الحديثة سنة ١٩٧٧ م.
- (٣٧) العمدة لابن رشيق . ط : دار الجليل . ت : محمد محى الدين .
- (٣٨) عيار العشر لابن طباطبا . ط : شركة فن الطباعة سنة ١٩٥٦ م.
- (٣٩) فن الاستعارة للدكتور أحمد الصارى ط : الهيئة المصرية للكتاب سنة ١٩٧٩ م.
- (٤٠) فن التشبيه لعلى الجندي ط : نهضة مصر سنة ١٩٥٢ م.
- (٤١) الكتاب لسييرية . ط : الهيئة المصرية سنة ١٩٧٧ م . ت : عبد السلام هارون.
- (٤٢) الكشاف للزمخشري . ط : الحلبي سنة ١٣٩٨ هـ .
- (٤٣) الكامل للمبرد . ط الحلبي سنة ١٣٩٨ هـ .
- (٤٤) لسان العرب لابن منظور . ط : دار المعارف .
- (٤٥) متشابه القرآن لعبد الجبار . ط : دار النصر سنة ١٩٦٩ م . ت : عدنان زرزور .
- (٤٦) المثل السائر لابن الأثير . ط : الحلبي . ت : محمد محى الدين .
- (٤٧) بجمع الأمثال للميدانى مطبعة السعادة سنة ١٣٧٩ هـ . ت : محمد محى الدين عبد الحميد .
- (٤٨) جهاز القرآن لأبى عبيدة . ط : الحاجى . ت : محمد فواد .
- (٤٩) معانى القرآن للفراء . ط : الهيئة المصرية للكتاب سنة ١٩٨٠ م.
- (٥٠) المطول لسعد الدين التفتازانى .
- (٥١) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص للعباسى مطبعة السعادة . ت : محمد محى الدين عبد الحميد .
- (٥٢) مغنى الليب لابن هشام مطبعة المدى . ت : محمد محى الدين عبد الحميد.

- (٥٣) مفتاح العلوم للسكاكى . ط : الحلبي سنة ١٣٥٦ هـ .
- (٥٤) المفضليات للضبى طبعة دار المعارف الطبعة الخامسة . ت : الأستاذ محمد شاكر .
- (٥٥) من أسرار التعبير القرآنى للدكتور محمد أبو موسى . ط : دار الفكر العربى سنة ١٣٩٦ هـ .
- (٥٦) من يلاعنة النظم العربى للدكتور عبد العزيز عرفة . ط : دار الطباعة الحمدلية سنة ١٤٠٢ هـ .
- (٥٧) مناهج التجديد لأمين الخولي . ط : دار المعرفة سنة ١٩٦١ م .
- (٥٨) المرازنة بين أبي قحافة والبحترى للأمدى . ط . دار المعارف سنة ١٣٨٠ هـ .
- (٥٩) النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز مطبعة السعادة سنة ١٣٨٩ هـ .
- (٦٠) نقد الشعر لقدامة . ط : أنصار السنة سنة ١٩٤٩ م ت : كمال مصطفى .
- (٦١) النقد النهجى عند العرب للدكتور محمد مندور . ط : نهضة مصر سنة ١٩٧٢ م .
- (٦٢) النقد الأدبي لسيد قطب . ط : دار الفكر العربى سنة ١٩٥٤ م .
- (٦٣) النقد الأدبي الحديث للدكتور محمد غنيمي هلال . مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧١ م .
- (٦٤) نهاية الإيجاز فى دراسة الإعجاز للرازى . ط : مطبعة الآداب سنة ١٣١٧ هـ .
- (٦٥) الوساطة بين المتبنى وخصومه لعلى بن عبد العزيز الجرجانى . ط : الحلبي . ت : محمد أبو الفضل إبراهيم .
- (٦٦) يتيمة الدهر للشعالى . ط : الصاوى سنة ١٩٣٤ م .

محتويات الكتاب

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٦-٣
التمهيد : مفهوم البيان - آلاته - أنواع الدلالة - البيان في اصطلاح البلاغيين - الفاوت في وضوح الدلالة - أوجه الدلالة البيانية - موقع التشبيه من المباحث البيانية	١٥-٧
الفصل الأول : التشبيه تعريفه - التشبيه الضمني - التجريد وعلاقته بالتشبيه - أركان التشبيه - ما يتحتم ذكره منها وما يجوز حذفه	٢١-١٧
مباحث الطرفين : عقلية الطرف وحسيته - إفراد الطرف - تقليده - تركيبه - تعدده - تشبيه المحسوس بالمحسوس - الطرف الخيالي - تشبيه العقول بالمقول - تشبيه العقول بالمحسوس - تشبيه المحسوس بـالمقول - الطرف الوهمي - الفرق بينه وبين الطرف الخيالي : تشبيه المفرد بالفرد - تشبيه المفرد بالمقيد - تشبيه المقيد بالمفرد - تشبيه المقيد بالمقيد - تشبيه المركب بالمركب - هل يتّأى تحويل التشبيه المركب إلى متعدد؟ - تشبيه المفرد بالمركب - تشبيه المركب بـالمفرد - التشبيهات المتعددة - الفرق بين التشبيه المتعدد والتشبيه المركب	٤٦-٢١
مباحث وجه التشبيه	٨١-٤٦

رقم الصفحة	الموضوع
	<p>معنى وجه التشبيه - الوجه التحقيقي والوجه التخييلي - أحوال وجه الشبه - الوجه الحسى - الوجه العقلى - الوجه المفرد - الوجه المركب - الوجه المتعدد - ذكر وجه الشبه وحذفه - وضوحيه وغموضه :</p>
	<p>أقسام وجه الشبه - نماذج للمركب الحسى - مقارنة بين وجه الشبه المركب ووجه الشبه المتعدد - اكتساب وجه الشبه - انتزاع وجه الشبه من التضاد - التشبيه التمثيلي وغير التمثيلي - آراء العلماء فى التفرقة بينهما :</p>
١٠٢-٨٢	<p>التشبيه الجمل والتشبيه المفصل - التشبيه البعيد والتشبيه المبتذل - العوامل الموجبة للابتذال - العوامل الموجبة للبعد والغرابة - موازنات - القيمة الفنية للتشبيهات البعيدة - وسائل التصرف فى التشبيه القريب حتى يصبح بعيدا</p>
١١١-١٠٣	<p>مبحث أدوات التشبيه : الكاف وكأن - الفرق بينهما - الأسماء الجامدة والمشتقة - الأفعال اللاحزةة والمتعلدة - ما يبني بالتشبيه :</p>
	<p>التشبيه المرسل والتشبيه المؤكـد - الفرق بينهما - بناء جملة</p>
	<p>التشبيه المؤكـد - نماذج التشبيه المؤكـد :</p>
١٣٥-١١٢	<p>مبحث أغراض التشبيه : الأغراض العائدة على المشبه : بيان إمكان وجوده - بيان مقدار الحال - تأكـيد حال المشبه وتقريرها - تزيين المشبه وتجميـله - تقبيـحه وتشويـيه - استطرافـه - نماذج - ما يشترط فى وجه الشـبه لتحقيق هذه الأغراض - نقد وموازنة</p>

رقم الصفحة	الموضوع
	<p>الأغراض العائدة على المشبه به : التشبيه المقلوب - المبالغة في التشبيه - بيان شدة الحاجة إلى المشبه به - موازنة - التشابه - التشبيه الحسن والتشبيه القبيح - التشبيه الضمني - مراتب التشبيه :</p>
١٦٨-١٣٧	<p>الفصل الثاني : الحقيقة والمجاز</p>
	<p>معنى الحقيقة - أقسامها - معنى المجاز - إنكاره - إنكار الحقيقة - المجاز المفرد والمجاز المركب - تعريف المجاز المفرد - الفرق بين الاستعارة والمجاز المرسل :</p>
	<p>المجاز المرسل وعلاقاته : علاقة السببية - علاقة المسببية - الجزئية - الكلية - اعتبار ما سيكون - اعتبار ما كان - المحلية - الحالية الآلية - المجاورة - علاقات أخرى - المجاز الحالى منفائدة والمفيد - المزايا البلاغية للمجاز المرسل :</p>
	<p>الاستعارة : معناها - آراء العلماء في التفرقة بين الاستعارة ٢٤٢-١٦٩ والتشبيه البليغ - أمثلة لغوی الاستعارة أم عقلی - القرينة لا تنساق الادعاء - الفرق بين الاستعارة والكذب - وقوع الاستعارة في أعلام الأشخاص :</p>
	<p>أقسام الاستعارة : الاستعارة الحقيقة - الاستعارة التصريحية - الاستعارة المكتبة - الاستعارة التخييلية - الاستعارة الأصلية - الاستعارة التبعية - الوفاقية والعنادية - المطلقة والمحردة والمرشحة والغربية والمتذلة - تحول الاستعارة المتذلة إلى غريبة - قرائن الاستعارة:</p>
	<p>المجاز المركب : معناه - الفرق بينه وبين المجاز المفرد - الاستعارة التمثيلية - المجاز المرسل المركب - الفرق بينه وبين الاستعارة التمثيلية - رأينا فيه :</p>

رقم الصفحة	الموضوع
٢٤٣	خصائص الاستعارة ومزايها البلاغية - الاستعارة المعيبة - ضوابط حسن الاستعارة - ثماذج للاستعارة المعيبة - مناقشات : الفصل الثالث : الكناية :
٢٦٢-٢٦٠	معنى الكناية - وعلاقتها - ما تبني عليه تلك العلاقة - الفرق بين الكناية والمحاز أقسام الكناية : الكناية عن موصوف - الكناية عن صفة الكناية عن نسبة :
٢٦٤-٢٦٣	الكناية القرية والكناية البعيدة - الفرق بينهما - وشرح الكناية القرية وخفاوها - وسائل الكناية البعيدة - مقارنات ومناقشات وتحليلات :
٢٧٠-٢٦٤	الفرق بين الكناية والتعریض - الكناية التعریضية : اجتماع التعریض والمحاز :
٢٧٣-٢٧١	التلویح والرمز والإشارة بلاغة الكناية وسر جمالها :
٢٧٥	خاتمة : أهم المراجع : محتويات الكتاب .
٢٨٢-٢٧٩	





دار الأمان للطباعة

٨ ش. أبو العالى (المحروقة) الجزء - ت/ فاكس ٣٤٧٣٦٩١
١ ش. سوهاج من ش. الزطاف (عائش قاتمة سيد درويش) الورم - جزء
٥١٤٤٦٩٩ تليفون وفاكس



